العدد (٦٠٠) شعبان ١٤٣٦ هـ - مايو - يونيو ٢٠١٥ م

أسسها عام ١٩٨٣ م

الوعي الإسلامي

Al-Wa'ei Al-Islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

مجانا مع العدد «براعم الإيمان»

أخلاقنا الغائبة.. كيف نستعيدها؟

مدير ألكسو د. محارب:
التعليم الرديء أخرج أجيالا لا علاقة لها بالإسلام

- الفقه الافتراضي.. رؤية مقاصدية
- الحنين إلى الأوطان للجاحظ
- الحياة في سبيل الله
- المؤرخ عبدالهادي التازي في ذمة الله

هدية العدد «بوستر الصرف العربي»

info@alwaei.com | www.alwaei.gov.kw | مجلة الوعي الإسلامي

العدد ٦٠٠ - السنة ٥٢ - شعبان ١٤٣٦ هـ / مايو - يونيو ٢٠١٥ م

مكارم الأخلاق

اعتنى الناس بأمر التربية، عناية لم يسبق لها مثيل في جميع العصور، وأصبحت مسائلها هي الشغل الشاغل للقائمين بأمر الإصلاح في الأمم المتطورة، لأنها أثبتت الدعائم التي تبنى عليها أسباب الرقي والفلاح.

وإنه لمن الكمال اللائق بالمجتمع المسلم أن يكون بناؤه على مكارم الأخلاق وترك مساوئها، وقد ساءت وكثرت في هذا الزمن لسهولة نشرها، وتعدد طرق وصلها، وغياب القدوة.

وقد حثت الشرائع على المكارم، فالقرآن والسنة يضمنان النجاح لأي أمة تسير على منهاجهما، فالأخلاق ليس الغرض منها معرفة كيف يعيش الإنسان، بل معرفة كيف يجب أن يعيش.

والتربية - كما هو معلوم - تعهد الشيء ورعايته بالزيادة والتنمية والتقوية، وهي في الإسلام تجمع بين تأديب النفس، وتهذيب الروح، وتثقيف العقل، ولها رسائل عدة، وإذا صلحت سبل التربية صلح أمر التعليم.

وعلينا بالتوجيهات الشرعية، وتقييد الألسن عن اشتغالها بالأباطيل، وخوضها في أوحال القال والقيل، فإن اللسان أعظم الأعضاء ضررا، وأشدها خطرا، إن لم يتعاهده صاحبه أوقعه في المهلكات، وجلب إليه الآفات، فرحم الله امرءًا حفظ جوارحه ولسانه، وأصلح حاله قبل تورطه وارتحاله.

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦٠٠ | شعبان ١٤٣٦ هـ
العام الثاني والخمسون
مايو - يونيو ٢٠١٥م

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

مدير التحرير
فهد محمد الخزي

سكرتير التحرير
سليمان خالد الرومي

التحرير
عبادة السيد نوح
د. الطاهر خذيري
هدايت الله نثار أحمد

الإخراج والجرافيك
أبورواش زكي محمد
فاطمة الجندي

الإشراف الفني
الشركة العصرية
للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات
رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
الموقع الالكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع
دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية
- المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

المجلة غير ملزمة
بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.
والمقالات لا تعبر بالضرورة
عن رأي المجلة.

في هذا العدد

١٤
بذور الخير في أمة محمد ﷺ

٢٦
الضوابط السلوكية للاقتصاد

٤٨
الحنين إلى الأوطان

٧٦
مبدأ حفظ النسل في الإسلام

التوزيع

وكيل التوزيع: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٤٩١٥١٠٦- ٢٤٩١٥١٠٧ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٩١٥١٠٩ (٠٠٩٦٥)

- مصر - القاهرة - شارع الصحافة - جريدة أخبار اليوم - ت: ٢٥٧٨٢٧٠٠ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٥٧٨٣٥٤-(٠٠٢٠٢)
- اليمن - صنعاء - الدار العربية للنشر والتوزيع ت - ف: ٣٣١٧٩٧ (٠٠٩٦٧)
- لبنان - شركة نعنوع الصحفية - ت: ٦٥٣٢٥٩(٠٠٩٦١١) ف: ٦٥٣٢٦٠
- سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت: ٢١٢٤٨٣١ (١١ ٠٠٩٦٣) ف: ٢١٢٨٦٦٤ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
- المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية
- مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- الإمارات العربية المتحدة - ت: ٢٦٨٣٨٥٣ ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
- المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع
- قطر - الدوحة - ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
- ماليزيا- شركة - المصطفى ميديا جروب سندرين برحد - ت- ٣٣٧١١٩٦٦ (٠٠٦٠٣)
- الجزائر - شركة ام بي سي ت: ٣١٩٠٩٥٩٠(٠٠٢١٣)
- تونس - الشركة التونسية للصحافة ت: ٧١٣٢٢٤٩٩ (٠٠٢١٦)
- المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار

- الكويت : ٥٠٠ فلس - السعودية: ٥ ريالات - البحرين : ٥٠٠ فلس - قطر : ٥ ريالات - الإمارات : ٥ درهم - سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة
- الأردن:دينار واحد - مصر : ٢ جنيه - اليمن : ١٠٠ ريال - لبنان: ٢٠٠٠ ليرة - سوريا: ٣٠ ليرة - المغرب : ١٠دراهم - الجزائر: ٤ دينار جزائري - تونس: دينار واحد تونسي - المملكة المتحدة: ١,٥ جنيه استرليني - باقي دول العالم : ٣ دولارات أمريكي أو مايعادلها.

المحتويات

٣	**الافتتاحية** / مكارم الأخلاق	فيصل يوسف العلي
٦	**مؤتمرات**/ الشريعة تحل المشكلات المعاصرة	ربيع إبراهيم
١٠	**حوار**/ د. محارب: التعليم الرديء أخرج أجيالا لا علاقة لها بالإسلام	إسلام لطفي
١٤	قضايا/ بذور الخير في أمة محمد ﷺ	مياسة النخلاني
١٦	**خواطر**/ الحياة في سبيل الله	محمد فتحي النادي
١٨	**حوار**/ مفتي اليونان: قرابة المليون مسلم يعانون التتصير	فيصل العلي
٢٠	**ملف العدد**/ العولمة والأزمة الأخلاقية	د. آندي حجازي
٢٤	انفلات الشباب الأخلاقي	نشوة صالح
٢٦	الضوابط السلوكية للاقتصاد	عبدالحافظ الصاوي
٣٠	أخلاق الإسلام في نظر الغربيين	السنوسي محمد
٣٤	سؤال الأخلاق بين الإسلام والغرب	محمد شعبان أيوب
٣٦	أخلاقنا الغائبة.. كيف نستعيدها؟	آية سرور ومحمد عبدالعزيز
٤٠	**دراسات**/ الفقه الافتراضي.. رؤية مقاصدية	عبدالفتاح همام
٤٤	السياسة المالية الراشدة	بوعزيز الشيخ
٤٨	**تراث**/ الحنين إلى الأوطان	الجاحظ
٥٣	بين ميسون ومعاوية	التحرير
٥٤	**لغة وأدب**/ القول المأثور في الصواب المهجور (٣٣)	عبدالله آيت الأعشير
٥٦	حوار مع الشاعر الأردني أيمن العتوم	محمد عويس
٥٨	اللغة العربية في الجزائر	زهية فراح
٥٩	عشريات عدنانية	عبدالرحمن الفكيكي
٦٠	إبراهيم اليازجي	د. محمود خلف
٦٢	عثرات الأقلام (٢)	التحرير
٦٣	شبح الحرية	أسماء السكاف
٦٤	**أنباء الكتب**/ أحكام النساء	التحرير
٦٦	**مقدمات الكتب**/ معجم البلدان	التحرير
٧٠	**حوار**/ حوار مع المؤرخ المغربي عبدالهادي التازي	صابر رمضان
٧٢	**رثاء**/ عبدالهادي التازي في ذمة الله	نايف شرار
٧٣	**أسرة**/ دور المرأة المسلمة في المجالين الخيري والفكري	د. محمد الحجوي
٧٦	مبدأ حفظ النسل في الإسلام	يوسف القسطاسي
٨٠	**تراجم**/ عبدالمجيد فرغلي.. رحلة عطاء	عماد الدين فرغلي
٨٢	**الوعي الشبابي**	خالد خلاوي
٨٤	**الوعي الحضاري**	د. عمرو عبدالكريم
٨٨	**كنوز الذاكرة**	التحرير
٩٠	**النوازل**	د. محمود الكبش
٩٢	**ينابيع المعرفة**	تركي النصر
٩٤	**بريد القراء**	التحرير
٩٨	**مسك الختام**/ المنهج الإسلامي ومسألة الواقعية	د. إبراهيم نويري

كلمة العدد

أزمة أخلاق

المجتمع كالبناء الكبير، لا يقوم إلا على قوة أعمدته، وسلامة كل جزء فيه، حتى يؤدي وظيفته متضامنا - من حيث لا يشعر - مع بقية الأجزاء. فسعادة المجتمع ونهضته متوقفتان على إحساس أفراده بمسؤوليتهم، وإخلاص كل واحد منهم في بذل أقصى طاقته في القيام بواجبه. وبمقدار هذا الإحساس والإخلاص تكون سعادة المجتمع، وبالتالي سعادتهم في حياتهم.

وبناء المجتمع لا يكون ولا يقوم إلا على أفراد لهم خلق ودين يدفعهم إلى الإخلاص لأمتهم ومجتمعهم في أعمالهم.. وإنه لا يكفي مطلقا أن نبني المصانع ونصدر القوانين، بل لابد أولا من بناء الرجال الذين يديرون المصانع وينفذون القوانين.. لابد من تربيتهم على الشعور بمسؤوليتهم وعلى مراقبة الله في أعمالهم.

إن الأزمة التي تمر بنا ليست في قلة المال أو الرجال أو المصانع أو نقص القوانين، لكن الأزمة الحقيقية هي أزمة الأخلاق الناشئة من جدب النفوس من الوازع الديني، ومن الشعور بالمسؤولية نحو الجماعة، وأن قوة الأمة الإسلامية لا تتحقق إلا على يد أبنائها الذين ينسون مصالحهم الشخصية، ويراقبون الله في أعمالهم، ويتقونه في أمتهم، ويتعاونون في إخلاص وحسن أخلاق ليردوا لها اعتبارها، ويعيدوا مجدا كان لها في سالف أيامها.. فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

د. عبدالمنعم النمر
رحمه الله

الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

في الدورة الـ ٢٢ لمجمع الفقه الإسلامي:

الشريعة تحل المشكلات المعاصرة

ربيع إبراهيم

أكد مجمع الفقه الإسلامي أن ما يحل بالعالم الإسلامي في هذه الأوقات هو نتيجة الابتعاد عن تطبيق شريعة الإسلام، وانتشار الظلم والفساد، وضعف الانتماء إلى الأمة، وضعف الالتزام بالتربية الإسلامية المنبثقة من الكتاب والسنة وسيرة المصطفى ﷺ.

وأشار المجمع إلى أن أولى خطوات الإصلاح ورفع ما يحل بالأمة، أن تعود الأمة إلى رشدها، وتلتزم بالشرع الحنيف؛ ليعود المؤمنون إخوة متحابين متعاونين ملتزمين.

جاء ذلك في الدورة الـ ٢٢ لمجمع الفقه الإسلامي الدولي، التابع لمنظمة التعاون الإسلامي، والذي عقد في الكويت خلال الفترة من ٢٢ - ٢٥ مارس ٢٠١٥م، بحضور ثلة من العلماء ورجال الدين.

وشدد المجمع على أن القتال بين المسلمين محرم حرمة الدم المسلم لقوله ﷺ: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار». والواجب وضع السلاح وادخاره؛ لحماية الأمة واستعادة مقدساتها، وليس للتقاتل في ما بين أبنائها، موضحا أنه يرصد ويتابع ما يحل ببعض مجتمعات المسلمين ودولهم، مما يتعرض له فيها أبناء الأمة للقتل والتشريد جراء الحروب الطاحنة التي هدمت الأوطان، ودمرت البيوت والعمران، وقوضت قوى الدول واقتصادها وجيوشها، وأتت على المعالم الحضارية والبنى التحتية بالتدمير والتخريب والإفساد، فاستحال أمن تلك المجتمعات إلى خوف، وشبعها وكفايتها إلى جوع ومخمصة، وراحتها واستقرارها إلى تشريد وتنقل وحياة بائسة، رملت فيها النساء، ويتم الأطفال وسكنوا الخيام بعد أن كانوا يسكنون البيوت العامرة الآمنة.

ودعا المجمع أبناء اليمن إلى الالتزام بالشريعة، والاحتكام إلى الشرع الحنيف، والوفاء لوطنهم، واللجوء إلى الحوار وترك القتال الذي لا يؤدي إلا إلى الدمار والتشريد وزرع الفتن التي تقوض المجتمع وقوته.

توصيات المؤتمر

وفي ختام المؤتمر أصدر مجمع الفقه الإسلامي الدولي حزمة من التوصيات والقرارات المتعلقة بالقضايا التي تمت مناقشتها في ١٥ جلسة علمية على مدار ٤ أيام، وهي:

زيارة القدس

انتهى مجلس المجمع إلى أن الحكم الشرعي لزيارة القدس مندوب ومرغب فيه، لكن النقاش دار حول المصالح والمفاسد في ذلك.

ويرى المجمع أن تقدير هذه المصالح من هذه الزيارة يعود إلى المختصين من أولي الأمر والسياسة في بلاد المسلمين.

وقال المجمع إنه: «من الضروري تذكير جميع المسلمين بأن قضية القدس الشريف قضية الأمة بأجمعها، وأنه من الواجب نصرتها وتأييد أهلها وأهل فلسطين ودعمهم».

الشورى والديموقراطية

يوصي مجلس المجمع بشأن موضوع الشورى والديموقراطية من منظور إسلامي بما يلي:

١- ضرورة الاهتمام بنشر ثقافة الشورى في الإسلام، تأصيلا وتطبيقا، عبر المحاضرات والندوات ومناهج التربية والتعليم ووسائل الإعلام والاتصال المعاصرة.

٢- أن يهتم أهل الاختصاص بالبحث عن صيغ وتطبيقات جديدة مستمدة من مبدأ الشورى، مع مراعاة الضوابط الشرعية في ذلك.

جهاد الطلب وجهاد الدفع

أوصى المجمع بشأن موضوع جهاد الطلب وجهاد الدفع بما يلي:

١- تفعيل إنشاء محكمة العدل الإسلامية لفض النزاعات بين الدول والمجتمعات المسلمة وتعزيزها بقوة مشتركة تشكل من مختلف بلدان العالم الإسلامي.

٢- التأكيد على تفعيل قرار المجمع في دورته السادسة، وقرار رقم ٦٨ (٧/٦) المتضمن إعداد مشروع لائحة الحقوق الدولية في الإسلام، وقراره رقم ١٢٩(١٤/٣) المتضمن التوصية بإعداد مدونة إسلامية في القانون الدولي الإنساني.

٣- تكليف لجنة من العلماء والمختصين لإعداد مناهج ومقررات دراسية، تهدف إلى بيان حقائق الإسلام في مجال العلاقات الدولية في السلم والحرب، وتراعي المستجدات، وتتمسك بالثوابت والأصول.

تكفير المسلم

أوصى مجمع الفقه الإسلامي الدولي بما يلي:

١ - يوصي المجمع شباب الأمة ويحذرهم من ادعاءات أصحاب الفكر المنحرف وأهل الغلو، ويوجههم للعلم الصحيح النافع وفق منهج وسطي، ويقتدى بما جاء عن سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان.

٢- يوصي علماء الأمة ودعاتها بالتواصل مع الشباب، والقيام بمسؤولية الدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفق المنهج الوسطي.

٣- يوصي الحكومات والدول بتوفير الوسائل وتذليل العقبات للتواصل مع الشباب وتوجيههم الوجهة الصحيحة من قبل علماء الأمة وقادة الفكر والرأي فيها.

٤- يوصي بالإفادة من التجارب الناجحة في بعض الدول في محاورة أصحاب الفكر الضال، ومن ذلك تجربة «المناصحة» في المملكة العربية السعودية.

وأوصى المجمع نفسه بضرورة استكمال تنفيذ التوصيات السابقة بعقد ندوات لبحث الموضوعات الآتية:

أ - مسألة الولاء والبراء.

ب - حديث الفرقة الناجية وما بني عليه من نتائج.

ج - التكفير لعدم التطبيق الشامل لأحكام الشريعة الإسلامية.

المرأة والولايات العامة

قرر المجمع بشأن موضوع المرأة والولايات العامة ما يلي:

أولا - يؤكد المجمع على أن الإسلام قد كفل للمرأة حقوقها كاملة، وأنزلها المنزلة اللائقة بها، مراعيا مكانتها الاجتماعية وفطرتها، ومهمتها، أما وبنتا وزوجة ومسؤولة.

ثانيا - يرى المجمع رأي جمهور الفقهاء في أن المرأة لا تتولى الولاية العظمى (رئاسة الدولة).

ثالثا - إن رئاسة المرأة للولايات العامة، مثل القضاء والوزارة ونحوهما، فيها خلاف بين فقهاء المذاهب، وهو خلاف معتبر. ولفقهاء كل بلد ترجيح ما يرونه من أقوال الفقهاء.

رابعا - حال تولي المرأة ولاية مما سبق يجب عليها الالتزام بالضوابط والآداب التي حددتها الشريعة الإسلامية، وعلى الخصوص في أحكام اللباس وغيره، وألا تخل مشاركتها في تلك الولايات أو الوظائف العامة بوظيفتها الأساسية التربوية تجاه أسرتها.

حقوق المعاقين

أوصى المجمع بشأن موضوع حقوق المعاقين في الفقه الإسلامي بما يأتي:

١- العمل على توعية الأسرة والمجتمع بحقوق المعاقين بكل الوسائل الممكنة، من خلال البرامج الإعلامية والتعليمية والثقافية والاجتماعية.

٢- دعم الجهات والمؤسسات الحكومية والأهلية المعنية بشؤون المعاقين، وتعزيز البيئات المساندة لتلك الجهات.

٣- عقد المؤتمرات والندوات وورش العمل المتعلقة بشؤون الإعاقة.

٤- إنشاء مراكز دراسات وبحوث تعنى بشؤون الإعاقة، والاستفادة منها من خلال البرامج الموجهة نحو المعاقين.

٥- توسيع نوافذ التواصل المتبادل بين المجتمع والمعاقين، وإقامة الجمعيات التي تعنى بحقوقهم وتتبنى قضاياهم على المستوى المحلي والدولي ودعمها.

٦- يؤكد المجمع على ضرورة القيام بكل ما يؤدي إلى الحد من أسباب الإعاقة، ويشمل ذلك الفحص الطبي قبل الزواج والتطعيم ضد شلل الأطفال وغيره.

٧- التأكيد على المواثيق الدولية الخاصة بحقوق المعوقين فيما لا يخالف أحكام الشريعة الإسلامية.

ضمان البنك

وحول ضمان البنك للمخاطر الناشئة عن سوء استثمار أموال العملاء وتعويضهم عن الأضرار الناجمة، يوصي المجمع بالآتي:

١- حرص البنوك الإسلامية على بذل العناية في استثمار أموال المودعين واتباع كل الأساليب والآليات لحماية أموالهم، ودرء المخاطر عنها، وإنشاء الصناديق وتكوين الاحتياطيات والمخصصات اللازمة لذلك.

٢- دعوة الدول الإسلامية إلى إصدار قوانين تعنى بإنشاء مؤسسات لضمان أموال المودعين، أو إجراء تعديلات على القوانين الجارية على أساس التأمين التكافلي تشترك فيها المؤسسات المالية الإسلامية، وتدار هذه الصناديق وفق ما تناوله مجمع الفقه الإسلامي الدولي في قراره رقم ٢٠٠ (٢١/٦) بشأن الأحكام والضوابط الشرعية لأسس التأمين التعاوني.

التأمين التعاوني

يرى المجمع ضرورة عدم اللجوء إلى جعل العوض نسبة من الفائض، أو جعل نسبة من الفائض حافزا لجهة المدير، مشيرا إلى أن ذلك يثير مشكلات فقهية أو تطبيقية.

وقرر المجمع جواز إنشاء صناديق وقفية تكافلية، تقوم بتغطية بعض الأخطار من ريع ما يوقف فيها من أموال، ويجوز اقتطاع جزء من الفائض التأميني ليكون وقفا نقديا، ويجوز لشركات التأمين الإسلامية إنشاء صندوق وقفي بمساهمات نقدية تقتطع من الفوائض التأمينية ليستخدم ريعه في حالات العجز أو التعثر لهذه الشركات المشاركة في الصندوق.

وانتقد المجمع غياب هيئات الرقابة الشرعية في بعض شركات التأمين التكافلي.

وأوصى المجمع بشأن استكمال بحث قضايا التأمين التعاوني ودراستها بما يلي:

أولا - العمل على نشر ما ورد في قرار مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي رقم (٢١/٦/٢٠٠)، وقراره في

هذه الدورة، اللذين يشكلان مرجعية شاملة للمبادئ والأسس التي تحكم أعمال التأمين التعاوني من الناحية الشرعية على نطاق واسع، وترجمته إلى العديد من اللغات، ويدخل في ذلك توزيعه على شركات التأمين التعاوني العاملة وهيئاتها الشرعية.

ثانيا – التوصية للهيئات التشريعية العاملة في مجال التأمين التعاوني في الدول العربية والإسلامية، بتضمين ما ورد في قراري مجلس المجمع سالفي الذكر، في تشريعاتها، والإحالة إلى المجمع باعتباره مرجعا شرعيا معتمدا.

ثالثا – التوصية بتضمين التشريعات المنظمة للتأمين التعاوني النص على منح وعاء التأمين (صندوق حملة الوثائق ... حساب التأمين المستقل عن حسابات الشركة) شخصية حكمية تضم جميع المشتركين في حسابات التأمين التعاوني، مع ملاحظة ما ورد بهذا الخصوص في قرار المجمع رقم (٢١/٦/٢٠٠)، بحيث تنص تلك التشريعات على من يمثل هذه الشخصية على نحو لا يؤدي إلى تضارب المصالح.

رابعا – إصدار معايير لحوكمة مؤسسات وشركات التأمين الإسلامية بما يحقق أهداف ومقاصد قرار المجمع رقم (٢١/٦/٢٠٠)، وهذا القرار يحفظ حقوق الأطراف ذات العلاقة، خصوصا ما يتصل بالعلاقة بين الجهة المديرة وصندوق التأمين، بما يضمن درء تضارب المصالح، ويحقق العدالة للطرفين.

كما أوصى المجمع بشأن «استخدامات مياه الصرف الصحي المعالجة» بما يلي:

١- العمل على معالجة مياه الصرف الصحي، حتى ولو لم يتم استخدامها، واجب شرعي، درءا لمفاسد وأضرار تراكمها على الإنسان والبيئة، وإن ذلك واجب دون النظر إلى الفوائد الاقتصادية التي تعود من معالجتها، حتى ولو تم صرفها في البحار أو الأودية بعد المعالجة. لقاعدة درء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

٢- التوعية بالترشيد في استخدام المياه، في جميع الأغراض، المنزلية والخدمية والزراعية، لحث الشرع الحكيم على ذلك.

٣- متابعة البحث العلمي عن أنسب الطرق لمعالجة مياه الصرف الصحي، وأقلها تكلفة، واستهلاكا للطاقة، درءا لما قد يحدث من أضرار جراء ذلك.

٤- استمرار التجارب والأبحاث العلمية التي تضمن صلاحية الماء المعالج للاستخدام في الأوجه الجائزة.

٥- الرقابة المشددة على الأجهزة والقائمين على معالجة مياه الصرف.

٦- التأكد المستمر من سلامة المحاصيل والأغذية التي يتم ريها بالمياه المعالجة.

٧- التعريف بالمنتجات المعتمدة على الري بالمياه المعالجة، حتى يكون المشتري على معرفة بها.

٨- الاستفادة من المخلفات الموجودة في مياه الصرف الصحي في إنتاج الطاقة، وللحد من التلوث البيئي.

وعن حكم الأعلاف المشتملة على مكونات محرمة، قرر المجمع عدم جواز استخدام الأعلاف المشتملة على مخلفات الميتة والدم والخنزير والهرمونات والمضادات الحيوية، باعتبارها مواد تسبب أضرارا بالغة على صحة الإنسان. ويوصي المجمع الدول الإسلامية بضرورة التحري، عند طلب الأعلاف من الدول الأجنبية، من عدم اشتمالها على المواد المذكورة سابقا.

وقد أكد وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية يعقوب الصانع، في كلمة نيابة عن أمير الكويت الشيخ صباح الأحمد، أن للشريعة الإسلامية دورا مهما في إيجاد الحلول للمشكلات التي تعاني منها المجتمعات المعاصرة، ودور الفقه الإسلامي بمرونته وسعته في بيان أحكام المسائل المستحدثة، والنوازل المستجدة، وتقديم الأجوبة الشافية لها، مشيرا إلى أن هذا المؤتمر جاء ليبحث العديد من الموضوعات الحساسة والمهمة، التي تحتاج الأمة إلى معرفة حكم الشرع فيها، ورأي فقهاء الشريعة وعلماء الدين حيالها، والتي لا ينبغي لآحاد العلماء – فضلا عن آحاد الناس – أن ينفرد برأي فيها، بل تحتاج إلى مجمع فقهي، يجمع علماء الأمة من مختلف دول العالم الإسلامي؛ لأنها من الموضوعات الكبيرة، والمسائل الخطيرة، التي يجب أن ترد إلى مجامع الفقهاء ومؤسسات الإفتاء.

من جانبه، قال أمين مجمع الفقه الإسلامي الدولي د. أحمد بابكر، إن مجمع الفقه الإسلامي هو المرجعية الفقهية للمسلمين في أقطار الأرض كلها، ولهذا فهو يسعى إلى تحقيق الآمال الكبيرة المعقودة عليه منذ إنشائه، والغايات التي من أجلها أنشئ، وهي تكتسب أهمية قصوى في كل يوم، وذلك بكثرة المستجدات وتعاظم التحديات، فالتقدم في العلم والصناعة والإعلام، والتجدد في الحياة السياسية والعلاقات الدولية، أنتجا واقعا معقدا، تغيرت فيه التصورات والمفاهيم للحياة وللأنظمة وللأحكام وللمعاملات.

إشادة

قدم المشاركون من العلماء والفقهاء في مؤتمر مجمع الفقه الإسلامي الدولي، ورئيس المجمع الشيخ الدكتور صالح بن عبدالله بن حميد، برقية شكر لأمير دولة الكويت الشيخ صباح الأحمد، لرعايته الكريمة للدورة الثانية والعشرين. وأشادوا بحصول سموه على لقب «قائد الإنسانية» من الأمم المتحدة.

المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم «ألكسو» د. عبدالله محارب:

التعليم الرديء أخرج أجيالا لا علاقة لها بالإسلام

القاهرة - إسلام لطفي
تصوير: رمضان إبراهيم - دار الإعلام العربية

كشف الدكتور عبدالله محارب، المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم «ألكسو»، أن كثيرا من مشكلات العالمين العربي والإسلامي في السنوات الأخيرة سببها اعتماد نظم تعليم رديئة؛ أسهمت في تخريج أجيال لا تعرف شيئا عن دينها أو حتى عن مضمون دراستها، مشيرا إلى أن تراجع الاهتمام بقضايا الثقافة والتربية كان من أسباب هذا الخلل، مشيرا إلى أن منظمته بدأت في تبني خطط مدروسة لإصلاح هذا الخلل، والمبادرة بعرض خدماتها على مختلف الدول العربية.

كما تطرق في حديثه مع «الوعي الإسلامي» إلى العديد من القضايا، مثل أهمية المخطوطات وتحقيق النصوص ودور الشباب والإعلام الإسلامي... فإلى التفاصيل:

● توليتم مسؤولية المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم «ألكسو» قبل نحو عامين، فهل تضعنا في طبيعة عملها والدور الذي تقوم به؟

- المنظمة أنشئت تحت مظلة جامعة الدول العربية عام ١٩٧٠م، لتقوم على ٣ ركائز، هي: معهد المخطوطات؛ البحوث والدراسات العربية، والإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية. ومن حيث الأداء، تعتبر منظمة «ألكسو» موازية لمنظمة اليونسكو التابعة للأمم المتحدة، وهي من الناحية الشكلية تابعة لجامعة الدول العربية، إلا أنها مستقلة إداريا وماليا بشكل كامل، وتضم في عضويتها جميع الدول العربية، ومدارسها التشريعية هي التي تمولها وتقر قراراتها الإدارية، علاوة على وجود لجان مراقبة. وجاء إنشاؤها بعد إقرار خطة الوحدة الثقافية للوطن العربي، واستمر العمل فيها لفترة في دولة الكويت على مستوى لجان مختلفة لتحقيق هذه الطموحات، كي تكون بيت خبرة، ومنسقة بين الدول العربية في الشؤون التي تساعد في التربية والتعليم والثقافة والبحث العلمي.

● وماذا عن الطموحات التي قامت من أجلها المنظمة وتلك التي تسعى إليها في الوقت الحالي؟

- الطموحات التي أسست من أجلها المنظمة أن تكون بيت خبرة تلجأ إليه كل الدول العربية عندما تحتاج إلى إقامة مشروعات أو تنفيذ أنشطة وصياغة بعض اتفاقيات ذات صلة، حول موضوع ثقافي معين أو بحث علمي أو استحداث وتطوير بعض المناهج التربوية.

والآن، نحاول أن نجعل المنظمة جهازا فاعلا يشارك الدول في تنفيذ المشروعات التي تمس المواطن العربي، لاسيما في الشأن الثقافي والتعليمي، حيث نلاحظ أن هناك تراجعا في

مستوى التعليم العام العربي، لدرجة أن من يتخرجون من الثانوية العامة يكاد الكثير منهم أن يكونوا أميين، لذا نحاول معالجة هذا الوضع المأساوي بإصلاح منظومة التعليم العام عن طريق إجراء دراسات وبحوث تحلل وتشخص وتعالج.. في البداية، تشخص الواقع في كل دولة، وما يحتاج إليه من تحسين وتعديل، بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم فيها، لتنفيذ البرامج المناسبة فيما يتعلق بتجديد التعليم. والمنظمة لا تنتظر لجوء الدول العربية إليها لحل مثل هذه المشكلات، بل تبادر بالتواصل مع كل الدول المعنية وتقترح عليها المشروعات التي تفيدها وتساعد في تنفيذها.

● ما أبرز المشروعات التي نفذتها المنظمة على أرض الواقع؟

– توليت مسؤولية المنظمة منذ عامين تقريبا، ومنذ تأسيسها عام ١٩٧٠م وحتى الثمانينيات أنجزت المنظمة كثيرا من المشروعات على أرض الواقع، منها: ترجمة العديد من الكتب المشهورة في تاريخ الأدب العربي، إضافة إلى معاجم عربية متداولة بين الناس، وكذلك دراسات عن بعض الدول العربية، أيضا شكلت إصدارات المنظمة في تلك الفترة زخما هائلا غطى القضايا الثقافية والإعلامية والتربوية، وقام عليها مجموعة من الأساتذة الكبار والمتخصصين. أيضا، كان لمعهد المخطوطات العديد من الإنجازات منذ إنشائه في عام ١٩٤٦م، سواء في المؤلفات أو مساعدة العديد من الباحثين في الحصول على نسخ كانت عزيزة لا يمكن التوصل إليها.

أيضا، معهد البحوث والدراسات العربية الموجود في مصر، كان له باع طويل في معالجة عديد من القضايا العربية، منها: غزو العراق للكويت عام ١٩٩٠م، وإصدار كتاب «الكويت وجودا وحدودا»، حيث أجرى فيه مجموعة من الباحثين والمستشارين مزيدا من البحوث حول مكانة الكويت التاريخية

أزمات الأمة العربية أدت إلى تراجع الاهتمام بقضايا الثقافة والتربية

والجغرافية، وحقيقة عدم تبعيتها إلى العراق، وغير ذلك من الحجج، وصدر الكتاب في عام ١٩٩١م، وغيره العديد من البحوث، علاوة على جهود كبيرة يقوم بها معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، ومقره الخرطوم، حيث تأتي إليه أفواج من الدول الأجنبية، سواء الإفريقية أو الآسيوية، وله دور رائع في نشر العربية بشكل عام، إضافة إلى معهد تنسيق التعريب في الرباط، الذي أصدر عددا هائلا من المعاجم تعنى بتعريب المصطلحات العلمية، خاصة المرتبطة بالتصنيع وغيرها.

وكذلك هناك مركز لترجمة الأعمال الفكرية والعلمية، وسبق أن فاز بجائزة الملك عبدالله للترجمة، في عامين متتاليين، بسبب رقي الدور الذي يقوم به.

● وماذا عن الخطط المستقبلية والدور المتوقع من المنظمة لاسيما في ظل العقبات التي قد تعترضها؟

– هناك خطة خمسية تنتهي في عام ٢٠١٦م، وتبدأ الخطة الجديدة في ٢٠١٧م وتنتهي في عام ٢٠٢٢م، وجرت العادة أن تصاغ الخطة داخل المنظمة، لكن نظرا لتوجهنا الجديد لاستحداث دورها، استعنا بدار خبرة سعودية، لها تجارب في وضع الاستراتيجيات لوضع خطة للمنظمة تستهدف تنفيذ مجموعة من المشروعات خلال خمسة أعوام، بالتعاون مع إدارات المنظمة المختلفة: الثقافة والعلوم والتربية وإدارة الاتصال والمعلومات. ستقوم هذه الخطة على أسس مرنة لتكون هناك برامج تتصل بالمواطن العربي على أرض الواقع وليست قضايا إنشائية فقط أو شعارات عامة أو قضايا يمكن أن يلوكها اللسان دون أن تجد لها صدى على أرض الواقع، وأن تكون هناك مشروعات ذات مراحل محددة تخدم قضايا التربية بتكلفة مالية ومدة زمنية محددة للتنفيذ.

● وهل من عقبات تتعرض لها المنظمة في الوقت الحالي؟

– هناك عقبات كثيرة جدا، أولها: أن الأمة العربية تمر بمرحلة مخاض على المستوى السياسي والثقافي، ما أدى إلى تأخر الاهتمام بالأولويات التي تعتبرها المنظمة في المراحل المتقدمة (مثل الثقافة والتربية). والقضية الأخرى التي تتعرض لها الأمة في الوقت الحالي هي الأفكار البعيدة عن الإسلام، وتتمسح وتلبس لباس الدين، وهذه نتاج التعليم الرديء منذ أكثر من ٣٠ عاما، ذلك التعليم الذي أخرج أجيالا من الشباب عقولهم فارغة، وليست لها علاقة بالإسلام.

أضف إلى ذلك: عدم الاهتمام بالتعليم الديني، فأصبح مهمشا داخل المدارس، ولا يعرف الطلاب حقيقة الدين، وبذلك تخرجت أجيال في جميع التخصصات تفتقر إلى المعرفة الدينية. ولذلك، عندما يصادفون أشباه المفتين الذين يفتون بأشياء بعيدة عن الإسلام يقتنعون بها بسهولة، لأن لديهم فقرا في الثقافة الدينية.

ومن الأشياء التي نواجهها بصورة مباشرة هي عدم اهتمام بعض القيادات العربية بمشروعات التربية والثقافة في بلادهم، فتجدهم يقدمون الاستثمار والاقتصاد في خططهم على التعليم، بينما يجب الاهتمام أولا بالأمن والصحة والتعليم في مرحلة واحدة، ويجب أن تصرف عليها الكثير من الأموال لتنفيذ المشروعات الخاصة بها.

والآن، بعض الدول تنبهت لهذا الأمر، فمثلا في المملكة العربية السعودية بدأوا يعالجون هذا الوضع فأنشأوا جهازا تابعا للديوان الملكي مباشرة،

يراقب التعليم وأجهزته ويعمل على تقييمها واقتراح البرامج التي تقوم بتطوير المناهج والكتب والنشرات وإعداد المدرس، وعلاقته بالطالب وأسرته، وهم في طريقهم لتعديل وتحسين مناهج التعليم.

● تطرقت في حديثك إلى فقر المعرفة الدينية، كيف تعالج المنظمة هذا الأمر؟

– للوصول إلى التعليم الصحيح لأساسيات الدين، وتخليص المناهج الدينية من الأشياء التي يمكن أن تنفر الطالب، يجب أن تركز مناهج الدين على الرحمة وكل ما يجعل الطالب يقبل على التعلم بآفاقه الرحبة. ففي الدولة الإسلامية القديمة، عندما دخلت الجيوش العربية العراق، كانت هناك يهود ونصارى وفئات أخرى، لم يجبرهم المسلمون على دخول الإسلام، بل على العكس تعاملوا معهم بأريحية، وأصبح منهم وزراء، وكانوا يجتمعون معا ويتناقشون ويتزاورون. هذه الحياة التي كانت موجودة في ذلك العصر، كانت أقرب إلى الخلافة الراشدة، ولم يقوموا بقتل أهل الديانات الأخرى، فيجب أن نعيد إلى الطفل الصغير قضية قبول الآخر، وأن يعامله كإنسان، ويجب أن تتم صياغة حقيقية لقضية التعليم الديني في المدارس الابتدائية والمتوسطة.

● عرف عن دولة الكويت حرصها الدائم على تدعيم الأعمال ذات الطبيعة الإنسانية والثقافية، فماذا عن طبيعة مشاركتها في خطط وبرامج المنظمة؟

– كل دولة في المنظمة تدفع قدر ما تأخذه منها جامعة الدول العربية، والكويت والسعودية من أكثر الدول الملتزمة في دفع ميزانية المنظمة، بواقع مليون و٢٥٠ ألف دولار لكل منهما، أما باقي الدول فتدفع أقل من المليون دولار، حسب مستوى الدولة. كما تستضيف الكويت كثيرا من أنشطة المنظمة وتنفق عليها، كان آخرها

الكويت أكثر دعما لأنشطة المنظمة..

مؤتمر عن الصومال احتضنته الكويت وأنفقت عليه بسخاء.

● بوصفك من المهتمين بالتراث وعلم تحقيق النصوص، إلى أي مدى يجد هذا العلم اهتماما من الأجيال الجديدة في العالمين العربي والإسلامي؟

– الحقيقة أن هناك اهتماما من الشباب بهذا العلم، لكن يحتاجون إلى توجيه، لأنه ليس علما يمكن أن يساهم فيه أي شخص، بل يجب على الشخص أن يتدرب عليه ويعرف أصوله وقواعده الخاصة به، وهو علم مشوق لاكتشافنا من خلال دراسة المخطوط أشياء كثيرة جدا، تائهة عن الأذهان، فهؤلاء كانوا ينقلون قبل ألف عام في: كيف يفكرون وينظرون إلى الأشياء وتسيير أمور مجتمعهم ودينهم ودنياهم، وهؤلاء الذين كتبوا المخطوطات بعقول ليست تخصصية في تخصص بعينه، بل كانت عقولهم موسوعية تتحدث في كل الفنون والعلوم، ونجد من يتحدث في الحديث يناقش في الرياضيات كأنه متخصص فيها. وقضية الغرفة المظلمة التي هي أساس الصورة الآن اكتشفها العرب منذ القدم، هذه القضية عرفناها من خلال المخطوطات. فحتى نقرأ المخطوط، يجب أن تكون عقولنا موسوعية، ونبحث في كثير من العلوم، ومثلا: من يناقش قضية الطيران يبحث في علومها والأحياء والبيولوجيا، والذي يحقق يجب أن تكون عقليته قريبة من عقلية المؤلف، والتحقيق هو أن يخرج المحقق الكتاب كما ألفه صاحبه، ويضع الهوامش التي توضح الأفكار الموجودة، فقد تكون غامضة فيشرحها.

فهناك إقبال، لكن يحتاج إلى عناية على المستوى الرسمي. ومع الأسف، المنهج الأميركي قديما لم يكن يعترف بالتحقيق، لأنهم لم يكونوا يعرفون أهمية الأمر، والآن بدأوا يدركون ذلك. ونحن في جامعاتنا اتبعنا المنهج الأميركي ولم نغيره. وحاليا، الكثير من الجامعات العربية لا تعتد بالتحقيق كبحث أكاديمي، وتطلب من الباحث أن يختار موضوعا آخر، وبالتالي يجب على الجامعات أن تعيد النظر إلى التحقيق بنظرة عادلة تستوعب دوره وأهميته الحقيقية.

● وما أبرز الدول التي لها إسهامات في هذا الشأن؟

– مصر من أوائل الدول التي لها إسهامات على المستوى العربي في هذا الأمر، وكثير من المستشرقين الذين كتبوا في مجال التحقيق تعلموا في الجامعات المصرية، ثم بدأت تتعلم منهم أجيال خرجت بعد ذلك إلى لبنان وسوريا والمملكة العربية السعودية.

● وهل نحن بحاجة إلى مؤسسات علمية تعنى بدراسة التراث والعمل على حفظه وإعادة تحقيقه بأسلوب يتناسب مع طبيعة العصر وكذلك الاستفادة من التقنية؟

– الاهتمام بالمخطوط تطور منذ فترة، والقضية أصبحت دراسة وتدريبا على المعرفة وطريقة الوقفيات والإنجازات العلمية، ونجد المؤلف له ملاحظات خاصة بأسرته داخل المخطوط، ومعهد المخطوطات الآن اتجه إلى التدريب وأصبح يرسل بعثات إلى كثير من الدول العربية وغير العربية لتدريب المهتمين بقضية المخطوط، علاوة على وجود أجهزة خاصة بترميم المخطوطات.

● كيف ترى الأزمات التي يتعرض لها التراث العربي والإسلامي خاصة في السنوات الأخيرة؟

– هناك كلمة مشهورة تقول: «من جهل شيئا عاداه»، فبدلا من أن يبحث عن طبيعة الشيء يعاديه، فهناك كثيرون ممن جهلوا المخطوط وأهميته، بدأوا المناداة بإلغاء هذا التراث والتخلص منه. نحن ندعو إلى تخليص التراث من

د. محارب مع مندوب الوعي الإسلامي

أشياء قد تكون غير مناسبة للعصر، لكن لا نقبل الدعوات الشاذة بهدمه، وهذه القضية من أبرز الصعوبات التي نواجهها، كما الدعوة إلى العلمانية من قبل المتطرفين، وقطع كل صلة بالقديم، ولا نستطيع أن نعدهم معبرين عن الأمة ومصالحها، لكننا نراهن على زيادة الوعي في المستقبل، خاصة مع حرص الشباب على علم المخطوط.

● تقوم الصحافة الإسلامية بدور محوري في تنوير المسلم لاسيما في ظل تعرضه لغزو فكري وإعلامي مكثف، فهل ترى أن الإعلام الإسلامي مثل «الوعي الإسلامي» نجح في مهمته؟

– الإعلام في المنطقة العربية، سواء الإسلامي أو العام، ليست له مبادئ وخطة واضحة، لذلك فهو يتخبط، ونجده يحسن في بعض الأمور ويتخبط في أخرى. والإعلام يختلف باختلاف توجهات الدولة، عندما تكون القيادة متسامحة يطلق العنان، وعندما تتزمت الدولة يتزمت الإعلام. و«الوعي الإسلامي» تلعب دورا مهما، ربما لا ننتبه له كثيرا في الدول العربية، بينما نجدها في الدول الإسلامية غير الناطقة باللغة العربية تحظى بقبول واسع وحرص كبير على متابعتها ومعرفة الثقافة الإسلامية من خلالها، لاسيما مع حرص القائمين على المجلة في الفترة الأخيرة على تطوير مستواها الطباعي والإخراجي، وأتمنى أن تستمر بنفس الحماس في رسالتها.

● وما الذي ينقص الإعلام ليكون أكثر فعالية وتأثيرا؟

– أن يكون أكثر اتصالا بالإنسان المسلم، والقضية الآن في القراءة، حيث لم تعد شيئا رئيسا في وعي الشعوب، وأصبح لدينا «جوجل» هو الذي نرجع إليه في الأمور كافة، وعندما يريد الشخص أن يعرف أي قضية يلجأ إليه، وحوامل المعرفة لم تعد هي المجلة أو الكتاب فقط، بل أصبحت وسائل أخرى جديدة جدا تحتاج إلى أن تواكبها. وفي رأيي، فإن «الوعي الإسلامي» وغيرها من المجلات الإسلامية يجب أن ترقى في أدائها لتستكمل هذه الأدوات لمخاطبة النشء، لذلك نحن الآن أدركنا أن هناك فجوة بين الأجيال، وحاليا كثير من الشباب يهتمون بالدخول على تطبيقات قد تكون غير تربوية وغير هادفة، فأنشأنا «ألكسو Apps»، ونظمنا مؤتمرات في تونس ومصر والسعودية وقطر، ندعو فيها الشباب إلى الاشتراك في مسابقات، تستقبل ما يخترعونه ويرسلونه إلى لجنة في كل دولة خاصة بالمنظمة لتقييم التطبيقات واختيار ٤ أو ٥ مشاركين، نمنحهم جوائز تصل إلى ٥٠ ألف دولار، ثم توضع هذه التطبيقات على هذه المنصة، فمن هنا، ارتقينا في طريقة مخاطبة الجيل، وأصبحنا نخاطبه بما يفهم، وأدعو المؤسسات الإعلامية إلى أن تدخل في هذا الميدان، ومخاطبة هذا الجيل بالوسيلة الإلكترونية، فالآن كل شاب معه قرين، وهو الهاتف المحمول.

● شهدت مؤخرا الاحتفال بيوم المخطوط العربي، فما القيمة التي تحملها الاحتفالية للمخطوط؟

– الاحتفال يلفت نظر الناس إلى أهمية المخطوطات، هذه الاحتفالية لم تكن موجودة قديما، وأنا الذي اقترحتها كوني من المتخصصين في هذا المجال، ولذلك اقترحت منذ العام ٢٠١٣م أن يكون للمخطوط يوم سنوي، هو الرابع من أبريل من كل عام، لأنه يوافق يوم إنشاء معهد المخطوطات. كل دول العالم تقريبا حريصة على اقتناء هذه المخطوطات. وكان من بين خطط الدول الاستعمارية قديما أن تحصل على هذه المخطوطات لما لها من قيمة أثرية، ثم لما لها من دلالات يمكن استخراجها من حالة العصر في وقتها، وما فيها من علوم كثيرة، لأن المخطوطات كانت هي الوسيلة التي انتقلت بها العلوم العربية إلى أوروبا، ونحن في بلادنا مع الأسف فرطنا في كثير من المخطوطات.

وهذا المخطوط الذي نجد له فهارس كثيرة، سواء في دار الكتب المصرية أو في تركيا وأوروبا، لا يمثل إلا ١٥ أو٢٠٪ من عدد المخطوطات الموجودة في العالم، فلم يستطع أحد حصرها.

وأول خطوة يجب أن نفعلها هي العمل على حصر هذه المخطوطات وكتابة عناوينها وتخصيص فهارس خاصة بها، وتخرج بعثات لكل دولة قد تستمر شهرا أو شهرين، وتزور جنبات الدولة وتستكشف المكتبات الخاصة، حتى نجد أنه لدى بعض الأسر مخطوطات، وهناك مخطوطات كثيرة في إيران والهند وغيرها من الدول.

ثم تشجيع النشء والشباب على الاهتمام بهذا التراث، حيث إنه يرسخ في نفوسهم الانتماء ويعرفهم كيف كان أصحاب المخطوطات علماء ومحبين للبحث العلمي والدراسة ولا يسعون وراء شهادات ولا مناصب، عكس ما هو قائم في الوقت الحالي.

بذور الخير.. في أمة محمد ﷺ

مياسة النخلاني
كاتبة يمنية

الحقيقة التي لا يمكن نكرانها أننا مللنا من البرامج التلفزيونية والمقالات والأحاديث التي تحاول أن تثبت وبالأدلة الدامغة أن الأمة العربية الإسلامية فقدت وبشكل مخيف مكانتها التي كانت، سيما بعد أن تجردت من الأخلاق المحمدية التي أتى عليه أفضل الصلاة والسلام ليربينا عليها.

الأغلب إن لم يكن الجميع يندد بما آل إليه حالنا، ويحاول أن يثبت أن الغرب أفضل وأنزه وأكثر خلقا منا، وأصبحت مهمة البرامج التي تبثها الفضائيات ويتابعها الملايين ترسخ في عقولنا بأننا أتباع محمد ﷺ ما عاد فينا خير، وأن أخلاقنا أصبحت في الحضيض!

لا يمكن الادعاء بأنهم كاذبون، لكن كل ما يفعلونه أنهم يسلطون الضوء على جانب واحد من جوانب تلك المجتمعات، متعمدين إخفاء الوجه البشع للمجتمع الغربي، بينما يكاد يكون الجانب الإنساني لديهم معدوما وتضعف نسبته يوما بعد يوم، ومازال بعض متحدثينا وكتبتنا مصرين على أن يشعرونا بالفارق المهول بيننا وبينهم، وكأننا أصبحنا عشرين نقطة على الشمال، ولا يمكن أن نحقق أو أن نكون رقما إيجابيا في هذه الحياة.

لأمثال هؤلاء أقول: بعض الإنصاف يرحمكم الله.. فرغم حالات اليأس والإحباط ورغم كل ما يقال بأن أمتنا العربية والإسلامية أصبحت تفتقد أخلاقيات الإسلام، وتحولت إلى إمعة تتبع الغرب؛ حتى إن قادنا إلى جحر ضب، لكن من منا لا تصادفه مواقف ومشاهدات يومية تؤكد له أن أمة محمد ﷺ مازالت تنبض بالحياة على الرغم من كثرة الأمراض التي تهاجمها، فلاتزال الأمة المحمدية، ولو بنسب متفاوتة هي أمة الأخلاق الكريمة والطيبة الفطرية والشهامة والرحمة، ولو بنسبة ١٪، هذه النسبة من شأنها أن تكبر وتتضاعف إن عدنا إلى تعاليم ديننا الحنيف، دين الأخلاق والمعاملة الحسنة، وكما قال الحبيب المصطفى ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

ما دعاني لأكتب هذه الكلمات هو رغبة حقيقية للتغريد خارج السرب ولو قليلا، خاصة بعد أن حدث لي موقف قبل أيام، فبينما كنت أغادر أحد المراكز التجارية، استرعى انتباهي لافتة معلقة على الواجهة الزجاجية مكتوب عليها «من فقد كيسا به مصوغات ذهبية فعليه الاتصال على الأرقام التالية...»، حينها شعرت بالفخر أن يكون بيننا أمثال هؤلاء المتصفين بالأمانة، من يراعون الله تعالى في ما يقع بأيديهم، ولا يزحزحهم عوزهم ورقة حالهم عن أمانتهم، وهذه ليست المرة الأولى التي أصادف فيها مثل هذه الإعلانات، فبين الحين والآخر تقع عيناي على ورقة معلقة على جدار محل أو زجاج وسائل المواصلات العامة، يعلن أصحابها عن عثورهم على مستندات، مال، مصوغات، ويطالبون أصحابها بالاتصال بهم، وأحيانا صور أطفال ضائعين عن ذويهم، ويحاول هؤلاء إعادتهم بكل ما يملكون من قدرة.. قد تكون نسبة هؤلاء قليلة لكنهم موجودون، وأحيانا كثيرة يكونون من أصحاب الدخل المحدود، وربما المعدوم، لكن رصيدهم من الأخلاق والأمانة وعفة النفس عالية جدا، حينها شعرت أن أمتنا رغم ما وصلت إليه الآن لاتزال بذور الخير مغروسة فيها.

تعزز لدي هذا الاقتناع بعد أن شاهدت قبل فترة وجيزة مقطع فيديو انتشر على موقع اليوتيوب أجرى من خلاله بعضهم تجربة بسيطة في مجتمع غربي، في مواقع متحشدة بالمارة، وقاموا بتكرار مشهدين تمثيليين في أوقات متفرقة، في المشهد الأول يتحرش أحدهم بفتاة كاشفة الرأس فيمضي الناس من أمامهم دون أن يتحرك أحد لنصرة الفتاة.. الموقف نفسه تكرر في مشهد آخر، لكن الفتاة هذه المرة لبست ثيابا محتشمة وغطت رأسها بوشاح، ففي كل مرة يتحرش بها الرجل يهب ناحيتها شبان يبدو أنهم مسلمون يدافعون عنها ويوقفون المعتدي عند حده، وهذه هي النخوة

والشهامة التي ليست من صفات أحد إلا أتباع النبي محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، بغض النظر عن جنسياتهم وعن المجتمعات التي أتوا منها.

لذا ومن منطلق النظر ناحية الجزء الممتلئ من الكوب، ولنترك جانبا ولو لبعض الوقت ذلك الجزء الفارغ حتى وإن كان أكثر من النصف.. طرحت سؤالا بسيطا على البعض، أستطلع رأيهم: هل يتذكرون موقفا حدث لهم أو أمامهم شعروا من خلاله بأن هناك من لايزال محافظا على قيم الإسلام في حياته ومعاملاته.. فتحدث طه ياسين الخامري – طالب يمني في ألمانيا قائلا: عدت إلى اليمن في زيارة قصيرة، وخلال الأيام الأولى لزيارتي شعرت بألفة وبراحة نفسية عميقة، خاصة مع تلك الابتسامة التي أجدها في وجوه الناس، خاصة أني عدت للتو من مجتمع يكاد يكون جامد الملامح والتفاصيل، بالتأكيد حدثت مواقف كثيرة أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، أني في أحد الأيام قدت السيارة عائدا مع عائلتي من زيارة بعض الأقارب، وفجأة توقفت السيارة في منتصف الطريق لأني نسيت أن أملأها بالوقود، كان موقفا محرجا، خاصة أن الوقت ليلا ولازلت بعيدا جدا عن البيت، لكن لحسن الحظ وجدت سيارة أجرة تمر من جانبي فأوقفت السائق وطلبت منه أخذي إلى أقرب محطة وقود، فأخبرني أن أقرب محطة على مسافة نصف ساعة بالسيارة، وقد لا نجد فيها وقودا، وحينما ارتسمت علامات الانزعاج على وجهي ابتسم وهو يمسك بي من يدي ويصطحبني إلى حقيبة سيارته ويخرج منها جالون وقود إضافي يضعه للطوارئ، وكم كانت دهشتي حينما رفض أن يتقاضى ثمنه، مؤكدا أن نجدة المحتاج لا تباع بثمن!

أما ثناء مصطفى، مهندسة حاسوب فتقول: أتذكر موقفا حصل أمامي بالفعل، كان لدي صديقة مرت بظروف صعبة للغاية، وساءت نفسيتها جدا بعد وفاة شخص عزيز على قلبها، قذفها في أتون الحزن والألم والعزلة التامة عن المجتمع حولها، وفي محنتها وقف أحد جيرانها وزوجته معها، من خلال التخفيف عنها وأيضا عبر محاولة البحث عن عمل لتشغل نفسها به وتبتعد عن دائرة الحزن التي حبست نفسها داخلها، وحدث هذا بالفعل دون أن يخبراها أنهما من وفرا لها هذا العمل حفاظا على مشاعرها، ساعتها فقط شعرت أن الدنيا لاتزال بخير، وأن هناك أناسا لم تنزع الإنسانية من قلوبهم.

قلب حنون

بينما تسرد فتحية فهمي مربية في دار أيتام «تعز» أحد المواقف قائلة: أتت إحدى السيدات المتبرعات للدار ومعها صديقتها، فمرت ببعض اليتيمات وكان بينهن طفلة لا تتجاوز العامين من عمرها.. تبكي، سألتنا عنها فأخبرتها أنها أتت إلى الدار قبل أيام من «صعدة» بعد أن فقدت والديها، ولا يعلم لها أهل غيرهما، حضنت السيدة الطفلة وأخذت تهدهدها حتى سكتت، وتوسلتنا أن تتبناها وتأخذها إلى بيتها، لكن قوانين الدار لا تسمح بأخذ الأطفال خارج الدار، وتسمح فقط بالتبرع لهم، أغرقت الدموع وجه السيدة وهي تعيد لنا الطفلة، وتقول: ليس لدي إلا ما يكفيني وأطفالي، أعطوني إياها وسأربيها مع أطفالي وأعتني بها قدر ما أستطيع، لازلت أذكرها وهي تغادر الدار عاجزة عن كفكفة دموعها، ولولا قوانين الدار لأعطيتها الطفلة، فلا أظن أنها ستجد أما أكثر حنانا منها.

إحساس بالمسؤولية

واقعة أخرى تسردها نهى قاسم – موظفة قائلة: خرجت رفقة أختي إلى السوق وركبنا الباص، وبعد لحظات ركب رجل كبير في السن وهو يجبر طفلا صغيرا لا يتجاوز السابعة على الركوب، بدا عليه أنه رجل محترم، لكن طريقة تعامله مع الطفل وبكاء الطفل ورغبته الملحة بالنزول أثارت فينا الشك والريبة، بدأ يضرب الطفل ليسكت، فنهرته، سألته عن قرابته للطفل فقال إنه ابني، لم أصدقه فهو أكبر من أن يكون له ابن بهذا العمر، ونفور الولد منه لا يوحي بأنه والده حقا، حاولت استجواب الطفل لعلي أفهم ما يحدث أو أملك مسوغا لأنتزعه منه، لكنه لم يتفاعل معي أو يترك لي فرصة المساعدة، شعرت بالحيرة حينها وبكاء الطفل يتزايد، لحظات وتوقف السائق جانبا وهبط متجها ناحيتنا، ودون أن يسمح للرجل بالمقاومة انتزع منه الطفل وأركبه بجانبه، والغريب أن الطفل بمجرد أن أصبح بجانب السائق هدأ تماما وتوقف عن البكاء، وعند نزولنا طلبت منه ألا يعيد الطفل للعجوز، فقال لي: لا تقلقي لن أتركه، حينها دعوت الله أن يعيد الولد إلى أهله، وشكرت السائق من أعماق قلبي، حقيقة كان موقفا لن أنساه ما حييت.

وأخيرا لا أعتقد أن فينا من لم/ ولا يصادف من هذه المواقف التي تثبت لنا أن في هذه الأمة من لايزال يسير على خطى الحبيب محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، لايزال فينا الخير والصدق والأمانة والشهامة والرحمة.. ورغم كل شيء فإن البذرة التي غرسها فينا الصادق الأمين لاتزال تؤتي ثمارها ولو بنذر قليل، وتحتاج من يتعهدها بالرعاية لتورق وتَرِفَ وتؤتي ثمارها.

الحياة في سبيل الله

محمد فتحي النادي
باحث في الفكر الإسلامي

من أعظم الناس أجرا عند الله الشهداء الذين ضحوا بأرواحهم رخيصة في سبيل الله عزوجل، قال سبحانه: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ (الحديد: ١٩).

وقد جعلهم الله في أعلى المنازل، وبشر الطائعين لله ورسوله بأنهم سوف يكونون معهم ورفقاء لهم، فقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء: ٦٩).

وإن كرامة الشهيد عند الله عظيمة، قال رسول الله ﷺ: «ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا، وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات؛ لما يرى من الكرامة» (١).

هذا الشهيد الذي تحمل في سبيل الله تكسير العظام، وتقطيع اللحم، وفقد الأعضاء؛ لتكون كلمة الله هي العليا... ليكون دينه هو الغالب.... ليكون الحق ظاهرا على الباطل... ليحل العدل محل الظلم...

هذا الشهيد الذي لم يلتفت إلى عرض زائل من المغانم والسبايا، ولكنه بذل النفس والمال في سبيل الله.

ولكن هل «سبيل الله» مقصورة على الجهاد والشهادة فحسب؟

أظن أننا ضيقنا واسعا، حيث إنه إذا أطلقنا «سبيل الله» ذهبت الفهوم والأذهان إلى الجهاد والشهادة، ولكن المعنى أوسع بكثير، فهو رحب برحابة الدنيا، يسع كل الأعمال ما دامت خالصة لوجه الله تعالى.

فإنفاق المال قليله وكثيره ابتغاء وجه الله هو في سبيل الله، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (التوبة: ٣٤).

وحبس النفس ووقفها لله هو من سبيل الله، قال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ

﴿ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ (البقرة: ٢٧٢-٢٧٣).

فقوله: ﴿ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، يعني: هم الذين حبسوا أنفسهم على الجهاد في سبيل الله.

وقيل: حبسوا أنفسهم على طاعة الله.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾، يعني: لا يتفرغون للتجارة وطلب المعاش والكسب، وهم أهل الصفة.

وقيل: حبسهم الفقر والعدم عن الجهاد في سبيل الله.

وقيل: هم قوم أصابتهم جراحات في الجهاد مع رسول الله ﷺ فصاروا زمنى، حصرهم المرض والزمانة عن الضرب في سبيل الله» (٢).

والصيام لوجه الله هو في سبيل الله، قال ﷺ: «من صام يوما في سبيل الله بعد الله وجهه عن النار سبعين خريفا» (٣).

وطلب العلم لإخراج النفس والناس من ظلمات الجهل إلى نور العلم بنية خالصة لله هو في سبيل الله، فعن أنس ابن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع» (٤).

والإنفاق على الأهل لسد حاجتهم، وحفظ ماء وجههم عن السؤال، هو في سبيل الله، فقد سأل أصحاب رسول الله ﷺ: ما أنفقنا على أهلينا؟

فقال: «ما أنفقتم على أهليكم في غير إسراف ولا تقتير فهو في سبيل الله» (٥).

وكذلك السعي للإنفاق على النفس والعيال والوالدين؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: غزونا مع رسول الله ﷺ تبوكا، فمر بنا شاب نشيط يسوق غنيمة له، فقلنا: لو كان شباب هذا ونشاطه في سبيل الله كان خيرا له منها، فانتهى قولنا حتى بلغ رسول الله ﷺ فقال: «ما قلتم؟» قلنا: كذا وكذا.

قال: «أما إنه إن كان يسعى على والديه أو أحدهما فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى على عيال يكفيهم فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى على نفسه فهو في سبيل الله عزوجل» (٦).

وقد كان القول الفصل من النبي ﷺ في توضيح معنى «سبيل الله»؛ فقد أخرج عبدالرزاق عن أيوب قال: أشرف على النبي ﷺ وأصحابه رجل من قريش، من رأس تل، فقالوا: ما أجلد هذا الرجل! لو كان جلده في سبيل الله.

فقال النبي ﷺ: «أوليس في سبيل الله إلا من قتل؟»

ثم قال: «من خرج في الأرض يطلب حلالا يكف به أهله فهو في سبيل الله، ومن خرج يطلب حلالا يكف به نفسه فهو في سبيل الله، ومن خرج يطلب التكاثر فهو في سبيل الشيطان» (٧).

وقد فهم مجاهد ذلك عن رسول الله ﷺ فقال: ليس سبيل الله واحدا، كل خير عمله (٨) فهو في سبيل الله (٩).

إن الشهيد في سبيل الله لعل شهادته تكون راحة له من عناء الدنيا ونصبها وشقائها، ولكن طريق الجهاد طويلة.

فالصديق أبوبكر رضي الله عنه كان عونا لرسول الله ﷺ، وناله الأذى الشديد في ماله ونفسه وعرضه، ولم ينل الشهادة في سبيل الله، لكن حياته كلها كانت جهادا في سبيل الله.

وخالد بن الوليد الذي خاض كثيرا من المعارك، وأصيب فيها، مات على فراشه، فكانت حياته كلها في سبيل الله تعالى.

وعمرو بن العاص فاتح البلدان، والذي نحسب أن مسلمي مصر والشام من الفتح إلى قيام الساعة في ميزان حسناته، لم يمت في ميدان المعركة، ولكن معركته في الحياة كانت ممتدة حتى وافاه أجله على فراشه.

لذلك قال ربنا جل وعلا: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: ٢٣).

هوامش

(١) أخرجه البخاري.
(٢) تفسير الخازن، (٢٠٧/١)، وانظر: تفسير البغوي، (٣٣٧/١).
(٣) أخرجه البخاري.
(٤) أخرجه الترمذي.
(٥) أخرجه ابن أبي شيبة عن الحسن مرسلا.
(٦) أخرجه البيهقي.
(٧) أخرجه عبد الرزاق.
(٨) كان يتحدث عن رجل معين.
(٩) أخرجه ابن أبي شيبة.

رئيس التحرير يتوسط الحفني وبعض العاملين هناك

مفتي مقاطعة إكسانتي في اليونان لـ«الوعي الإسلامي»:

قرابة المليون مسلم يعانون التنصير والتشكيك في العقيدة

حوار: فيصل يوسف العلي
تصوير: هدايت الله نثار

يتركز مسلمو اليونان في ثلاث مقاطعات شمالا بالقرب من الحدود التركية، هي: إكسانتي وقوموتيني والكنوريوليس، إضافة إلى العاصمة أثينا التي تضم حوالي ٨٠٠ ألف مسلم من غير اليونانيين.

وعلى الرغم من وجود دار إفتاء في كل مقاطعة تعين المسلمين فيها على أمور دينهم، فإن قرابة المليون مسلم يعانون في سبيل ممارسة عقيدتهم كما يتمنون.. «الوعي الإسلامي» في زيارتها أخيرا إلى الجمهورية التركية التقت الشيخ أحمد متة، مفتي مقاطعة إكسانتي منذ تسع سنوات، والذي درس وتخرج في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة ١٩٩١م، وسألناه عن أوضاع إخواننا المسلمين هناك، وعن حرية ممارسة شعائرهم في ظل ندرة المساجد والقوانين التي تحكمها وتحكمهم.

● ما أوضاع المساجد في اليونان، وهل يرفع الأذان فيها؟

– المساجد موجودة في اليونان في مناطق المسلمين، ويرفع فيها الأذان ولله الحمد، ولكن كثيرا من التحديات تواجهنا، منها التنصير ومشاريع تهدف إلى التشكيك في العقائد، لكن المسلمين في اليونان بالمجمل أقلية محافظة متدينة.

● هناك مفت لكل مقاطعة فما الصعوبات التي تواجه دور الإفتاء في اليونان؟

– أصعب ما مر علينا في هذا الشأن ما يمكن تسميته ازدواج العمل بالإفتاء، فالمفتي كان يتم تعيينه بالانتخاب من قبل لجنة إسلامية، كما حدث في عامي ١٩٨٥م و١٩٩٠م، ولكن فيما بعد تدخلت الدولة، وأرادت أن تعين مفتيا من دون اختيار المسلمين، وفعلا عينت الدولة مفتيا من قبلها، وعين المسلمون مفتيا من قبلهم بالاختيار، إذ إن من الأمور المتفق عليها بين المسلمين في اختيار المفتي أن يتم تعيينه بالاختيار، ويبقى في منصبه مدى الحياة، ولأنه لا ميزانية محددة لهؤلاء الأئمة، فإن رواتبهم تتكفل بها الجمعيات الإسلامية والأهالي.

طلاب الشريعة في قوموتيني

حضر جلسة الحوار الشيخ إبراهيم الشريف، مفتي مقاطعة قوموتيني منذ خمس وعشرين سنة، وقد درس وتخرج في الجامعة الإسلامية في إسطنبول سنة ١٩٨٠م، وقد أفاد بأن نحو ٣٣٠٠ طالب يتعلمون أحكام الشريعة في مساجد قوموتيني.

● كم عدد المسلمين في المناطق الثلاث؟

– يبلغ عدد المسلمين في هذه المناطق ١٥٠ ألفا، وجميعهم يحملون الجنسية اليونانية، بينما يوجد في أثينا ٨٠٠ ألف من غير اليونانيين، وأوضاعهم أصعب.

● ماذا عن تنقلاتكم بين إسطنبول والمناطق الإسلامية في اليونان؟

– التنقلات ميسرة ولله الحمد، ولا توجد أي عقبات.

● كم عدد المساجد في اليونان؟

– في اليونان حوالي ٣٥٠ مسجدا موزعة على المناطق الثلاث المسلمة، والعديد من هذه المساجد بحاجة إلى ترميم. أما أئمة المساجد، فهم متخرجون في العديد من الجامعات الإسلامية (تركيا – المدينة المنورة – مصر – سوريا – وبعض البلدان العربية).

● هل هناك مدارس إسلامية لتعليم شعائر الدين والأحكام الشرعية في اليونان؟

– للأسف، لا توجد مدارس من هذا النوع حاليا، ونحن نرسل أولادنا إلى إسطنبول أو إلى السعودية لتعليمهم القرآن وأحكام الدين.

● هل يعاني مسلمو اليونان في سبيل أداء فريضة الحج؟

– نعم، نمر بصعوبات كثيرة، خصوصا بعد رفض الترخيص لشركات الحج، مما يضطرنا للذهاب إلى البلاد المجاورة أو التعاقد مع شركات حكومية بأموال مضاعفة، ولكن بالنهاية؛ الناس يحجون بصعوبة كل عام، وفي السنوات الأخيرة، وبسبب الأزمة الاقتصادية؛ قل عدد الحجاج.

● هل في المدارس العامة دروس شرعية للمسلمين؟

– كان هذا موجودا سابقا، أما الآن فقد غيرت الدولة المناهج ومنعت المواد الشرعية، ولكننا بادرنا إلى تعليم أولادنا الدين عن طريق حلقات المساجد ولله الحمد، فنعلمهم القرآن والفقه الحنفي والعقائد.

العولمة والأزمة الأخلاقية

د. آندي حجازي
تخصص علم النفس التربوي

إن المتأمل اليوم للواقع يرى أن العالم باتت تسوده العولمة بكل معاييرها ومبادئها، وبما تحمله من إيجابيات وسلبيات، وبات الإنسان يشعر بأن المادة أصبحت هي المسيطرة على حياة الشعوب وتفكير الأفراد، المادة بما تشمل من معرفة واختراعات وإنتاجات وبضائع ومحسوسات على أرض الواقع. والمعضلة من سيادة المادة أن تعم المصلحة والمنافع الدنيوية والشخصية قبل أي منفعة أخرى، وأن تتعارض مع ما يرضي الخالق تعالى ومع الأخلاق السامية الراقية، لأنها تفقد غذاء الروح، وتجعل الإنسان يلهث وراء المادة وحاجات الجسد والشهوة من دون أن يتطلع إلى حاجاته الروحية.

إن انتشار العولمة وسيادتها يجعلان الأمم ترضى بكل ما تفرضه عليها العولمة من متغيرات ومن فقد للهوية الوطنية والثقافية والدينية لأبناء المجتمع، فاليوم مع سيادة العولمة بدا الصراع كبيرا بين الثبات على المبادئ والقيم الأخلاقية الرفيعة وعلى الهوية الثقافية للمجتمعات والأفراد، وبين الانصهار في بوتقة العولمة وما ألقت علينا من أخلاق دونية، وأثقلت كاهلنا بوسائل تكنولوجية باتت تغير في عقول الصغار والكبار وتتلاعب بها وفق ما تشاء؛ ومن هنا بدأت تظهر في حياتنا أزمة أخلاقية واضحة المعالم.

في الماضي القريب جدا كنا ننظر إلى الرقي الغربي على أنه رقي في القيم والأخلاق أيضا، وبدأنا ننقل عنهم أنها أمة تتميز بجوانب أخلاقية مقدرة، كاحترام النظام والوقت والدور والدقة في المواعيد والصدق في القول والأمانة في التجارة والاحترام للإنسان، ولكننا مع مرور الوقت أصبحنا ندرك أن التزامهم بتلك الأخلاق إنما هو بسبب مصالحهم الشخصية، لأن تلك الأخلاق تحقق لهم المكاسب والمنافع الدنيوية والتجارية، فإن تعارضت معها فلا مشكلة من

الانقلاب عليها! وقد نسينا، أو ربما بجهل منا، أن تلك الأمة لم تقم على حضارة يوما، بل بالعكس، قامت على إبادة حضارة أهل البلاد الأصليين (الهنود الحمر)، وسرقة بلادهم، والتخلص منهم في إبادات جماعية، ثم نقول إنها حضارة تحترم الإنسان وتقدره! أية مفارقة؟! تلك الإبادة الجماعية تكررت في العراق وفي أفغانستان وهيروشيما ونكازاكي في اليابان وفي عدة دول... فأين هذا الرقي الأخلاقي؟!

بل انظر إلى التفرقة التي قامت على أساس اللون الجسدي للبشر؛ فكم عانى الأشخاص ذوو البشرة السوداء في الولايات المتحدة من الذل والمهانة والعبودية والاحتقار والتعذيب والتفرقة! فلعهد قريب كانت لا حقوق لهم، ولا مدارس تجمع بين البيض والسود، ولا جامعات، ولا وسائل مواصلات مشتركة، ولا أسواق، ولا حتى كنائس مشتركة! فمثلا حدث أن أخطأ رجل أسود البشرة فدخل كنيسة من كنائس البيض في أميركا، والتي يفترض أنها مكان لنشر القيم والعدل والمساواة بين البشر، وكان القسيس يتحدث فرأى هذا الرجل الغريب عنهم يدخل الكنيسة فامتعض، وأخرج ورقة وكتب فيها كلمات وأرسلها إليه، وحينما فتحها ذاك الرجل الأسود البشرة وجد بها: «إن عنوان كنيسة السود في شارع كذا»! فأي حضارة تلك التي نتشدق بأنها كرمت الإنسان وتحترم حقوقه ونتمنى العيش في أوساطها.

ما يهمنا هنا ليس هو انتقاد أمة؛ ولكن كفانا - نحن المسلمين أعظم أمة - تعلقا بأحبال من خيوط العنكبوت بأن تلك الحضارة الغربية (ذات الأزمات الأخلاقية الفادحة من شرب خمر وقتل وزنا وقمار ولواط وتعر للأجساد وتمييز عنصري..) هي ما تستحق التقدير والإعجاب والاقتداء. قد يكون لديها ما يستحق التقليد والتقدير، كاحترام المواعيد والنظام والاهتمام بالعلم والاختراع والتكنولوجيا، ولكن العلم الحقيقي هو ما يبني القيم الإنسانية الراقية ويرتقي ويسمو بها، وهو ما يجعل للحياة معنى ساميا راقي المبتغى يرضي خالق البشرية؛ لا ما يوصل إلى هوة أخلاقية تجعل في حياة البشر فراغا روحيا مدمرا طويل المدى، ويدعو إلى الاكتئاب والانتحار لدى الكثيرين!

هوة أخلاقية

إنها هوة أخلاقية أو أزمة أخلاقية وصلت بالعالم الغربي اليوم إلى الشذوذ الجنسي والتعري والفضائح الجنسية والأفلام الإباحية، وإلى انحطاط إنساني، بل حتى عالم الحيوان يأباها، ففي قصة لعالم أجنبي أراد أن يراقب سلوك النسور، فأقدم على تجربة ذات مرة؛ بأن استبدل بيض طائر آخر في العش ببيض النسر في لحظة غياب الأم عن البيض، وعندما عاد النسران (الذكر والأنثى) وشاهد الذكر ذلك البيض، طار مسرعا ثم عاد برفقة مجموعة من النسور الأخرى وأخذت تضرب أنثى النسر ضربا شديدا على جناحيها وجسدها حتى ماتت، والباحث يراقب ويصور ما يحدث في ذهول، بل ورأى النسر الذكر يأخذ البيض الغريب ويطير به ثم يرميه من أعلى رافضا وجوده في عشه.. فانظر، أيها القارئ، كيف بالطير يرفض تلك السلوكيات اللا أخلاقية من أنثاه لدرجة قتلها، فكيف بنا في زماننا وقد وصلت الإباحية في عالم البشر اليوم إلى درجة لم تصلها الكثير من الأمم السابقة البائدة، لدرجة تستجلب غضب الله تعالى.

حضارتنا هي الأصل

ما صدرته لنا العولمة ووسائل التكنولوجيا جعلنا نبتعد خطوات كثيرة عن قيمنا وأخلاقنا الإسلامية العظيمة وضرورة الاعتزاز بها وبعظمائها، بل وأقنعتنا بأنها الأعظم أخلاقيا، وأنستنا حضارة عظيمة قامت أساسا على الأخلاق، فقد قال رسول الله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، مما يعني أنه كان في الأمة العربية وقبل الإسلام شيء من الأخلاق التي يعرفون بها، كالكرم والنخوة والشجاعة والفروسية والفطنة والصدق والإخلاص وحسن الجوار، فجاء الإسلام ليكمل تلك القيم الأخلاقية العظيمة ويؤكد عليها، والتي امتدح الله تعالى الأمة العربية والإسلامية بها: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران:١١٠).

فخذ مثلا حاتم الطائي، الذي اشتهر بكرمه الواسع، حتى إن رسول الله ﷺ امتدحه يوما، حينما سبيت ابنته في إحدى الغزوات، فاستنجدت برسول الله ﷺ قائلة: يا رسول الله، امنن علي، من الله عليك، فقد هلك الولد، وإني بنت سيد قومي، كان أبي يفك الأسير ويحمي الضعيف، ويقري الضيف، ويشبع الجائع، ويفرج عن المكروب، ويطعم الطعام، ويفشي السلام، ولم يرد طالب حاجة قط، أنا ابنة حاتم الطائي. فقال لها رسول الله ﷺ: «يا جارية، هذه صفة المؤمن، لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه». ثم قال لأصحابه: «خلوا عنها، فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق».

وتأمل كيف رفض سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يأخذ من بيت المال ما يصلح شأنه بعد عرض المسلمين

ذلك عليه، وهو يقول: «كيف يعنيني أمر الرعية إذا لم يمسني ما يمسهم». وانظر كيف كان يتسابق مع سيدنا أبي بكر الصديق في خدمة امرأة عجوز لا معين لها، وهما قادة الأمة! أي عظمة تلك؟ وانظر إلى رحمة سيدنا عمر حينما رفع الجزية عن رجل طاعن في السن من أهل الكتاب رآه يسأل الناس الصدقة فقال: «والله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته ثم نخذله في الهرم»، فرفع الجزية عنه وعن أمثاله من كبار السن من اليهود والنصارى!

وكم وردت آيات في القرآن الكريم تحث على مكارم الأخلاق فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ (النحل:٩٠)، وقال: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾ (لقمان:١٧)، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ٧٢﴾ (الفرقان:٧٢) وقال أيضا: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ (الأعراف:١٩٩)، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ (آل عمران:١٣٤)، وامتدح الله تعالى رسوله ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ (القلم:٤).. والكثير من الآيات لا يتسع المجال لذكرها جميعا تحث على الأخلاق السامية. وورد الكثير من الأحاديث النبوية في ذلك، فقال عليه الصلاة والسلام: «إن العبد ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم» (رواه الترمذي في سننه). وقال عليه الصلاة والسلام: «وأنا زعيم بيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه» (رواه أبوداود في سننه).

وانظر إلى ارتباط الأخلاق بالعبادات في الإسلام، فقد جاءت العبادات لتهذب الأخلاق، لأن الأخيرة تحتاج إلى التربية والتهذيب والمراقبة، فقال تعالى عن الصلاة: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ..﴾ (العنكبوت:٤٥)، والزكاة تؤخذ من الأغنياء لتعطى للفقراء لتطهير النفس من أدران البخل والشح والأنانية، أما الصوم فقال رسول الله ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» (صحيح البخاري)، والحج قد لا يقبل بسوء الخلق أثناء أداء مناسكه، قال الله تعالى: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ﴾ (البقرة:١٩٧).

معالم الأزمة الأخلاقية

واليوم باتت تتصدر حياتنا، في كل مناحيها، أزمة أخلاقية واضحة المعالم، نتيجة البعد عن التمسك بمبادئ ديننا الحنيف وأخلاقياته ونماذجه العظيمة، ونتيجة تمسكنا بمبادئ العولمة التي بثت أفكارها الماسونية والليبرالية العالمية والإلحادية وحركات الإلحاد والعلمانية، فكلها دعمت العولمة التي اجتاحت بيوتنا وشعوبنا، فبدأت المحطات الفضائية ووسائل الإعلام، المرئية والمسموعة، تتلاعب بعقولنا وأفكارنا، وتبعدنا عن هويتنا الإسلامية. والأدهى والأسوأ، تتلاعب بعقول أبنائنا الناشئين، فتبهرهم بفنونها وأسماء مشاهيرها الذين باتوا القدوة للكثير من الشباب؛ قدوة في مأكلهم وملبسهم وقصات شعرهم وشكلهم، ومنحى حياتهم واهتماماتهم ورغباتهم.

ومع غياب الدور الأسري اللازم في توجيه الأبناء أصبحت المحطات الفضائية، التي لا تعد، والإنترنت ووسائل التكنولوجيا بما تعرضه، هي الموجه والمعلم والمسيطر، فتفاقمت الأزمة الأخلاقية.. فأصبحت ترى - على سبيل المثال - أبناء لا يهتمون لرضا والديهم؛ يرفعون أصواتهم فوق صوتهم، ويجيبونهم بإجابات في قمة اللا تهذيب واللا مبالاة بحقوق والديهم! وأصبحنا نسمع كثيرا عن طلبة لا يحترمون معلمهم، ولا يقدرونه، ويتعاملون معه وكأنه أجير لديهم! وكذلك لم تعد ترى الأطفال الصغار يقومون من مجلسهم احتراما لحضور الكبار أو من أجل أن يجلسوا في أماكنهم.. أين ذهبت تلك الأخلاق الراقية؟! لقد بدأت تذوب في بوتقة مبادئ العولمة، فأضحى الكبر يغلف سلوكياتنا، وكأن احترام الكبار هو إهانة للصغار، أو تقبيل يد الكبير أصبح ينظر إليه وكأنه شيء من التراث، وكذا تقبيل أيدي الوالدين! فقد استقينا ثقافتنا من ثقافة المادة والتكنولوجيا؛ لا ثقافة الحب والاحترام والتقدير.

وقد برزت سلوكيات في عالمنا توحي بحجم الأزمة الأخلاقية التي نعيشها، فمثلا ترى الصراعات المستمرة بين الإخوة، صراعات تبدأ منذ الصغر، منشؤها الغيرة والتفرقة بين الأبناء والبعد عن فهم الدين، وعدم متابعة

الآباء لسلوكيات أبنائهم لتوجيههم ونصحهم، فبدأت الأزمات بين الإخوة تطفو على السطح، كاستيلاء الأخ على ميراث إخوته ظنا منه أن هذا نوع من الذكاء؛ وهو لا يعلم كم يعكس من دنو أخلاقي، انتهاء بهم في المحاكم أو الإيذاء أو أن يقتل بعضهم بعضا! فلم تعد الروابط الأسرية والعائلية كما كانت سابقا، فقد دخلت عليها شوائب كثيرة أفقدت الإخوة كثيرا من رونقها، ويجب علينا مراجعة أنفسنا لأجلها وتصحيح مسارنا.

وانظر كيف أصبحت التهاني ومساندة الإخوة والأقارب تتم برسالة نصية وهم يسكنون في المدينة نفسها، فيتم الاكتفاء بالتهاني والتعازي التي توضع على الفيسبوك أو برسالة عبر الواتسآب وما شابه، في إهمال منا لأهمية صلة الرحم والمودة الحقيقية بين الأقارب، والأحاديث التي تحث عليها، كقوله عليه الصلاة والسلام: «إن صلة الرحم وحسن الخلق يعمران الديار ويزيدان في الأعمار» (رواه أحمد). وفي الحديث القدسي أن الله تعالى قال للرحم: «ألا تحبين أن أصل من وصلك، وأن أقطع من قطعك؟».

وفي صورة جلية للأزمة الأخلاقية التي سادت حياتنا، لابد أنك مررت بشخصية أو أكثر لمدير مؤسسة ما، جل همه هو مصلحته الشخصية واكتساب المال أو السفرات، بعيدا كل البعد عن تطوير مؤسسته أو موظفيه وجر المنفعة لهم، وأغلب اجتماعاته مع موظفيه نظرية متكررة الفكرة لا طائل منها.. وفي الجانب المقابل؛ لابد أنك رأيت موظفا يحاول أن يخادع ويراوغ ويقصر ويماطل في عمله معتقدا أن لا أحد يعلم بما يفعل، أو أن هذا نوع من الذكاء و«الفهلوة»، كما يطلق البعض عليها! وهنا لا ننكر أن الغرب والأجانب بالفعل تفوقوا علينا في هذا الجانب؛ نتيجة إخلاصهم في العلم وصدقهم في العمل، والذي من المفترض فينا كأمة إسلامية أن نكون القدوة في هذا الصدق، والإخلاص في العمل، كما كان عظماء المسلمين على مر الزمن.

وللأسف، إن هذا الخداع والغش باتا ينشآن مع أبنائنا منذ الصغر، فلا والد يردع، ولا أم تعلم وتصحح، بل تتفاخر مع جليساتها بما لدى ابنها من أساليب في الغش، وكأنها دليل دهاء! فكيف سيكون هذا الطفل مستقبلا؟! حتما سيمارس الغش في عمله، وفي تجارته، ومع زوجته، وأبنائه، ومجتمعه.. وهذا ما أصبحنا نعيشه.

المحطات الفضائية

من جانب آخر؛ ترى كثير من المذيعين ومديري البرامج التلفزيونية لم يعودوا يتحرجون من طرح أي موضوع في البرامج التلفزيونية، وعلى الهواء، بحجة التثقيف والتنوير أو إيجاد الحلول، فبات الصغير يفهم كثيرا من الأمور التي كان الكبار في الماضي يتحرجون من ذكرها فكيف بالخوض فيها؟! أما اليوم فلا حرج من شيء! فالأب يعجب بكلام ذاك المذيع أو يقدر تلك المذيعة الكاشفة عن رأسها وبكامل حلتها وزينتها، وهي تقدم ما تدعي أنه موضوع مهم، بينما جل همها جذب عيون الشباب والأشخاص إعجابا بجمالها وشخصيتها... في أزمة أخلاقية حقيقية، فلم يعد هناك رجل يقتنع بجمال زوجته، فما يراه ويشاهده في التلفاز من تزيين وعمليات تجميل ومغنيات كاسيات عاريات، يجعل من الصعب على الزوجات متابعة كل تلك الموضات والملابس والتغيرات في شكل الوجه... إنها فتن كثيرة تصب في عقولنا الكثير من التغيرات اللا أخلاقية وتعيث فيها فسادا، وهيهات هيهات لعشرات السنوات من إصلاحها إن استمرت المعطيات ذاتها.

أزمة أخلاقية ترمي بظلالها على مناحي الحياة، تتجسد في البعد الحقيقي عن الله تعالى وعن الخوف منه، فترى تعريا من النساء في بعض البلاد العربية في الشارع والأسواق، وفي أماكن العمل، وفي التلفاز، وبين النساء أنفسهن في حفلاتهن، وفي المسابح، وفي الفيديوهات التي تنتشر... تعر زائد عن المعقول لدرجة تصل حد الفحش وغضب الله تعالى، وبشكل يدعي الحرية: الحرية الشخصية، وحرية الاختيار، وحرية السلوك! ولا يعلم هؤلاء أن هذه الحرية ما هي إلا وهم الحرية، فالحرية الحقيقية ليست ما يوصلك إلى الفحش والمنكر والبعد عن طريق الصواب، لكن الحرية هي التي ترتقي بفكرك للتحكم بعناصر حياتك لتصل إلى نتائج وأخلاق قويمة تنقذ الإنسان في آخرته، لا أن تهوي به في مهاوي الانحطاط الأخلاقي ومهاوي الردى في الآخرة!

إن التراجع الأخلاقي إن لم يتم إيقافه من قبل المربين والحد منه، فسيستمر وصولا إلى ما لا نهاية، إلا برحمة الله تعالى، وسيكون مستقبل الهوية الثقافية والدينية للكثير من أبناء الأمة العربية غامضا معتما. فعلينا العودة إلى تعاليم إسلامنا العظيم والتمسك بفضائل ديننا الربانية، والاقتداء بصحابة رسولنا ﷺ وعظمائنا الذين ضربوا أروع الأمثلة في السمو الأخلاقي، والاقتداء أولا وأخيرا بسيد البشر ﷺ، الذي كان خلقه القرآن، وأحبه كل من تعامل معه؛ لعظيم خلقه صلوات الله وسلامه عليه.

من المسؤول عنه؟

انفلات الشباب الأخلاقي

تحقيق : نشوة صالح

ما الذي يدفع بشباب الأمة العربية والإسلامية نحو الانفلات الأخلاقي؟ وكيف نعود بشبابنا إلى القيم الخلقية التي استمدتها الأمة العربية من إسلامها وعاداتها وتقاليدها؟ وما هي الآليات التي يمكن أن تتبع لحماية شبابنا من الانحراف الخلقي؟

تلك الأسئلة طرحتها «الوعي الإسلامي» على عدد من الشباب والفتيات ومتخصصين في مختلف المجالات، التربوية والاجتماعية والنفسية والقانونية والدينية، وقد أجمعوا كلهم على ضرورة حماية شباب الأمة من الجوانب غير الأخلاقية التي تحاول الدول الأجنبية بثها في نفوس أبنائنا، والتفاصيل في تلك السطور:

كان أول من التقيناه محمد أغا (طالب ثانوي)، قال إن أصدقاء السوء يلعبون دورا كبيرا في جنوح بعض الشباب المراهق نحو الانفلات الأخلاقي، لافتا إلى أنه كشاب يبتعد تلقائيا عن زمرة الشباب الذين لا يهمهم مستقبلهم ويتجهون إلى معاكسة الفتيات. وترى سماء أحمد (طالبة جامعية) أن غياب رقابة الأسرة عن الأبناء يلعب دورا مهما في تفشي الجوانب غير الأخلاقية في نفوس الأبناء، موضحة أن رقابة الأهل إذا كانت قوية سيعلم الشاب أو الفتاة أن هناك حسابا في حالة ارتكاب أي خطأ أخلاقي.

يقول محمود مؤمن (طالب جامعي) إن الانفلات الأخلاقي بين شباب الجامعات حدث ولا حرج، مستغربا أن الشاب الملتزم في هذا العصر مع شديد الأسف ينظر إليه على أنه عقلية رجعية، موضحا أن عصر الفضائيات ساهم في تفشي فساد الأخلاق بين الشباب.

ويرى فاضل عبدالرحمن (طالب جامعي) أن هناك الكثير من الشباب الملتزم والحمد لله في المجتمعات العربية، لكن المشكلة أن الشاب غير الملتزم بالأخلاق يسعى دائما لإفساد أخلاقيات الشباب الملتزمين بشتى الطرق، إما عن طريق جر الشباب للتعرف على الفتيات أو الإدمان أو إلى مشاهدة مواقع إباحية.

من جانبه، يقول رئيس حقوق الإنسان الإسلامية العالمية ورئيس المدرسة الأكاديمية العالمية المحامي مبارك المطوع، إن هناك الكثير من الشباب المسلم الملتزم والمحافظ على دينه ولله الحمد، لكن في المقابل هناك شباب بالفعل انحرف عن السلوكيات الإيجابية، وانخرط في سلوكيات غير أخلاقية متنوعة يصعب حصرها.

وأشار المطوع إلى أن القانون في حد ذاته ليس عقبة في التزام الشباب بالأخلاق من عدمه، لأن القوانين موجودة وتجرم أي فعل يرتكبه الشاب، لكن المشكلة الأساسية تكمن في الانحراف الخلقي واتباع الشباب الهوى.

وأوضح المطوع أنه، كصاحب مدرسة، يطالب بضرورة عودة الجوانب التربوية

في المدارس بحيث تساهم المناهج في تغذية عقول الشباب تربويا، مؤكدا أن العلم وحده لا يكفي، ولهذا يجب أن يتسلح شباب الأمة بالعلم والأخلاق في آن واحد.

ويؤكد الخبير في العلوم الاجتماعية د. محمد العجمي أن من أسباب تفشي الأخلاق السلبية في الأبناء زيادة معدلات الطلاق في المجتمعات العربية؛ نظرا لأن الأبناء الذين يعانون من انفصال الأب عن الأم يستسهلون السير في الطرق غير المستقيمة، مما يدفع بهم نحو الانفلات الأخلاقي بكل أنواعه، ملمحا إلى أن هذه الشريحة من الأبناء لا تدمر نفسها خلقيا فقط، بل تساهم في تدمير كل الشباب من حولها.

وطالب د. العجمي بضرورة تماسك الأسر بشتى الطرق، وأن يفكر الآباء والأمهات الذين يعيشون حياة مزعزعة في مصير الأبناء قبل أن يفكروا في الانفصال. ولفت إلى أن غياب دور مؤسسات المجتمع المدني في العالم العربي عن حل مشاكل الشباب، أصبح من الأسباب المؤدية إلى انتشار الجوانب غير الأخلاقية للشباب العربي، مشيرا إلى أن تلك المؤسسات كان ينبغي عليها أن تكثف جهودها لمناقشة قضايا الشباب، خصوصا في عصر طغيان تكنولوجيا المعلومات التي يستخدمها كثير من شبابنا في الجوانب غير الأخلاقية.

وطالب د. العجمي بتوحيد جهود كل الجهات والمؤسسات المعنية بحماية الشباب في مجتمعات العالم العربي.

ويرى أستاذ علم النفس في جامعة الكويت د. خضر البارون أن الشباب العربي يعاني الإحباط، موضحا أن المجتمعات الفقيرة في عالمنا العربي تعاني كثيرا من جملة مشاكل، مما يدفع الشباب الذي لا يستطيع الزواج أن ينحرف خلقيا ويبحث عن شهوته الجنسية بكل الطرق، لافتا إلى أن

محمد أغا: أصدقاء السوء يلعبون دورا كبيرا في إفساد أخلاق الشباب

سماء أحمد: غياب الرقابة الأسرية من أسباب فساد أخلاق الشباب

محمود مؤمن: البعض ينظر إلى الشباب الملتزم على أنه عقلية رجعية

مبارك المطوع: القوانين موجودة لردع الشباب ولكن المشكلة في اتباع الهوى

د. محمد العجمي: زيادة معدلات الطلاق تساهم في تدمير الشباب خلقيا

الكبت الجنسي يدفع الشباب والفتيات نحو الانحراف الخلقي بشتى طرقه.

ويرى د. البارون أن المجتمعات الخليجية الميسورة ماديا يعاني شبابها كذلك من جملة مشاكل تدفع بهم نحو الانحراف الخلقي، حيث إن حياة الرفاهية يتم استغلالها بصورة سلبية عندما تغيب القيم النبيلة، مشددا على أهمية أن تهتم الأسرة العربية بشكل عام بتصحيح أخلاقيات شبابها، موضحا أن الأم يمكن أن تراقب أولادها ولكن بصورة غير مباشرة، لأن هذا العصر من الصعب فيه أن يشعر الأبناء بأنهم ملاحقون من ذويهم.

أما الخبير التربوي د. عادل البحيري فقال إن دور المدرسة يجب أن يساهم في تحصين الشباب والفتيات بالقيم الأخلاقية، لأنه ما الفائدة من التعليم بلا أخلاق، مشيرا إلى أن المدرس ينبغي أن يكون قدوة أمام تلاميذه، موضحا أن المدرس الذي يدخن سيجارة أمام تلاميذه أثناء شرح الدروس فهو بذلك يعطي الضوء الأخضر للتلاميذ كي يتجهوا نحو التدخين، مطالبا بضرورة تعديل مناهج اللغة العربية والتربية الدينية في العالم العربي، مع ضرورة إدخال مناهج جديدة تساهم في دعم القيم الخلقية الإيجابية في نفوس الأبناء، وأن يعي الأبناء جيدا العواقب الوخيمة للفساد الأخلاقي من خلال عرض تجارب واقعية لهم.

ويرى الداعية الإسلامي الشيخ صالح الغانم أن غياب الوازع الديني يلعب دورا عظيما في الفساد الأخلاقي، مطالبا الآباء والأمهات بضرورة تربية أطفالهم على القيم الإسلامية، لأن الطفل كالعجينة اللينة في يد والديه، موضحا أن الإسلام اهتم كثيرا بالأخلاق، ولنذكر هنا أن الله تعالى قال لرسوله ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ (القلم:٤)، وقال الرسول ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

وأضاف الغانم أن الدول الأجنبية المعادية للإسلام تسعى بشتى الطرق إلى أن تهدم القيم الإسلامية في نفوس شبابنا المسلم، وتحاول تلك الدول نشر جوانبها السلوكية غير الأخلاقية في أوساط شبابنا المسلم عن طريق نشر الرذائل والفواحش عبر وسائل إعلامها أو عبر المواقع المختلفة، سائلا الله عزوجل أن يحفظ شباب الأمة من خبث الماكرين الساعين لتفتيت قيم شبابنا.

الضوابط السلوكية للاقتصاد

عبدالحافظ الصاوي
خبير اقتصادي -مصر

يصف البعض الاقتصاد الإسلامي بأنه اقتصاد أخلاقي، بما يضعه من ضوابط لكل الفاعلين في النشاط الاقتصادي، سواء على صعيد المستهلكين أو المنتجين، على صعيد العامل ورب العمل، أو صاحب رأس المال، أو ولي الأمر، ومن تبعه من مسؤولين في الدولة. ويتميز المنهج الاقتصادي الإسلامي عن غيره من المناهج الأخرى بالجانب الأخلاقي، فالرأسمالي لا يعنيه سوى الربح، وعلى الآخرين أن يحققوا مصالحهم بالطريقة التي يرونها، كما أن الاشتراكي تعنيه العدالة، وإن كانت على حساب ظلم الآخرين وإهدار ثرواتهم، مما يقلل حافز العمل والإبداع لدى أفراد المجتمع.

وحرص الإسلام على احترام ملكية المال، سواء كان مالا عاما أو خاصا، وجعلت الشريعة الإسلامية من المال أحد المقاصد العامة لها، فتم وضع

الضوابط الخاصة بطرق كسب المال، وكيفية التصرف فيه. ووضع الإسلام جزاء صارما لمن تسول له نفسه تجاوز الجانب الأخلاقي تجاه ممتلكات الآخرين وأموالهم، فجعل عقوبة السارق قطع يده.

ويعد الضابط الذاتي لدى أفراد المجتمع المسلم، أحد أهم الدوافع لتحكيم الأخلاق لدى الفرد المسلم في تصرفاته المالية والاقتصادية، فالنبي ﷺ ذكر في حديثه الشريف «لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع، عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أفناه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه».

ويتضح من الحديث الشريف وجود نوعين من الرقابة على تصرفات المسلم المالية والاقتصادية: الأولى رقابة قبلية حين يسعى لاكتساب المال، فهو مسؤول عن مصدر كسبه، ولابد أن يكون من الحلال واستوفى الشروط الأخلاقية التي وضعها الإسلام كضوابط لهذا الأمر. ورقابة بعدية، فبعد الحصول على المال يسأل الفرد، فيم ينفق ماله الذي اكتسبه من حلال؟

وإذ احترمت الشريعة الإسلامية حرية التصرف في المال، إلا أنها وضعت ضوابط أخلاقية لهذا التصرف، ولم تترك هذه الحرية على إطلاقها، فحرم الإسلام الإسراف في المال، أو إهلاك المال في المصارف الحرام. وقدم الإسلام أولويات للتصرف في المال، فهناك الحاجيات، أي الضرورات الأساسية، سواء للفرد أو المجتمع، فلابد أن ينصرف إليها المال، ثم التحسينات التي لا تستقيم الحياة من دونها، فحصول الإنسان على الضروريات فقط، يجعله يعاني من مشكلات لا تتفق وتكوينه النفسي، فالنفس البشرية جبلت على حب السعة. ثم المرتبة الثالثة وهي الكماليات، وهي مسألة تختلف من ظروف شخص وأحواله إلى آخر، ومن مجتمع إلى آخر، وذلك حسب القدرة المالية، وإن كان الإسراف في الكماليات تحوم حوله الكثير من المخاوف التي تجعل الإنسان ينزلق في دوائر التبذير أو الإسراف المنهي عنه.

وفي الوقت الذي احترم فيه الإسلام رغبة الإنسان في الحصول على الربح، فإنه جعل هذا الربح مشروطا بأن يكون في نشاط تتحقق منه منفعة للفرد والمجتمع، والبعد عن مجالات الإضرار بالأفراد والمجتمعات. ولا يترك الإسلام صاحب رأس المال يضرب في الأرض من أجل السعي للربح فقط، ولكنه اشترط عليه أن يكون ذلك السعي في مجالات الحلال، وفي إطار المصلحة العامة، التي تضعها الدولة للحفاظ على ثروات المجتمع وإشباع حاجاته.

وليس هذا فحسب، بل جعل الإسلام رأس المال بالكامل خاضعا لحق من حقوق المجتمع، وتحقيق العدالة الاجتماعية؛ لرعاية الفقراء والمساكين، ومن تقعد بهم قدراتهم على العمل والسعي، ففرض الزكاة؛ لتكون سياجا أخلاقيا عمليا، لا يقوم على الإحسان من قبل الأغنياء تجاه الفقراء، بل جعلها واجبا على الأغنياء يسعون إلى أدائه، وحقا للفقراء يسعون إلى الحصول عليه من دون إهانة أو انتقاص من إنسانيتهم.

إن حق المجتمع ليس في تحصيل الزكاة لحساب الفقراء فقط، بل حق المجتمع على أصحاب رؤوس الأموال أن يدفعوا بها في تحقيق معيشة كريمة، قوامها العمل والإنتاج وعمارة الكون، فما يسمى حديثا بالمسؤولية الاجتماعية لرأس المال، هو ما أقره الإسلام من قرون بألا يكون المال دولة بين الأغنياء، وأن يوجه لسد احتياجات الأمة المختلفة.

علم الاقتصاد

في علم الاقتصاد التقليدي يقولون إن علم الاقتصاد «علم غير أخلاقي»، أي إنه غير معني بأخلاق الفاعلين الاقتصاديين، ولكنه معني برصد الظواهر الاقتصادية الناتجة عن تصرفات الفاعلين الاقتصاديين، فالاقتصاد التقليدي – مثلا – في حالة الاحتكار يفصل في أنواع الاحتكار، وأوضاع التوازن لكل من المستهلك والمنتج، والتعرف على فجوات الربح، واختلاف حالة السوق ما بين المنافسة الكاملة والاحتكار الكامل أو احتكار القلة.

ولكن تناول الاقتصاد الإسلامي لقضية الاحتكار – على سبيل المثال – مختلف، فرتب على رصد أداء المحتكرين أحكاما تتعلق بحياة الناس ومعاشهم، فجرم الإسلام الاحتكار كسلوك فقال ﷺ: «المحتكر خاطئ». ولا يتوقف الاقتصاد الإسلامي عند هذا الجانب الوعظي والتوعوي، ولكنه ينطلق إلى جانب تطبيقي، فأعطى لولي الأمر الحق في أن يتدخل في حالة ثبوت الاحتكار، وإرغام المحتكر على أن يبيع بثمن المثل، أي السعر السائد في السوق في ظل الأوضاع الطبيعية، وفق آليات العرض والطلب.

وقد فرض السلوك الأخلاقي الإسلامي نفسه حتى على صعيد الاقتصاد التقليدي، فأدبيات علم الاقتصاد عندما تستعرض محددات الطلب، كسلوك اقتصادي، فإنها تذكر مجموعة من المحددات، من بينها العادات والتقاليد والمعتقدات

الإسلامية، وتدلل على ذلك بمثال عدم تناول المسلمين للخمور وأكل لحم الخنزير.

إن السلوك الاقتصادي الأخلاقي في المنهج الإسلامي يرتبط بالعقيدة بالدرجة الأولى، فالعقيدة في إطار تعريفها الفلسفي البسيط هي: «تصور الإنسان للإله والكون والحياة، وطبيعة العلاقة بينهم»، فإيمان المسلم بربه وأسمائه وصفاته، ينعكس في تصرفه الاقتصادي، فيعي رسالته بعبادة الله، وأن مقتضيات العبادة تشمل عمارة الكون، ولا تتحقق العمارة لهذا الكون من دون ضوابط أخلاقية للنشاط الاقتصادي على صعيد الفرد والدولة.

منهج مختلف

ترصد الإحصاءات الدولية، بلوغ الناتج المحلي العالمي نحو ٩٢,٨ تريليون دولار حسب تقديرات عام ٢٠١١م (١)، ومع ذلك نجد أن العالم يعاني من مشكلات إنسانية حادة، فنحو مليار إنسان يعانون من الجوع، في حين يعاني أغنياء العالم من أمراض السمنة. وفي حين تتدفق الأموال الطائلة في مجالات الحروب والتسليح، تعجز الدول الأقل نموا - عددها نحو ٤٢ دولة على مستوى العالم (٢) - عن تدبير نحو ٣٠ مليار دولار لاستئصال لعنة الجوع لنحو مليار إنسان في العالم (٣).

ورحم الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين قال: «ما جاع فقير إلا بتخمة غني»، وهي حقيقة تفسر واقعنا الاقتصادي العالمي الحالي، فنحو ٢٠ في المئة من سكان العالم يتركزون في أوروبا وأميركا ينعمون بنحو ٨٠ في المئة من الدخل العالمي، بينما ٨٠ في المئة من السكان لا يحصلون إلا على ٢٠ في المئة من الدخل على مستوى العالم (٤).

بينما نجد الإسلام قد جعل من أهداف الدولة أن تحقق الضرورات الخمس لمن يعيشون في كنفها، وهي: «المأكل والمشرب والملبس والمسكن ووسيلة الانتقال». إن الإسلام لا يقدم هذه الضرورات كمنح أو من دون مقابل، ولكنه يحرص على توجيه النشاط الاقتصادي ليلبي هذه الحاجات في إطار من تبادل المصالح. وإن الدولة تلزم نفسها القيام بهذا الدور من خلال القطاع الخاص كفرض كفاية، فإن قصر القطاع الخاص أو عجز عن توفير هذه الضرورات، أصبح الأمر في نطاق فرض العين على الدولة.

إن واقعنا الحالي، سواء على الصعيد العالمي أو القطري، يعكس منهجا يخالف المنهج الأخلاقي الضابط للنشاط الاقتصادي، وإن كان بنسب متفاوتة، وحضور الجانب الأخلاقي في واقعنا المعيش اقتصاديا من شأنه أن يزيل الكثير من المشكلات. فتقديرات صندوق النقد الدولي لحجم أموال الاقتصاد الأسود سنويا تدور ١,٦ تريليون دولار (٥). وهي بطبيعتها أنشطة مشبوهة في مجالات الدعارة والقمار وتجارة المخدرات والاتجار بالبشر وتجارة السلاح

غير الرسمية، وكلها أنشطة تجردت من ضابط الأخلاق.

إن توجيه هذا المبلغ، بحده الأدنى أو الأقصى، من شأنه أن يغير مسار حياة الكثيرين، فدولة بحجم مصر يعيش فيها نحو ٩٠ مليون نسمة، يبلغ ناتجها المحلي الإجمالي سنويا نحو ٢٧١,٩ مليار دولار (٦)، أي إن الحد الأدنى للأموال القذرة على مستوى العالم يبلغ نحو ما يزيد على ثلاثة أضعاف الناتج المحلي الإجمالي لمصر.

إن اتجاه رؤوس الأموال للعمل في مجالات الاقتصاد الأسود - بلا شك - دافعه الأكبر غياب الأخلاق، والسعي للربح السريع على حساب مقدرات اقتصادية ومعيشية لآخرين.

توازن بين الحقوق والواجبات

إن الإسلام حين وضع هذه الضوابط على أصحاب رؤوس الأموال بتسخير أموالهم في مجالات الاستثمار والتجارة التي تحقق مصالح المجتمع وفق قواعد الحلال والحرام، فإنه فرض على العمال أخلاقا تتفق وتحقيق هذا التكامل بين منظومة العمل ورأس المال، فجعل إتقان العمل من الشروط الرئيسية التي يجب أن يتحلى بها العامل المسلم، فقال ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه». والإتقان هو شرط أداء العمل، ومن دونه يتراجع النشاط الاقتصادي، وتقل القيمة المضافة، ويضار العامل وصاحب رأس المال والمجتمع نتيجة غياب الإتقان.

ولا ينقص من حق العامل شيئا، لا في مكان عمله وبيئته، ولا تسخيره ليبذل جهدا بلا مقابل، بل لابد من توفير شروط ما نسميه في حياتنا المعاصرة بـ «العمل اللائق»، أي ضمانات التأمين الصناعي والصحي والاجتماعي، وأن يكون أجر العامل يكافئ ما يبذله من عمل، وأن يوفى العامل أجره فور انتهائه من عمله، فالنبي ﷺ قال: «أعطوا الأجير حقه قبل أن يجف عرقه».

وثمة قاعدة مهمة محل احترام في ضوء الجانب الأخلاقي للاقتصاد الإسلامي، وهي أنه «لا عمل بغير أجر، ولا مال بغير عمل»، فالإنسان طاقة يجب ألا تعطل، ولا يمتهن التسول، فالعمل قيمة في حد ذاته، كما أنه أحد مصادر الحصول على المال والثروة، ولا يبذل العمل في إطار السخرة، وتحت أي زعم، ولكنه يبذل نظير مقابل، وهذا هو الأصل، إلا إذا كان على سبيل التبرع في إطار تطوعي.

مساوئ غياب الأخلاق اقتصاديا

إن غياب المنهج الأخلاقي في واقع النشاط الاقتصادي تترتب عليه مجموعة من المضار الاقتصادية، التي تكرس للفقر والبطالة، وكثير من الأمراض والأوجاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ففي إطار سعي صاحب رأس المال لتحقيق الربح، بغض النظر عن الوفاء بالضرورات، يتجه إلى الكماليات والترفيات، فيحصل سوء تخصيص للموارد.

فعلى سبيل المثال، تتجه الآن كثير من الأموال في بلاد العالم الإسلامي للإسكان الفاخر والمنتجعات السياحية، بينما هناك أزمة إسكان خانقة لشريحة كبيرة من السكان، يحتاجون فيها إلى إسكان اقتصادي، أو في أحسن الأحوال ما يسمى بالإسكان المتوسط.

ومن هنا نجد ما ترتب على هذا السلوك الاقتصادي السيئ من تأخر الزواج وانتشار الفاحشة، والسعي لممارسة أي نشاط اقتصادي للحصول على وحدات سكنية فاخرة.

وثمة أضرار اقتصادية أخرى ترتبت على غياب المنهج الأخلاقي في البلدان الإسلامية، منها فساد مناخ الاستثمار، إذ انتشرت الرشوة، وغاب إتقان العمل، وسعى البعض للحصول على ما لا يستحق، بزعم إتاحة الفرص.

الهوامش

(١) تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠١٤م، البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة، جدول ١٠، ص ١٩٧.

(٢) المصدر السابق، جدول ١، ص ١٦٠ - ١٧٠.

٣) منظمة الفاو، العالم يحتاج فقط) ٣٠ مليار دولار سنويا لاستئصال لعنة الجوع، HYPERLINK «http://www.fao.org/newsroom/ar/news/20081000853//index.html» http://www.fao.org/newsroom/ar/news/20081000853//index.html. تاريخ الزيارة ٢٠١٥/٣/٣م.

(٤) سمير مرقص، عولمة أم حرب طبقية عالمية، الأهرام الاقتصادي، ٢٠٠٩/١١/٣٠م.

(٥) مركز أنباء الأمم المتحدة، تقرير جديد للأمم المتحدة عن غسل الأموال يؤكد غسل ١,٦ تريليون دولار في عام ٢٠٠٩م، https://www.google.com.tr/url?sa=t&rct=j&q=&esrc=s&source=web&cd=5&cad=rja&uact=8&ved=0CD4QFjAE&url=http%3A%2F%2Fwwwunorg%2Farabic%2Fnews%2Fstory.asp%3FNewsID%3D15746&ei=aMMZVYfLIcH7aqjggegH&usg=AFQjCNHu7qTjGRHR0L0NSFHsljJp4oCqyQ

(٦) قاعدة بيانات البنك الدولي، HYPERLINK «http://data.albankaldawli.org/indicator/NY.GDP.MKTP.CD» http://data.albankaldawli.org/indicator/NY.GDP.MKTP.CD، تاريخ الزيارة ٣٠ مارس ٢٠١٥م.

أخلاق الإسلام في نظر الغربيين

السنوسي محمد السنوسي
باحث وصحفي

إذا كان الإسلام قد استطاع إبان بزوغ فجره أن يمد إشعاعاته سلما بلا حروب، خصوصا في دول جنوب شرق آسيا، من الهند حتى حدود الصين والمحيط الهادئ، من خلال التجار الذين تمثلوا أخلاقه، وعكسوا بسلوكهم صدقه وأمانته وقيمه في التعامل مع الآخرين.. فإن الإسلام لايزال، بأخلاقه وقيمه، قادرا على أن يجذب إليه القلوب العطشى المتطلعة إلى رؤية نموذج خلقي ينقذها من ويلات المادية والنفعية والأنانية، التي يشقى بها الإنسان المعاصر.

كانت الأخلاق فيما سبق سفيرا للإسلام إلى مساحات شاسعة من البلدان التي عمرها وأنارها، وهي أيضا سفير الإسلام للحضارة المعاصرة التائهة.

ولا أرانا نبعد عن الحقيقة إذا قلنا: إن «الفجوة الحضارية» إذا كانت قد باعدت بين عالم الإسلام وما سواه تباعدا كبيرا، كما وكيفا، خصم من قدرة المسلمين على الإسهام في العطاء الحضاري التقني والعلمي؛ فإن «أخلاق الإسلام» - بجانب عقائده وتشريعاته - هي التي بإمكانها أن تجعل المسلمين مؤهلين مجددا ليقدموا عطاء للإنسانية المعاصرة.

ولا غرو؛ فقد أكد الإسلام أهمية الأخلاق، ورفع منزلتها لدرجة أن جعلها «الغاية» من بعثة النبي ﷺ، الذي قال عن رسالته: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (رواه أحمد في مسنده عن أبي هريرة). بل حين مدح الله سبحانه نبيه محمدا ﷺ، جعل «الخلق العظيم» آية المدح وعلامة الرفعة والعلو، فقال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤).

ومن المهم في هذا الصدد أن نستعرض بعض شهادات الغربيين الذين أسلموا؛ لنرى كيف كانت «أخلاق الإسلام» سفيره لديهم، بحيث أغناهم ما رأوه من سلوك قويم وخلق حسن - ممن خالطوهم من المسلمين - عن كثير من الكلام حول الإسلام، وعن كثير من الشرح النظري لمبادئه وفضائله.

أخلاق ربانية

إن الأخلاق الإسلامية «أخلاق ربانية»، أي مصدرها هو الله سبحانه؛ هو الذي شرعها، وفصلها، ووضع حدودها وضوابطها ومعالمها؛ وبالتالي فإن المسلمين يلتزمون بها

من دون حاجة إلى رقيب خارجي أو سلطان قاهر؛ لأن الآمر بها هو الله سبحانه.

يقول محمد أمان هوبوهم (من ألمانيا): «إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي استطاع أن يغرس في نفوس من اتبعوه الشعور بمراعاة حدود الآداب والأخلاق، من دون حاجة إلى سلطان قاهر غير ضمائرهم؛ لأن المسلم يؤمن أنه حيثما كان فهو في دائرة رقابة ربه، وفي هذا ما يرده عن ارتكاب المعاصي» (١).

وتذكر السيدة زينب كوبولد (إنجليزية) أنها عندما كانت في الجزائر تعالج من مرض ألم بها، واختلطت بالجزائريين، أعجبت بأخلاقهم، وأبرزها: الأمانة، والعفة، والتراحم، والصدق. وعلمت أن تلك الصفات منشؤها الدين الذي يؤمنون به، فتطلعت إلى التعرف على أحكام هذا الدين العظيم (٢).

ولأن الأخلاق الإسلامية ربانية، فيصير مطلوبا الالتزام بها في كل الأحوال والأوقات؛ لأن العبد دائما تحت رقابة الله. يتحدث رافع شريف عن الفرق بين أخلاق المسلمين وغيرهم، فيقول: «كان من العوامل التي شجعتني على اعتناق الإسلام، أني وجدت المسلمين الذين تعرفت عليهم يعملون بتعاليم الدين كما ينبغي.. في حين أن زملائي وأصدقائي من قبل يرتكبون الحماقات والذنوب في العطلات الأسبوعية، ويعلنون توبتهم بعد ذلك واعترافهم، ثم يعودون إلى نفس الشيء.. وكنت أشعر بأن هذا نفاق بين الإنسان وربه، فالخطأ خطأ، والصواب صواب، فليس هناك ما يبرر ارتكاب الآثام» (٣).

أخلاق إنسانية

يقرر الإسلام أن الإنسان، بغض النظر عن دينه ولونه وجنسه، مخلوق كرمه الله سبحانه، وسخر له ما في السموات والأرض، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء:٧٠).

ولذا، أمر الإسلام بالعدل مع الناس كلهم، حتى مع المخالفين في الدين، فقال تعالى موجها الخطاب لنبيه ﷺ وللمؤمنين من بعده: ﴿وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ (الشورى:١٥).

ولما سئل الدكتور عمر رولف إهرنفيلز (نمساوي) عن سبب إسلامه، قال: «ما يؤكده الإسلام من تدعيم روح الأخوة الإنسانية الشاملة بين عباد الله جميعا، أخوة لا تزعزعها فوارق اللغة أو الجنس أو التاريخ» (٤).

ومن إنسانية الأخلاق الإسلامية أن الإسلام قد شرع زيارة المريض حتى لغير المسلم؛ فقد زار النبي ﷺ غلاما يهوديا كان يخدمه حين مرض، وقعد عند رأسه وقال له: «أسلم». فنظر الغلام إلى أبيه، فقال له: أطع أبا القاسم. فأسلم؛ فخرج النبي ﷺ، وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار» (رواه البخاري من حديث أنس).

يقول أستاذ الصحافة في جامعة نيويورك مارك سليفر عن سبب معرفته بالإسلام: مرضت ذات يوم أثناء إقامتي في لمغرب، فوجدت عشرات من جيراني ومعارفي يأتون لزيارتي، ويحاول كل منهم أن يصنع لي شيئا، فدهشت لهذا السلوك الإنساني، الذي لم أجد له نظيرا في بلدي أميركا؛ حيث الكل لا يهتم إلا بنفسه، وطابع الحياة المادية البحتة هناك يصبغهم جميعا بالأنانية، ولهذا لا يكترثون بما يصيب الآخرين. ولذا، فإني حين سألتهم عن الدافع الذي يحملهم على صنع كل هذا من أجلي ومن دون مقابل! أجابوا جميعا: إن هذا هو ما يفرضه عليهم دينهم الإسلامي، ويأمرهم به رسولهم العظيم محمد ﷺ (٥).

إن خير شاهد على إنسانية الأخلاق الإسلامية، ذلك التسامح الذي أظل غير المسلمين في ديار الإسلام، وما تمتعوا به من حسن معاملة سمحت لهم بالاندماج في المجتمع الإسلامي، والاستفادة من تقدمه وخدماته، والعيش في أمن وحرية على عقائدهم وأعراضهم وأموالهم.

تشهد الكاتبة الأميركية المهتدية مريم جميلة على ذلك قائلة: «في ظل التسامح الإسلامي عاش اليهود داخل الحضارة الإسلامية أحرارا، وانطلقت ملكاتهم الفكرية.. وأشهر شخصية يهودية نبغت تحت حضارة الإسلام هو موسى بن ميمون». وتوضح أن تسامح المسلمين جعل موسى بن ميمون طبيبا خاصا لصلاح الدين الأيوبي؛ لأنه مثل غيره من اليهود لم يشعروا بغربة وسط الحضارة الإسلامية، مثلما شعروا في وسط الحضارة الغربية (٦).

أخلاق واقعية

إن الله سبحانه لم يكلف عباده شططا، ولم يرهقهم عسرا، سواء فيما يتصل بعقائد الإسلام، أو عباداته، أو

أخلاقه، أو تشريعاته؛ بل كلفهم بما يناسب طاقاتهم وإمكاناتهم، وفي الوقت نفسه بما يرفع من بشريتهم إلى مستوى فوق مستوى الملائكة، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ (البقرة:١٨٥)، وقال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج:٧٨).

ومن أبرز الحقائق التي تدل على واقعية الأخلاق الإسلامية، أن الرسول ﷺ - وهو الذي أمرنا باتباعه والاقتداء به - ليس إلها، ولا ابن إله، ولا ملكا؛ بل هو كما أمره الله في القرآن الكريم أن يعرف عن نفسه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ (الكهف:١١٠). فهو ﷺ «إنسان يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، عاش ومات كما يعيش الناس ويموتون، باع واشترى، وصادق وعادى، وسالم وحارب، وتزوج وأنجب، كان يرضى ويسخط، ويفرح ويحزن، ويكره ويحب» (٧).

ولأن النبي ﷺ بشر من جنس البشر الذين أرسل إليهم، فإن هذا يجعل طلب الاقتداء به أمرا ميسورا ومعقولا؛ فلو كان ﷺ من غير البشر لكان ثمة وجه مقبول لاحتجاج بعضهم في عدم الاقتداء به حينئذ بأنهم لا طاقة لهم بالسير على خطاه.

يقول الأميركي ستيفنس كلارك (مصطفى يوسف) عن واقعية الأخلاق الإسلامية: «بعد الدراسة والاطلاع لمست أن كثيرا من تعاليم الأديان لا تتفق مع العقل والواقع؛ فكيف مثلا إذا ضربني أحد على خدي الأيمن أدير له خدي الأيسر؛ أو يتحول الخمر والخبز إلى دم المسيح ولحمه في بدن الإنسان وغيره! إنها مسائل تدخل في باب السحر ولا تدخل في باب الواقع؛ كما أن المسيح كان يعيش حياة يتعذر على الإنسان أن يحيا مثلها (أي يقتدي به فيها)، إنه من عالم آخر، وينبغي لمن يريد أن يتابعه أن يكون من جنسه ليستطيع أن يفعل مثله. أما بالنسبة إلى الإسلام، فمحمد ﷺ بشر وضع موضوع الأسوة التي يمكن لكل بشر أن يقتدي بها؛ لأنه بشر مثله» (٨).

ويذكر جوزيف كليمنس أن من أسباب إسلامه «إعجابه المطلق بمبادئ الإسلام التي ترضي نزعات الرجولة في أتباعها، وتدعو إلى الذود عن الحق والحرية والكرامة بكل سلاح مشروع، وتنهى عن الخضوع والرضا بالقهر والهوان، وفي الوقت نفسه تأمر بالعفو عند المقدرة، وحماية الضعفاء، والإحسان إلى النساء، والحنو على اليتامى والمساكين» (٩).

دعوة عملية

غاية ما نريد أن نصل إليه من هذه الشهادات - وغيرها كثير - التي تعكس تجارب ذاتية صادقة عن الرحلة مع الإسلام، أن نذكر بأن تمسك المسلمين بأخلاقهم، ومعاملتهم غيرهم معاملة حسنة، يعدان «دعوة عملية» لاعتناق الإسلام، ويعدان أيضا «وسيلة صامتة هادئة» لتصحيح الصورة المغلوطة عنه، بلا كثير جهد، وبلا كثير نفقات قد تبذل من غير طائل!

يقول المغني الأميركي جيرمان جاكسون (شقيق المطرب المعروف مايكل جاكسون): «لقد عرفت أن وراء تلك الروح المتميزة التي أضفت على هؤلاء الشباب مثل هذه الأخلاق الحميدة هو دين الإسلام، الذي يحث على مكارم الأخلاق.. لم يعرض علي أحد الدخول في الإسلام مباشرة، وإنما بسلوك هؤلاء الشباب المسلم، وأخلاقهم الحميدة، وانضباطهم الملتزم في جميع تصرفاتهم؛ قد عرضوه علي بطريق غير مباشر؛ مما زاد إعجابي الشديد بهذا الدين الذي اعتنقته بلا أي تردد» (١٠).

هكذا نرى أن الأخلاق الإسلامية - بما تتميز به من ربانية، وإنسانية، وواقعية - قادرة على بيان عظمة الإسلام، وعلى تجلية جانب مشرق من جوانبه.. وأن الالتزام بها يعد - بحق - خير سفير للإسلام إلى الحضارة المعاصرة.

الهوامش

(١) محمد كامل عبدالصمد، الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء، ٢/ ١٤٤، الدار المصرية اللبنانية، ط١، ١٩٩٥م.

(٢) المستشار محمد عزت الطهطاوي، في الدعوة إلى الإسلام، ص:٢٣٩، دار التراث، ط١، ١٩٧٩م، باختصار.

(٣) الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء، ٢/ ٢٠٦، ٢٠٧.

(٤) الطهطاوي، في الدعوة إلى الإسلام، ص:٢٥١.

(٥) الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء، ١/ ١٣٤، ١٣٥.

(٦) المصدر نفسه، ٣/ ١٧، ١٨.

(٧) د. يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، ص:١٥٣، مكتبة وهبة، ط١، ١٩٧٧م.

(٨) الطهطاوي، في الدعوة إلى الإسلام، ص:١٨٠. لا أوافق كلارك على قوله عن المسيح عليه السلام: «إنه من عالم آخر، وينبغي لمن يريد أن يتابعه أن يكون من جنسه ليستطيع أن يفعل مثله»؛ فكل الأنبياء، بمن فيهم المسيح عليهم السلام، بشر مثلنا، وإن تحلوا بهمة عالية جعلت أفعالهم كأنها من غير جنس أفعال البشر؛ ولا أساس لمن يزعم أن لعيسى عليه السلام طبيعتين: إلهية وبشرية! قال تعالى مؤكدا حقيقة بشرية الرسل: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ﴾ (الأنبياء:٧و٨).

(٩) المصدر نفسه، ص: ٢٠٣.

(١٠) الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء، ٢/ ١١٣.

ضوابط النشر

حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسلامي» على إشاعة الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة التذكير بضوابط النشر على صفحاتها وفقا لما يلي:

ما يتعلق بالكاتب

- يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- إرسال صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- ترسل المشاركات باسم رئيس التحرير.
- يذكر العنوان كاملاً، مع كتابة رقم الهاتف، والفاكس، و البريد الإلكتروني.

ما يتعلق بالمادة العلمية

- يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يكتب المقال بلغة واضحة سليمة تناسب أكبر شريحة من القراء.
- تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الإستعانة بمصادر ومراجع.
- لا يزيد المقال على ثلاث صفحات A4، ويبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.
- تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلا.

ملاحظة:

-المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.

-المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.

البريد الإلكتروني: info@alwaei.com

الوعي الإسلامي

سؤال الأخلاق بين الإسلام والغرب!

محمد شعبان أيوب
باحث في التاريخ والتراث الإسلامي

تبدو أزمة الأخلاق المعاصرة مسألة إشكالية معقدة للوهلة الأولى؛ ذلك لأن هذه الأزمة لا ترتكن في جانب واحد من جوانب الحياة الإنسانية المعاصرة، بل أضحت مأزقا في كافة أشكال التمظهر الإنساني من السياسي إلى الاجتماعي إلى المعرفي إلى الاقتصادي إلى التكنولوجي، فجل الحقول الإنسانية والعلمية اليوم معنية بسؤال الأخلاق، وأسباب غيابها، وآثار هذا الغياب.

وتأتي أهمية «الأخلاق» لكونها الأساس الركين في قيام وسقوط الحضارات، وإننا نرى هذه الحقيقة جلية في تاريخ الحضارات البشرية؛ ففي كتابه «قصة الحضارة» لم يغب عن المؤرخ الأميركي الجاد «ولديورانت» أثناء استعراضه لمسار الحضارات الإنسانية منذ القدم حتى بدايات العصر الحديث، تتبع قضية الأخلاق وأشكالها في جل الحضارات التي وقف معها، وغالبا ما أفاض في الحديث عن أثر الأخلاق ومصادرها في تلك المجتمعات، فهو يقول عن دين اليونان: «يبدو لأول وهلة أن الدين اليوناني لم يكن ذا أثر كبير في الأخلاق، فقد كان في أصله طائفة من قواعد السحر لا من قواعد الأخلاق القويمة، وبقي إلى حد كبير على هذا النحو إلى آخر أيام اليونان» (١). وهاك حديثه عن سقوط الإمبراطورية الساسانية: «سادت وقتئذ الفوضى في تلك البلاد التي أنهكتها الحروب مدى ستة وعشرين عاما، وفشا في الدولة التفكك الاجتماعي بعد أن عمها الفساد الأخلاقي بتأثير الثروة التي جاءت في أعقاب النصر الحربي» (٢).

المذاهب الغربية ومأزقها الأخلاقي

وما بين الحضارة الغربية التي قامت ولاتزال على فلسفة الأخلاق التي وضعها فلاسفة اليونان الأقدمون كأرسطو وأفلاطون وغيرهما، والأخلاق الإسلامية التي ما جاءت إلا لتكمل محاسن الأخلاق وصالحها عامة ثم تحض على ثباتها واستمراريتها، كما نفهم من حديث نبينا ﷺ: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق» (٣). تسير البشرية اليوم بين طريقين نقيضين!

إن خطورة ضعف المسلمين اليوم، وتراجعهم أمام المأزق الأخلاقي العالمي الذي تفرضه أخلاق الحداثة المعاصرة، لا تنطوي آثاره على حضارتهم وأمتهم وحسب – برغم مأساوية هذا الوضع – وإنما تتكشف هذه المأساة على العالم كله؛ ذلك أن الفلسفة الأخلاقية اليونانية دفعت الإنسان الغربي إلى تحقير ما دونه من أجناس أخرى، وتبرير استعمار واستغلال واستعباد غير الغربيين، يقول برتراند رسل: «لقد أخطأ اليونان خطأ فاحشا حين أحسوا شعور السيادة على الشعوب البربرية، ولاشك أن أرسطو قد عبر عن فكرتهم العامة في ذلك حين قال: إن أجناس الشمال مليئة بشعلة الحياة، وأجناس الجنوب متحضرة، واليونان وحدهم هم الذين يجمعون الطرفين، فشعلة الحياة تملؤهم وهم في الوقت نفسه متحضرون. وأفلاطون وأرسطو كلاهما قد ذهبا إلى أنه من الخطأ أن يتخذ من اليونان عبيد، لكن ذلك عندهما جائز بالنسبة للشعوب البربرية!» (٤).

وسار الغربي المعاصر على درب أسلافه الأقدمين، وجل الأيديولوجيات والأفكار الأخلاقية التي انتشرت في القرنين التاسع عشر والعشرين وإلى الآن لم تخرج قيد أنملة عن التصورات اللاأخلاقية التي قعدتها الفلسفة الأخلاقية اليونانية أم الفلسفات الغربية المعاصرة.

وقد تنوعت تلك المذاهب؛ فـ«النفعية» تجلت عند بعض فلاسفة فرنسا في القرن الثامن عشر، وفلاسفة الإنجليز مثل بنثام وجون ستيورات مل في القرن التاسع عشر والعشرين، و«معالم المذهب النفعي تتلخص في التقاء مفكريه على القول بأن اللذة

أو المنفعة هي الخير المرغوب فيه، والألم هو الشر الذي يجب تفاديه، ومن ثم فإن المنفعة عندهم هي مقياس الخيرية» (٥).

وفي القرن العشرين تفرع المذهب النفعي فروعا شتى وانتصر له طائفة من الفلاسفة الأميركيين بوجه خاص، ويتضح المذهب بصورة أوضح عند أحد كبار فلاسفته وهو وليم جيمس الذي يرى أن الخير يقوم في إشباع مطالب الإنسان وتحقيق رغباته، وجاء بعده جون ديوي الذي اعتبر الأفكار والمثل العليا والمبادئ مجرد وسائل وذرائع يستعين بها الإنسان فيتوجه سلوكه إلى حيث تتحقق مطالبه وغاياته (٦).

أما ماركس زعيم الفلسفة الاشتراكية فبسبب اعتقاده في أن التقدم لامندوحة عنه؛ ظن أنه من الممكن «الاستغناء عن الاعتبارات الأخلاقية؛ فإذا كانت الاشتراكية آتية فهي لابد أن تكون تحسينا» (٧).

الإسلام يقدم الجواب!

في المقابل يقدم الدين الإسلامي الجواب الكافي حول سؤال الأخلاق؛ إنه لا يقدم مادة وفيرة حول ماهية الأخلاق وأنواعها، وكيفية عملها في الإنسان وبالإنسان، وإنما يقدم الحلول الناجعة للمشكلات الأخلاقية الفردية والجماعية والعالمية على السواء.

لقد كشفت الحضارة الإسلامية في سيرتها الأولى وما تلاها اتكاءها على الأخلاق والقيم والمثل النبيلة، تجلت هذه الحقيقة في سيرة النبي ﷺ وسنته والوحي الإلهي المنزل عليه، وكشف أن خير الناس أحسنهم أخلاقا، قال: «إن من خياركم أحسنكم أخلاقا» (٨)، وفي رواية أخرى: «إن من أحبكم إلي أحسنكم أخلاقا» (٩)، وأمر أن يتخلق أصحابه وأتباعه بالخلق الطيب، فقال في الحديث الذي رواه أبوذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «قال لي رسول الله: اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن» (١٠). وبين - خلافا للفلسفة اليونانية والغربية المعاصرة - أن الناس سواسية لا يتفاضلون إلا بالتقوى، وهي مخافة الله تعالى، فقال في حجة الوداع: «يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى، أبلغت؟»، قالوا: «بلغ رسول الله» (١١).

وقدم النبي ﷺ القدوة الأخلاقية، حتى إن الله تعالى صرح بهذا في قوله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب:٢١).

وسار الصحابة - رضوان الله عليهم - على طريق النبي ﷺ، ولم يتجل نبلهم وأخلاقهم فيما بينهم فقط، وإنما في تعاملهم مع الآخر، في السلم والحرب، ولم تكن الحرب دافعة لهم لتجاوز ما اعتنقوه من أخلاق الإسلام.

فنرى خليفة رسول الله أبا بكر الصديق رضي الله عنه يقول ليزيد بن أبي سفيان - رضي الله عنهما - قبيل خروجه لفتح الشام: «إني موصيك بعشر: لا تقتلن امرأة، ولا صبيا، ولا كبيرا هرما، ولا تقطعن شجرا مثمرا، ولا تخربن عامرا، ولا تعقرن شاة ولا بعيرا إلا لمأكلة، ولا تحرقن نخلا، ولا تغرقنه، ولا تغلل، ولا تجبن» (١٢).

وهي الوصايا التي تكشف الهوة الأخلاقية - عند المقارنة - بين ما قام به الفاتحون المسلمون وما قامت به الدول الاستعمارية الغازية في العصر الحديث، ولاتزال.

أما القرآن الكريم فهو دستور الأخلاق بحق؛ لأنه قد تميز عن الكتب والرسالات السابقة «بذلك الامتداد الرحب الذي ضم فيه جوهر القانون الأخلاقي كله، وهو الذي ظل متفرقا في تعاليم القديسين والحكماء، من المؤسسين والمصلحين، الذين تباعد بعضهم عن بعض، زمانا ومكانا، وربما لم يترك بعضهم أثرا من بعده يحفظ تعاليمه» (١٣).

وما بين دين وحضارة قامت على الأخلاق، وحضارة أخرى قامت على النفعية وتجنب سؤال الأخلاق ينزلق الإنسان المعاصر إلى هوة سحيقة من الانحلال والصراعات، طالما ظل الإسلام والمسلمون في موقع بعيد عن التأثير العالمي، هوة أعلنها منظرو الغرب دون مواربة في أطروحات «نهاية التاريخ» و«صراع الحضارات».

الهوامش

١- ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود ٣٦٥/٦. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس، ١٩٨٨م.

٢- ول ديورانت: قصة الحضارة ٣٠٤/١٢.

٣- مسند أحمد، ح (٨٩٣٩) ٣٨١/٢. مؤسسة قرطبة للنشر. وقال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح قوي الإسناد.

٤- برتراند رسل: تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة زكي نجيب محمود ٢٥١/١. لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة، ١٩٦٧م.

٥- مصطفى حلمي: الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام ص٦١. دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى - بيروت، ٢٠٠٤م.

٦- توفيق الطويل: الفلسفة الحديثة ص٢٧٦، ومصطفى حلمي: الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام ص٦٦.

٧- برتراند رسل: تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة محمد فتحي الشنيطي ٤٣٤/٣. الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة، ١٩٩٧م.

٨- صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ ح (٣٣٦٦). تحقيق مصطفى البغا. دار اليمامة، الطبعة الثالثة - بيروت، ١٩٨٧م.

٩- البخاري ح (٣٥٤٩).

١٠- سنن الترمذي، ح (١٩٨٧). تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١١- مسند الإمام أحمد ٤٧٤/٣٨، ح (٢٣٤٨٩). وقال الأرناؤوط حديث صحيح الإسناد.

١٢- موطأ الإمام مالك، رواية يحيى الليثي (٩٦٥). تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٣- محمد عبدالله دراز: دستور الأخلاق في القرآن ص٨. مؤسسة الرسالة - القاهرة.

أخلاقنا الغائبة.. كيف نستعيدها؟!

آية سرور ومحمد عبدالعزيز
دار الإعلام العربية - القاهرة

الصدق، العدل، الأمانة، حسن الخلق، الرفق، الإيثار، النصح، الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر.. هذه بعض الأخلاقيات التي قامت عليها حضارة الإسلام. ذلك الدين المتين، الذي يقول رسوله الكريم ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، ويقول ﷺ أيضا: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، وإن الله يبغض الفاحش البذيء». فكيف استبدل كثير من المسلمين الذي هو أدنى بالذي هو خير، فشاع الكذب والجور والخيانة وسوء الخلق.. وغيرها من الصفات التي شابت سلوكيات قليل أو كثير منا؟ وكيف يمكن استعادة الأخلاق الحميدة؟

«الوعي الإسلامي» سألت عددا من المختصين، وإليكم التفاصيل:

نبدأ مع ندوة عقدتها أخيرا كلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر تحت عنوان: «الأخلاق الإسلامية بين النظرية والتطبيق»، تحدثت عن أن الأمة تعيش أزمة أخلاق، وتعاني من مظاهر انحطاط وفوضى وعنف وتخلف وبطالة، وأشارت إلى أن الأخلاق ليست معلومات ومعارف نظرية، إنما هي ترجمة على أرض الواقع.

وشدد المتحدثون في الندوة على أن تجديد الخطاب الديني يجب أن يرتكز على الأفعال، وأنه لو استطعنا ترجمة الدين في حياتنا فلن نحتاج إلى تجديد الخطاب الديني، مؤكدين أن النبي ﷺ ظل على مدار ثلاثة عشر عاما يربي أصحابه على الإيمان والثقة بالله، زارعا في نفوسهم الصدق والصبر وتحمل الأذى والإخلاص والتواضع والعطاء.

وانتهت الندوة إلى أن قضية الأخلاق ليست مجرد تعليم فقط بل تربية، وأن حسن الخلق يتأصل في معرفة الأخلاق في سلوكياتنا، وأن الأخلاق

الشيخ مصطفى: الاستمساك بالدين هو السبيل المستقيم لاستعادة الأمة أخلاقها النقية

الإسلامية تمتاز عن الوضعية بعدة سمات، منها: أن الأخلاق الإسلامية ثابتة لا تتغير عبر الزمان أو المكان، فبر الوالدين واجب أبدي، والكرم خلق دائم، وكذا الصدق لا تغيره المفاهيم المادية السائدة في المجتمع. أيضا الأخلاق الإسلامية محددة بضوابط الشريعة، وليست متروكة لأهواء الناس، فالحسن في نظر المسلم هو ما حسنه الشرع، والقبيح هو ما قبحه الشرع، مصداقا لقول النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به».

انفلات

إلى ذلك، قال د. علي الجبلي، أستاذ علم الاجتماع بكلية الآداب جامعة الإسكندرية، إن المرحلة التي تمر بها المجتمعات هي مرحلة تحولات كبرى في شتى المجالات بصفة عامة، وفي الثقافة بصفة خاصة، والأخلاق عنصر من عناصر الثقافة، وبالتالي حدث انفلات في بعض القيم، أطلق عليه علماء الاجتماع مصطلح «العالم المنفلت»، ولا يمكن استعادة تلك القيم إلا عن طريق دورة حياة كاملة جديدة، تبدأ بمرحلة معينة، وبعد ذلك تتحول إلى أخرى وهكذا، وستأخذ وقتا طويلا، لأن التغييرات في القيم والأخلاق هي تغييرات في البنية الأساسية. وقال إن على كل فرد أن يبدأ بنفسه في التغيير والتخلي عن تلك السلبيات، فقد قال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد:١١)، ومن ثم الاهتمام بتربية النشء وتعليمهم تعليما صحيحا، وبالتالي تعم القيم الفاضلة وتختفي القيم السلبية.

وعن مشروع إحياء الأخلاق في المجتمعات، أكد أن المشروع القومي الحقيقي لابد أن يبدأ بالتعليم، وأن تتغير فلسفة التعليم، ولتتغير يجب أيضا تغيير بيئة التعليم، بداية من الأساتذة في المدارس والمعاهد والجامعات، لأنهم الأساس الذي يقع على عاتقه مهمة تغيير الأخلاق السلبية إلى إيجابية.

الأسرة أول الحلول

أما د. محمد حجاب، أستاذ علم النفس بجامعة عين شمس، فأكد أن السبب وراء اختلال القيم وأخلاقيات المجتمع الإسلامي هو الاتصال بالحضارات المختلفة، والانفتاح على قيم الغرب بشكل كبير، ومع أن القيم نسبية، فما هو في المجتمعات الشرقية قيمة كبرى، قد يكون على النقيض في المجتمعات الغربية. وأوضح أن أزمة الأخلاق بدأت تطفو على سطح المجتمعات العربية منذ سبعينات القرن الماضي، بسبب ثورة التكنولوجيا والاتصالات والهجرة إلى الخارج بحثا عن العمل.

وقال إن المخرج الأول

مظاهر حسن الخلق

- إفشاء السلام: فذلك مما يزيل الحواجز النفسية ويقرب القلوب. قال ﷺ: «ألا أدلكم على شيء إن فعلتموه تحاببتم»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «أفشوا السلام بينكم».
- البشاشة والابتسامة: تعطي شعورا بالرضا من كلا الطرفين. قال رسول الله ﷺ: «تبسمك في وجه أخيك المسلم صدقة». وقال جرير رضي الله عنه: «ما حجبني رسول الله منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسم في وجهي».
- المصافحة بحرارة: فقد كان رسول الله إذا صافح أحد الصحابة يظل ممسكا بيده.
- الكلمة الطيبة: فالكلام الطيب هو كرم ليس فيه نفاق. قال رسول الله ﷺ: «الكلمة الطيبة صدقة».
- عدم الحديث إلا بما فيه مصلحة وخير: قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت».
- عدم التناجي: فذلك مما يزرع الكراهية في القلوب، قال رسول الله ﷺ: «لا يتناج اثنان دون الثالث».
- عدم الخوض فيما لا يعني الإنسان: فمن تدخل فيما لا يعنيه لقي ما لا يرضيه. قال رسول الله ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».
- حب الخير للآخرين وعدم الحسد: فالحسد من أخطر المعاول التي تهدم الروابط الاجتماعية.
- عدم احتقار الآخرين: فقد كان ﷺ يسلم على الكبير والصغير، وقد قال ﷺ: «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم».
- الكف عن ذكر عيوب الناس: فذلك مما يجعل الآخرين يكفون عن تصيد عيوبك، كما قال الشاعر:

لسانك لا تذكر به عورة امرئ
فكلك عورات وللناس ألسن

- مراعاة نفسيات الآخرين: نفوس الناس تختلف من شخص إلى آخر، فهناك من هو حساس وهناك من هو غير ذلك، فعلينا أن نراعي هذا الجانب.
- عدم جرح مشاعر الآخرين في ذكر ما لا يملكون: فهذا من شأنه أن يقوض الصداقة ويهدم عرى المودة والألفة.
- الهدية: وهي من أفضل الطرق لتجديد المودة وإنهاء ما قد يترسب في قلوب بعض الأصدقاء بسبب تصرف ما.
- السماحة واللين وعدم التعصب للرأي.
- الكمال لله وحده: فإرضاء الناس غاية لا تدرك وكثرة العتاب تنفر.

د. حجاب: الانفتاح على الحضارات المختلفة قوض أخلاقياتنا والحل يبدأ من الأسرة

والأهم لإعادة الأخلاق هو الأسرة، باعتبارها مؤسسة التنشئة التعليمية الأولى في المجتمع، ويجب أن تتماسك ويعود الأب بصورته النفسية والبيولوجية القوية كما كان من قبل، من رقابة ومتابعة للأبناء؛ لأن الابن يتقمص قيم أبيه ويسير عليها طوال حياته، وتلي المدرسة الأسرة مباشرة لدعم القيم الفاضلة في نفوس الأجيال؛ لأن الدين لابد له من دعائم يقوم عليها بصورة سليمة، ويأتي بعد ذلك الإعلام، فلا يصح أن تكون صورة الأب في الأعمال الدرامية والفنية ضعيفة ومخادعة.

وبرأيه، فإن القيم السلبية التي ظهرت في المجتمعات أساسها الطموح المادي، فالأمم تسعى إلى الربح المادي الذي ليست له حدود، وهذه قيمة من قيم الغرب، وبالتالي ليست هناك قناعة.

وأضاف أنه يمكن التصدي لهذه السلبيات عن طريق التربية والتعليم، وتعليم الدين بصورة صحيحة، فإذا اجتمعت التربية والتعليم والدين في مجتمع واحد أصبح رقم واحد في العالم.

مضامين سلبية

بدورها، قالت د. ثريا البدوي، أستاذة الإعلام بجامعة القاهرة، إن السبب وراء اختلال أخلاقيات المجتمع هو اختلال المؤسسات الاجتماعية، التي تتمثل في الأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام، فإذا نظرنا إلى انتشار المدارس والجامعات الخاصة نجد أصحابها يتناسون القيم والأخلاق، ويركزون على ما يحصلونه من مبالغ مالية فقط من دون النظر إلى مرجعية العائلة ومستواها التعليمي، ومن دون بذل جهد حثيث في الارتقاء بالمستوى الأخلاقي للطلاب.

أما عن وسائل الإعلام، فليس لها أي دور توعوي فيما يتعلق بالهويات الثقافية والدينية للمجتمعات، ولا تحرص على أن تكون القيم والأخلاق مكونا أساسيا من مكونات الهوية الثقافية والدينية للمجتمعات، بل على النقيض من ذلك، إذ كثير من هذه الوسائل هي بحد ذاتها أداة من أدوات هدم الأخلاق، فمثلا غالبية الدراما المنتجة في بلادنا العربية تحمل مضامين سلبية أكثر منها إيجابية.

وينبغي أن يستعيد الإعلام دوره التوعوي والأخلاقي ويلتزم بالمواثيق التي تضبط عمله وأخلاقياته، ولا يلهث وراء الإثارة أو الربح المادي على حساب رسالته الحقيقية.

وأضافت: أما بالنسبة إلى الأسرة، فقد انصرفت وراء كسب الرزق لتكفي المتطلبات اليومية، ولم يعد لديها وقت للتنشئة السليمة، بينما الأسر الغنية تعتمد في تربية أبنائها على العاملات ذات الجنسيات المختلفة، وبالتالي يتعلم الطفل منهن قيم المجتمع الذي تنتمين إليه وليس الذي ينتمي هو إليه ويعيش فيه.. مع وجود وسائل الإعلام الجديدة وتطلع الشباب لها بكثافة عالية، اختلت منظومة القيم تماما.

وتابعت د. ثريا: إذا قامت كل الجهات السابقة بدورها الحقيقي، وكانت هناك توعية جادة للنشء والشباب للاستمساك بصحيح الدين وتفعيله، وتم تجديد الخطاب الديني بما يتفق مع روح الدين وطبيعة العصر، فبالتالي يمكن استعادة الأخلاقيات الغائبة للمجتمعات مرة أخرى.

غياب التنشئة وراء تراجع الأخلاق

أكد الشاب أحمد مصطفى أيوب، الطالب بكلية الهندسة جامعة عين شمس، أن الأخلاق فطرة في الإنسان السليم، لكن هذه الفطرة تتعرض للعديد من العوامل التي تسببت في إفسادها، مؤكدا أن الإعلام وغياب دور الأسرة هما السبب الرئيسي في تراجع الأخلاقيات.

في الاتجاه ذاته، قالت هند عماد، طالبة بكلية الآداب جامعة عين شمس، إن التطور التكنولوجي استُخدم الجانب السيئ منه، كالتنصت والمعاكسة وتتبع الآخرين وتصويرهم من دون إذن، مشيرة إلى أن غياب الأخلاق مسؤولية جماعية للأسرة والمؤسسات التعليمية والدينية والمجتمعية.

وهو ما ذهبت إليه أيضا نورهان حسين، طالبة بكلية الآداب جامعة عين شمس، مؤكدة أن السبب وراء تراجع أخلاقيات المجتمع هو افتقاد القدوة الحسنة وانعدام التنشئة الاجتماعية الصحيحة، وسلبية المناهج التعليمية والقائمين عليها.

القدوة وخلق القرآن

بينما أوضح د. علاء نصير، أستاذ العلاقات العامة بجامعة الأزهر، أن اختلال القيم في المجتمعات سببه البعد عن صحيح الدين، مشيرا إلى أن الأخلاق في الإسلام ليست لونا من الترف يمكن الاستغناء عنه عند اختلاف البيئة، وليست ثوبا يرتديه الإنسان لموقف ثم ينزعه متى شاء، بل إنها ثوابت شأنها شأن الأفلاك والمدارات التي تتحرك فيها الكواكب لا تتغير بتغير الزمان، ذلك أنها ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ (الروم:٣٠)، بينما الأخلاق السلبية التي ظهرت في المجتمعات سببها غياب القدوة الصالحة، قال سبحانه: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (آل عمران:٣١)، فاتباع الرسول ﷺ واقتفاء أثره والسير على طريقه توصل

إلى مكارم الأخلاق، بينما البعد عن منهاجه ﷺ يعني القرب من الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وفي القلب من ذلك سيئ الأخلاق.

وأضاف أن المشروع الأخلاقي يجب أن يكون في السلوك والعمل وليس مجرد شعارات أو كلمات، فقد ورد أن السيدة عائشة رضي الله عنها حين سئلت عن أخلاق النبي ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن، يرضى لرضاه، ويسخط لسخطه».

الاستمساك بصحيح الدين

في الاتجاه ذاته، يؤكد الشيخ مصطفى عبدالرحيم جاد الرب، مدير عام الوعظ والإرشاد الديني ورئيس لجنة الفتوى بالوادي الجديد، أن مكارم الأخلاق صفة من صفات الأنبياء والصديقين والصالحين، وقد خص الله – جل وعلا – نبيه محمدا ﷺ بآية جمعت له محامد الأخلاق ومحاسن الآداب، فقال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤). وورد عنه ﷺ أنه قال: «أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق». وقد عد النبي ﷺ حسن الخلق من كمال الإيمان، فقال ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا».

وأشار إلى أن من يسر الإسلام أن المسلم مأمور بالكلمة الهينة اللينة لتكون في ميزان حسناته، قال ﷺ: «والكلمة الطيبة صدقة»، وحتى التبسم الذي لا يكلف المسلم شيئا، له بذلك أجر، قال ﷺ: «وتبسمك في وجه أخيك صدقة».

وأضاف أن على المسلم الذي يريد أن يقتدي بنبيه ﷺ في حسن الخلق أن يكون كثير الحياء، قليل الأذى، كثير الصلاح، صدوق اللسان، قليل الكلام، كثير العمل، قليل الزلل، قليل الفضول، برا، وصولا، وقورا، صبورا، شكورا، راضيا، حليما، رفيقا، عفيفا، لا لعانا ولا سبابا، ولا نماما ولا مغتابا،

د. البدوي: إصلاح المؤسسات الاجتماعية كالأسرة والمدرسة والإعلام أولى خطوات العلاج

ولا عجولا ولا حقودا ولا بخيلا، ولا حسودا، يحب في الله، ويرضى في الله، ويغضب في الله، يتسم بالرفق في كل شيء، حتى مع الحيوان، فقد حذر النبي ﷺ من إيذاء الحيوان حتى ولو بمنع الطعام عنه فقال: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض».

وفي المقابل، فإن أصل الأخلاق المذمومة كلها في الكبر، والمهانة، والدناءة، والعجب، والحسد، والبغي، والخيلاء، والظلم، والقسوة، والتجبر، والإعراض، والاستنكاف عن قبول النصيحة، والاستئثار، وطلب العلو، وحب الجاه والرئاسة، وأن يحمد بما لم يفعل.. وأمثال ذلك كلها ناشئة من الكبر. وأما الكذب والخسة والخيانة والرياء والمكر والخديعة والطمع والفزع والجبن والبخل والعجز والكسل والذل لغير الله، واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير ونحو ذلك، فإنها من المهانة والدناءة وصغر النفس. وإن من سوء الخلق بذاءة اللسان، فعن علقمة عن عبدالله قال: قال ﷺ: «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء». وانتهى إلى أن الاستمساك بالدين الحنيف هو السبيل المستقيم لاستعادة الأمة

دينا: علينا استعادة أخلاقيات الرسول ﷺ كإفشاء السلام والتهادي والتبسم

أخلاقها المحمدية النقية.

حسن الخلق من الفطرة السليمة

بدورها، قالت خبيرة الإتيكيت دينا علي ماهر، إن اختلال القيم والأخلاقيات الصحيحة يرجع إلى أسباب عديدة، من أبرزها غياب التنشئة السليمة والدور السلبي الذي تمارسه وسائل الإعلام، لاسيما من خلال الدراما التليفزيونية التي صهرت القيم الحميدة التي تربت عليها الأجيال السابقة واستبدلت بها منظومة من الممارسات السلبية، وسمتها بغير أسمائها، فالخداع مثلا يسمونه ذكاء اجتماعيا.. وهكذا.

وأشارت إلى أن كل صفة طيبة وجميلة، مثل حسن الخلق، واحترام الكبير والعطف على الصغير، والإفساح في المجالس، وآداب الحديث، وآداب الطعام، وآداب النظافة وحتى دخول الخلاء، كلها سلوكيات مستمدة من صحيح الدين الإسلامي الحنيف، وبالطبع نقيض هذه السلوكيات من سوء الخلق، ورفع الصوت والسباب ولعن الآباء والأمهات وكذا الخيانة والتكبر، وسوء الأدب مع الكبير أيا كان، والدا أم معلما أم جارا وغير ذلك، كل هذا من الصفات الممقوتة التي تتنافى مع الفطرة السليمة التي خلق الله الناس عليها.

وشددت على ضرورة التصدي لكل ما يفسد أخلاقيات المجتمع، والبدء في وضع مناهج تعليمية تعلي من شأن القيم والأخلاق وتتصدى لكل ما يتعارض معها، وتنفيذ برامج تليفزيونية للتوعية بأهمية السلوكيات الحميدة للأطفال والشباب والعائلة، بالإضافة إلى زيادة الموضوعات التي تتحدث عن الإتيكيت والقيم والسلوكيات التي حثنا عليها الرسول ﷺ كما في قوله: «أفشوا السلام بينكم»، وقوله ﷺ: «تهادوا تحابوا».. إلى غير ذلك من النصائح النبوية التي تسمو بأخلاقياتنا، ومن أبسطها وأجملها: «تبسمك في وجه أخيك صدقة».

الفِقهُ الافتِراضيُّ.. رُؤيةٌ مقاصِدِيَّة

عبدالفتاح همام
باحث دراسات إسلامية

الفقه الافتراضي: هو اجتهاد الفقيه في وضع الحكم الشرعي لما لم يقع بعد من الحوادث والنوازل المقدرة (١).

أو المراد به: تقدير الحوادث وفرض وقوعها، ثم إيجاد الحلول المناسبة لها، بناء على ذلك (٢).

وافتراض المسائل له جذور ممتدة إلى العهد النبوي؛ فقد وردت سؤالات مفترضة من قبل الصحابة للنبي ﷺ، فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: «فلا تعطه مالك»، قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: «قاتله»، قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: «فأنت شهيد»، قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: «هو في النار» (٣).

«فهذا نص قاطع في جواز فرض المسائل المحتملة الوقوع قبل وقوعها، وبيان حكمها إذا وقعت، فقد سأل الصحابي رسول الله ﷺ عما لم يقع، وشقق السؤال على وجوه مختلفة، وأجابه الرسول ﷺ عن كل الوجوه التي جوز السائل احتمال وقوعها ولم ينهه أو يقل له: حتى يقع» (٤).

وقد تميز الأحناف في هذا النوع من الفقه وعرفوا به، وسموا: «الأرأيتيين»، أو: «أصحاب أرأيت» لأنهم يكثرون في سؤالهم بـ: أرأيت لوكان كذا فما الحكم؟ وماذا لو كان كذا؟ (٥).

وافترض الفقهاء مسائل كثيرة في أغلب أبواب الفقه الإسلامي، بعضها يمكن أن يقع في قابل الأيام، وبعضها نادر الوقوع، وبعضها يستحيل وقوعه.

ويترادف الفقه الافتراضي أو يتقارب مع ما يطلق عليه بالفقه التقديري، فقه التوقع، فقه المستقبل، الفقه الارتيادي، فقه الترقب، وكلها اصطلاحات قريب بعضها من بعض (٦).

الرؤية المستقبلية للفقه الافتراضي

الفقه الافتراضي - في مدلوله ومجال عمله - وهو فقه مستقبلي يقدر حدوث النوازل، ويصدر الفقيه مسألته بقوله: «أرأيت: لو حدث كذا وكذا»، أي في المستقبل، ووردتنا مسائل كثيرة من هذا الفقه أصبحت من صميم الفقه الإسلامي الآن.

وقد كان للخيال العلمي عند الفقهاء

دوره في وضع تصورات مستقبلية لكثير من الاحتمالات التي يمكن أن تقع، وبعضها تنقضي الأعمار ويستحيل وقوعه.

بل إن الفقه الافتراضي- باعتباره قائما على التقدير المستقبلي - له وشائج قوية بأدلة اجتهادية معتبرة، مثل اعتبار المآل. «فالمجال الزمني للفقه الافتراضي يتحد مع المجال الزمني لاعتبار المآل، فهما يبحثان في الزمن الآتي والمستقبل المتوقع» (٧)

لا أدري لم يمتعض البعض من الفقه الافتراضي، وكل الاختراعات والتقنيات العلمية المعاصرة كانت بذور خيال واسع يستحيل وقوعها، بل واتهم أصحابها بالجنون، ثم تحققت على أرض الواقع، بل العجيب أن السينما الغربية تأنسن (من الإنسان) الحيوانات، وتجعل لها دورا سينمائيا، وبرعت في أفلام الخيال العلمي، وحصدت جوائز عالمية استحسانا لها وتشجيعا.

وقد حاول البعض التشنيع بقصد أو من دون قصد على الفقه الافتراضي، وساق فروعا افتراضية غريبة، وعمم بها الحكم على هذا النوع من الفقه، والبعض تعمد سياق فروع افتراضية، تشكيكا في الإسلام، وغمزا وطعنا في عقلية الفقهاء (٨).

ولكن يشاء الله سبحانه أن يعبر كثير من الباحثين عن شدة الاحتياج إلى هذا الفقه، ودونت بعض المقالات: لا تقتلوا الفقه الافتراضي (٩)، ودعوة إلى إحياء علم الفقه الافتراضي (١٠)، وعقدت مؤتمرات كثيرة تعبر عن الرغبة الملحة في الافتراض المستقبلي والاستشراف المآلي (١١).

مقاصدية الفقه الافتراضي

لقد قصدت فيما قصدته من كتابة هذه الكلمة إظهار الدوافع التي دعت الفقهاء إلى الافتراض، وقراءة المقاصد التي حركتهم لهذا الاتجاه.

المقصد الأول: حسن الاستعداد للتعامل مع المتوقعات.

ويشهد له قول أبي حنيفة لقتادة: «إنا نستعد للبلاء قبل نزوله، فإذا ما وقع عرفنا الدخول فيه والخروج منه» (١٢)، وأصله ما ثبت في الصحيح عن حذيفة بن اليمان أنه، «كان يسأل رسول الله ﷺ عن الشر مخافة أن يقع فيه» (١٣).

قال السرخسي: «فإن قيل: لماذا أورد هذه المسائل (أي المفترضة) مع تيقن كل عاقل بأنها لا تقع، ولا يحتاج إليها، قلنا: لا يتهيأ للمرء أن يعلم ما يحتاج، إليه إلا بتعلم ما لا يحتاج إليه، فيصير الكل من جملة ما يحتاج لهذا الطريق، وإنما يستعد للبلاء قبل نزوله» (١٤).

فمقصد الاستعداد من أهم مقاصد الاجتهاد الافتراضي الذي يستشرف النازلة قبل وقوعها، ويستعد لها ولآثارها ومآلاتها، ثم ينزل الأحكام الشرعية المناسبة لها.

المقصد الثاني: الدربة على تخريج الواقعات للتعليم وتفقيه الطلاب وتدريبهم على تخريج الواقعات من أهم مقاصد الاستشراف الافتراضي والفتيا المستقبلية؛ إذ تعين الطلاب على تنمية ملكة الاجتهاد، وإتقانهم صناعة الفتوى، وترسيخ القواعد وتفريع الفوائد.

قال البيهقي: «وبلغني عن أبي عبدالله الحليمي رحمه الله أنه أباح ذلك للمتفقهة الذين غرض العالم من جوابهم تنبيههم وإرشادهم إلى طريق النظر والإرشاد، لا ليعملوا، ثم

قال: وعلى هذا الوجه، وضع الفقهاء مسائل المجتهدات، وأجروا بآرائهم فيها، لما في ذلك من إرشاد المتفقهة، وتنبيههم على كيفية الاجتهاد» (١٥).

وقد ذكر الإمام الجويني أن طريقة الافتراض في الفقه يستفاد منها في معرفة مدارك الأحكام، وأسرار المعاني، قال: «وفيها التنبيه على مأخذ الأصول والفروع، ومن أحكمه تفتحت قريحته في مباحث المعاني، وعرف القواعد والمباني، ورقى إلى مرقى عظيم من الكليات لا يدركه المتقاعد الواني، وطرق المباحث لا تتهذب إلا بفرض التقديرات قبل وقوعها، والاحتواء على جملتها ومجموعها» (١٦).

ومن الطريف الذي يحكى أن الإمام أبا يوسف لما أراد أن يتصدر للتدريس قبل إجازة شيخه الإمام أبي حنيفة له، أرسل إليه رجلا يسأله عدة مسائل افتراضية، فلم يحسن الجواب، وعاد مرة أخرى إلى شيخه، وغرض الإمام أبي حنيفة تمكينه من ملكة الاجتهاد، وتدريبه على صناعة الفتوى (١٧).

«وعلى هذا فقس ما تسأل عنه من هذا النوع، فإن هذا النوع لا يدخل في الواقعات إنما وضعوه لتشحيذ الخواطر، وامتحان المتبحرين في العلم» (١٨).

المقصد الثالث: نمو الفقه وازدهاره وتجديده.

الاستشراف الافتراضي عند الأقدمين من أهم مكونات الفقه وروافده ومصادره، وأصبح ذخيرة علمية، وإلى الآن ما زلنا نجد فيه حلولا وأجوبة لكثير من التساؤلات المعاصرة الواقعة والمتوقعة. «والحق أنه لو قدر نجاح الفكرة التي تقاوم هذا النوع من الفقه ما كانت لنا هذه الثروة الفقهية العظمى الوافية التي نعتز ونفاخر بها» (١٩).

وذهب العلامة محمد أبوزهرة إلى أن التنظير الافتراضي أمر لابد منه لنمو الفقه، واستنباط قواعده ووضع أصوله، ويرى أنه لازم لدارس الفقه، بل «إن ذلك هو لب العلم وروحه، ومن وقت أن صار الفقه علما يتدارس بين المسلمين، تحت ظل كتاب الله، مستقيا من سنة رسول الله ﷺ، والمسائل الممكنة الوقوع تفرض وتفرض لها أحكام... وإذا كان لفقهاء الرأي في ذلك السبق، فهو سبق إلى فضل، وإلى أمر ترتب عليه خير كثير ونفع عميم» (٢٠).

ونرى مصداق ذلك في تدوين المدونة في فقه الإمام مالك، فأصل فكرتها هو الإمام أسد بن الفرات الذي كان ميالا إلى الاستشراف الافتراضي والتقدير الاجتهادي للمسائل، فذهب إلى محمد ابن الحسن وتشرب منهجه وطريقته، ثم ذهب إلى ابن القاسم بعد أن جرد مسائل العراقيين من أحكامها المبنية على مذهب أبي حنيفة، وأراد معرفة جوابات مالك عليها من تلاميذ الإمام، وبعض المسائل واقعية، وكثير منها افترضي، وإن لم يكن بعيد الوقوع، قال ابن رشد عن المدونة: «وكانت مؤلفة على مذهب أهل العراق، فسلخ أسد بن الفرات منها الأسئلة، وقدم بها المدينة ليسأل عنها مالكا - رحمه الله - ويردها على مذهبه، فألفاه قد توفي» (٢١).

المقصد الرابع: إحياء الاجتهاد وتطوره.

نقل الشوكاني عن البعض اعتبار النظر فيما لم يقع مسلكا من مسالك الاجتهاد، ونوعا من أنواعه، فقال: وقال بعضهم: الاجتهاد في حق العلماء على ثلاثة أضرب: فرض عين، وفرض كفاية، وندب.

فالأول (أي فرض عين): على حالين:

أحدهما: اجتهاد في حق نفسه عند نزول الحادثة.

والثاني: اجتهاد فيما تعين عليه الحكم فيه، فإن ضاق فرض الحادثة كان على الفور، وإلا كان على التراخي.

والثاني (فرض كفاية): على حالين:

أحدهما: إذا نزلت بالمستفتي حادثة، فاستفتى أحد العلماء، توجه الفرض على جميعهم، وأخصهم بمعرفتها من خص بالسؤال عنها، فإن أجاب هو أو غيره سقط الفرض، وإلا أثموا جميعا.

والثاني: أن يتردد الحكم بين قاضيين مشتركين في النظر، فيكون فرض الاجتهاد مشتركا بينهما، فأيهما تفرد بالحكم فيه سقط فرضه عنها.

والثالث (الندب): على حالين:

أحدهما: فيما يجتهد فيه العالم من غير النوازل، ليسبق إلى معرفة حكمه قبل نزوله.

والثاني: أن يستفتيه قبل نزولها (٢٢).

من خلال قراءة النقل السابق، نجد أن بعض أنواع الاجتهاد أخذ مزيدا من البحث والدرس، وخصوصا الاجتهاد النوازلي، أما النوع الثالث وهو الاجتهاد الاستشرافي الذي يفترض الوقائع قبل نزولها فلم يكن الاهتمام به مثل سابقيه، وأحسب أن النوع الثالث من الاجتهاد الاستشرافي في الوقت الحاضر سيجد في الدراسات المستقبلية وبحوثها ومناهجها آلية ووسيلة لتفعيله.

إن هذا الفقه يمكن أن يقوم بنصيب كبير في تطوير الاجتهاد في الفقه الإسلامي؛ إذ قدم لنا ألوفا من القضايا المتوقعة، وهذا فتح بابا للاجتهاد فيها والتعامل معها. وهذا ينفي عن هذا الدين اتهامه بالجمود والماضوية؛ إذ هو يفتح أبوابه للمستقبل وقضاياه عبر الفقه

الافتراضي الذي يستبصر حلول المشكلات قبل وقوعها..

وتفعيل الاجتهاد الافتراضي يترتب عليه - غير تطوير الاجتهاد وتجديده - الخروج عن دائرة التقليد.

المقصد الخامس: عرض بدائل فقهية.

كان علماؤنا يراعون الاحتمالات المختلفة للمسائل ويذكرونها وأحكامها، ويطالبون بمراعاتها، فالغزالي يقول في حقيقة القولين: فعلى كل ناظر في المسائل وظائف خمس:

أولها: وضع صورة المسألة وفهمها.

والثانية: طلب الاحتمالات فيها واستقصاؤها.

والثالثة: حصر ما ينقدح من جملة تلك الاحتمالات، وتعليلها ما أمكن.

والرابعة: طلب أدلة الاحتمالات.

الخامسة: طلب الترجيح في تلك الأدلة (٢٣).

والفقه الافتراضي يرصد جملة من الاحتمالات والبدائل، فتأتي الفتيا المستقبلية للتعامل مع هذه البدائل والاحتمالات، وتبين أحكامها؛ مما يقلل الغموض الذي يكتنف الأحداث والقضايا، كما أنه يقلل الخطأ في الفتيا، ويزيد من رجحان الصواب والتسديد.

المقصد السادس: التخريج الفقهي.

لقد حاول العلماء المعاصرون تخريج كثير من النوازل الواقعة على القضايا المفترضة، ووجدوا تشابها بينهما، فخرجوا الواقع النازل على الواقع المفترض، فوفر عليهم جهدا كبيرا، وقرب إليهم صورا محتملة يقيسون عليها. ومن القضايا المخرجة على الفقه الافتراضي:

ما قاله الشاطبي في الاعتصام: «لو كان ثم من يسير إلى فريضة الحج طيرانا في الهواء أو مشيا على الماء لم يعد مبتدعا بمشيه كذلك، لأن المقصود إنما هو التوصل إلى مكة لأداء الفرض، وقد حصل على الكمال» (٢٤).

جاء الشاطبي بافتراض كان مستحيلا في زمنه، فأصبح جزءا من حياتنا اليومية.

وقد أورد الحطاب هذه المسألة في شرحه لمختصر خليل، فقال: «ولو طار ولي الله - تعالى - إلى جهة السماء قبل طلوع الفجر بساعة، فإنه يرى الفجر في مكانه، بل ربما رأى الشمس، ومع ذلك يحرم عليه صلاة الصبح حينئذ؛ لأن الفجر الذي نصبه الله - تعالى - سببا لوجوب الصبح إنما هو الفجر الذي نراه على سطح الأرض فتحصل من هذا أنه إذا علم دخول الوقت بشيء من الآلات القطعية مثل الإسطرلاب والربع والخيط المنصوب على خط وسط السماء، فإن ذلك كاف في معرفة الوقت وإذا أراد أن يعتمد على مجرد رؤية المنازل طالعة، أو متوسطة فلابد أن يتربص حتى يتيقن دخول الوقت؛ لأن مجرد رؤية المنزلة طالعة، أو متوسطة لا تفيد بمعرفة الوقت تحقيقا، إنما هي تقريب، بخلاف ما إذا علم توسط كوكب معلوم بالخيط المذكور وعلم مطالعه وأنه يتوسط عند طلوع الفجر، أو العشاء فهذا يفيد معرفة دخول الوقت تحقيقا فيعتمد ذلك» (٢٥).

«هكذا استفاد العلماء من هذه المعلومة، ليعلموا كيف يحسب الوقت للصلاة في الطائرة، فيجب أن ينتظر المصلي حتى وقت الفجر على الأرض. وعلمنا أنه يمكن قياس الوقت بالآلات» (٢٦).

وقد خرج الإمام القرافي على مسألة تقدير اجتماع العيد والكسوف، جملة من المسائل التي وقعت فأفاد وأغنى رحمه الله (٢٧).

الهوامش

(١) الفقه الافتراضي بين أهل الرأي وأهل الحديث، مجلة الوعي الإسلامي، د. محمود النجيري، عدد٥٣٢.

(٢) العقل الفقهي، د. نوار الشلي، ١٥٠.

(٣) مسلم، كتاب الإيمان، باب: الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره بغير حق، كان القاصد مهدر الدم في حقه، وإن قتل كان في النار، وأن من قتل دون ماله فهو شهيد.

(٤) منهج السلف في السؤال عن العلم، الشيخ عبدالفتاح أبوغدة،٣٣.

(٥) انظر: تاريخ التشريع الإسلامي، الشيخ محمد الخضري ٢٧٧.

(٦) انظر: مقال فقه المستقبل، مجلة الوعي الإسلامي، عدد،٥٦٠.

(٧) الفقه الافتراضي وتطبيقاته المعاصرة، د. صلاح الدين خلوق، ٩.

(٨) من خلال تصفحي في شبكة المعلومات (النت) وجدت بعض المواقع التنصيرية تسوق فروعا فقهية افتراضية طعنا في الإسلام وتشنيعا على أهله، وكان هذا من أهم الأسباب التي دفعتني إلى كتابة هذا المقال.

(٩) مقال للكاتب إبراهيم الشدوي، صحيفة الندوة، عدد،٩٩٣.

(١٠) مقال للكاتب أحمد علي آل مريع، مجلة البيان، عدد، ٢٧١.

(١١) انظر: الإفتاء ودراسات المستقبل، عبدالفتاح همام، كتاب أصدرته روافد في سلسلتها الرائعة،عدد١٠٤، وزارة الأوقاف الكويتية.

(١٢) تاريخ بغداد، ٣٤٨/١٣.

(١٣) البخاري، كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، مسلم في الإمارة باب: الأمر بلزوم الجماعة.

(١٤) المبسوط للسرخسي،١/ ٢٤٢.

(١٥) المدخل إلى السنن الكبرى، ٢٢٧.

(١٦) الغياثي: فقرة، ٨٣٦ .

(١٧) الأشباه والنظائر لابن نجيم ٤٢٥.

(١٨) المبسوط للسرخسي، ط دار الفكر،٣/ ٢٩٤.

(١٩) مقدمة موسوعة جمال عبدالناصر في الفقه الإسلامي، بإشراف الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر، طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط١٣٨٦/١هـ جـ١، ص٣١.

(٢٠) أبوحنيفة: حياته وعصره،٢٠٤.

(٢١) المقدمات ٤٥/١، والصحيح أن أسدا كان بالعراق وقت وفاة مالك، وانظر: مالك لأبي زهرة، ٣٤٩.

(٢٢) إرشاد الفحول،٢/٢١١.

(٢٣) حقيقة القولين،٢٩٤.

(٢٤) الاعتصام ٢٥٣/١.

(٢٥) مواهب الجليل، ٣٨٦/١.

(٢٦) الفقه الافتراضي، نجوى زنتوت،٨٨.

(٢٧) انظر: اليواقيت في أحكام المواقيت، ١٢ وما بعدها.

في عهد عمر بن عبدالعزيز

السِّيَاسَةُ المَالِيَّةُ الرَّاشِدَةُ

بوعزيز الشيخ
باحث دراسات إسلامية

أخذت سياسة عمر بن عبدالعزيز المالية مكانة بالغة الأهمية في فترة خلافته، إذ تشهد أيامه التي قضاها على رأس الخلافة أنه كان مديرا ماليا بامتياز، كيف لا، وقد تميز عهده برخاء اقتصادي، حتى صار أهل الزكاة لا يجدون من يأخذ زكاتهم، وذلك لعدم وجود من يستحقها، بسبب الرفاهية الاقتصادية المنقطعة النظير، وسنتناول في هذا المقام الإشادة بأهم الإجراءات المالية المتخذة في عهده، وأثرها على النواحي الاقتصادية للخلافة، لذلك فإن دراسة السياسة المالية والاقتصادية لعمر بن عبدالعزيز تعد أمرا مهما، لأن عهده جاء بعد أن ظهرت عدة تجاوزات مالية واقتصادية، لم تكن موجودة زمن الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين.

الكلمات المفتاحية

السياسة المالية

تمثل السياسة المالية أحد أهم الركائز التي تتحقق بها التنمية الاقتصادية، إذ تعتبر إحدى الوسائل المهمة لمحاربة مظاهر الفقر والتخلف، وتسعى نحو التقدم في شتى مجالات الحياة، وجدارا صلبا لمواجهة المشكلات الاقتصادية، من خلال محاربة التضخم وتحقيق الاستقرار الاقتصادي بشكل عام، والاستقرار المالي بشكل خاص، بالإضافة إلى السعي لتحقيق التوازن الاقتصادي والاجتماعي، بمحاربة مظاهر الفقر والبطالة، وتحقيق العدالة في توزيع الدخول، والإقلال من الفجوات ما بين الفئات المختلفة للمجتمع، ناهيك عن الجانب البيئي الذي هو أساس الحياة البشرية.

وبالرغم من تطبيق السياسات المالية المختلفة في إطار الفكر الغربي، سواء أكان رأسماليا أو اشتراكيا، فإن هذه السياسات أثبتت فشلها لعدم، ملاءمتها لطبيعة وبيئة مختلف المجتمعات الإسلامية، مما دفعنا إلى الرجوع إلى الماضي، واستخلاص الدروس المثالية في ضوء سياسة مالية راشدة، انتهجها خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبدالعزيز، والتي استطاع من خلالها تحقيق اقتصاد مثالي، أعتبره مثالا خالدا للعدالة الاقتصادية، لم تشهد المعمورة مثله حتى الساعة.

أهمية البحث تظهر أهمية البحث من خلال إبراز أهمية الرجوع إلى الأسس والمبادئ الراشدية لمواجهة الأزمات المالية والاقتصادية العصرية التي ترتبط بالدول الإسلامية عموما، وبالدول العربية خصوصا.. والتي تتمثل في: طرح المنهج الإسلامي بصورة علمية ومنهجية للحكام المسلمين المبتعدين عن جوهر الدين، وعن تطبيقه في حياتهم العامة، ولغير المسلمين الذين يبحثون عن بديل للنظام المالي المنفعي المتعدد

الأزمات.

مشكلة البحث تتلخص مشكلة البحث في الحاجة إلى دراسة علمية تحليلية لعوامل الرفاهية الاقتصادية، في عهد الخليفة الراشدي الخامس عمر بن عبدالعزيز التي بدأت من خلال تطبيق نظام مالي مثالي. ومحاولة الإجابة على أهم الأسس الضوابط المالية التي أدت إلى الازدهار الاقتصادي في عهده.

الفرضيات تناولت الدراسة اختيار فرضية أن النظام المالي الراشد له الأثر الكبير في تحقيق التوازن الاجتماعي، مما يدفع بعجلة التنمية الاقتصادية إلى النقطة المثالية.

من هو عمر بن عبدالعزيز؟ سؤال وجب الإجابة عنه قبل الدخول في صلب الموضوع، هو عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ابن عبدشمس بن عبدمناف أبوحفص القرشي الأموي أمير المؤمنين، وأمه أم عاصم ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١). ومن هذا يتبين أن عمر بن عبدالعزيز من أشرف قبائل العرب حسبا، وأعظمها نسبا، فجده لأبيه هو مروان بن الحكم الذي اختلف في كونه صحابيا من أصحاب النبي ﷺ، أو من أكابر التابعين (٢). وأما جده لأمه فإنه فاروق الأمة وأمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فقد اجتمع له طيب المحتد، ورقي الأصل من جهة أبيه وأمه، ويسجل التاريخ عن عبدالعزيز بن مروان والد عمر أنه ولد في المدينة المنورة، ثم دخل الشام مع أبيه مروان، وكان ولي عهده بعد أخيه عبدالملك، وقد ولاه أبوه الديار المصرية في سنة خمس وستين (٣).

١- تعريف السياسة المالية

اشتق مصطلح السياسة المالية أساسا من الكلمة الفرنسية «Fisc»، وتعني حافظة النقود أو الخزانة (٤). وكانت السياسة المالية يراد في معناها الأصلي كل من المالية العامة وميزانية الدولة، وتعزز استخدام هذا المصطلح على نطاق واسع أكاديمي بنشر كتاب «السياسة المالية ودورات الأعمال» للبروفيسور Alain. H. HANSEN، ويعكس مفهوم السياسة المالية تطلعات وأهداف المجتمع الذي تعمل فيه، فقد استهدف المجتمع قديما إشباع الحاجات العامة وتمويلها من موارد الموازنة العامة، ومن ثم ركز الاقتصاديون جل اهتمامهم على مبادئ الموازنة العامة وضمان توازنها، ولكن نظرا لأن اختيار الحاجات العامة المطلوب إشباعها يتطلب من المسؤولين اتخاذ قرارات، وأن هذه الأخيرة قد تحدث آثارا متعارضة أحيانا، فتثير مشكلة كيفية التوفيق بين هذه الأهداف المتعارضة وتحقيق فعاليتها، على نحو مرغوب، وفي ضوء تلك التوفيقات والتوازنات يتكون أساس ومفهوم السياسة المالية (٥).

٢- أسس السياسة المالية لعمر بن عبدالعزيز

تتجلى أسس السياسة المالية لعمر بن عبدالعزيز من خلال النظر والتبصر في بعض خطبه المشهورة، والتي كانت تحمل في طياتها ملامح سياسية مالية راشدة، استلهمها مما سبقه في الحكم من الخلفاء الراشدين، وبالأخص من سيدنا عمر بن الخطاب، والدليل على ذلك طلبه من سالم بن عبدالله بن عمر أن يكتب له سيرة مفصلة لعمر ابن الخطاب (٦)، حتى تكون له سندا وذخرا يقتدي به مستقبلا.

وحين توليه الإمارة في الدولة الإسلامية ألقى خطابه التالي: «أوصيكم بتقوى الله عزوجل، فإن تقوى الله خلف من كل سعي، وليس من تقوى الله عزوجل خلف. واعملوا لآخرتكم، فإنه من عمل لآخرته كفاه الله تعالى أمر دنياه، وأصلحوا سرائركم يصلح الله الكريم علانيتكم، وأكثروا ذكر الموت، وأحسنوا الاستعداد قبل أن ينزل بكم، فإنه هادم اللذات، وإن من لا يذكر من آبائه – فيما بينه وبين آدم عليه السلام – أبا حيا، لمعرق له في الموت. وإن هذه الأمة لم تختلف في ربها عز وجل، ولا في نبيها ﷺ، ولا في كتابها، وإنما اختلفوا في الدينار والدرهم، وإني والله لا أعطي أحدا باطلا، ولا أمنع أحدا حقا».

وقد جاءته عمته ذات يوم وهو خليفة المسلمين في الأرض، تشكوه مساواته لهم مع بقية أفراد المجتمع، واسترداده للأموال والمخصصات المالية من المنح والعطايا التي كانت تصل إلى أهل بيت الخليفة وأقربائه، فرفض شكواها جملة وتفصيلا، وكان جوابه صريحا وواضحا، حيث قال لها: «يا عمة، اعلمي أن النبي ﷺ مات وترك الناس على نهر مورود، فولي ذلك النهر بعده رجل، فلم يستنقص منه شيئا حتى مات، ثم ولي ذلك النهر بعد ذلك الرجل رجل آخر، فلم يستنقص منه شيئا حتى مات، ثم ولي ذلك النهر رجل آخر فكرى منه ساقية، ثم لم يزل الناس بعده يكرون السواقي حتى تركوه يابسا لا قطرة فيه، وأيم الله لئن أبقاني الله لأردنه إلى مجراه الأول، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط، وإذا كان الظلم من الأقارب الذين هم بطانة الوالي، والوالي لا يزيل ذلك، فكيف يستطيع أن يزيل ما هو ناء عنه في غيرهم» (٧).

ومن خلال التمعن في أقواله، تتضح أهم المعالم التي أسس بموجبها سياسته المالية والتي كانت تقوم على ما يلي:

● العدل المالي ورفع الظلم: من خلال رؤيته الثاقبة بوجود انتهاكات في تطبيق السياسة المالية لمن سبقوه من أمراء بني أمية (٨)، من خلال قوله فيما سبق ذكره: «وإن هذه الأمة لم تختلف في ربها عز وجل، ولا في نبيها ﷺ، ولا في كتابها، وإنما اختلفوا في الدينار والدرهم»، وهو ما دفعه إلى ترسيخ قيم الحق والعدل ودفع الظلم وجعلها أساسا لقيام سياسة مالية راشدة، فجميع الأهداف والوسائل التي اتبعها كانت تنسجم مع هذا الأساس، وإحقاق الحق ودفع الظلم، هو أصل من أصول الشريعة، ومقصد رئيسي من مقاصدها، قال تعالى:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا

مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾ (الحديد: ٢٥).

يقول ابن القيم: فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة (٩).

ولقد كان عمر يرجع للحق إذا تبين له الخطأ، ويقول في ذلك: ما من طينة أهون علي فتا، ولا كتاب أيسر علي ردا من كتاب قضيت به، ثم أبصرت أن الحق في غيره ففتتها (١٠).

● تأكيده على تطبيق السياسة المالية المنتهجة أيام الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين من بعده، وذلك من خلال قوله بأنه إن أبقاه الله ليردن النهر المورود الذي تركه الرسول ﷺ إلى سابق عهده (١١)، وأيضا من خلال طلبه لسالم بن عبدالله بن عمر أن يكتب له سيرة عمر بن الخطاب، ومنه الوصول إلى العمل بنفس السياسة المالية التي انتهجها عمر بن الخطاب، والتي بدورها كانت تقوم على مجموعة من الأسس نلخصها فيما يلي:

● مساواة الخليفة مع الرعية في الطعام والكساء. حيث حلف عمر رضي الله عنه بأن لا يذوق السمن واللبن حتى يلبي احتياجات الرعية من الطعام (١٢)، وجاءت ممارسة الفاروق رضي الله عنه لهذا المبدأ كدليل واضح على مبدأ العدل والمساواة في التسيير المالي لشؤون الخلافة الإسلامية.

● إلحاق كل الأمور المالية من إيرادات ونفقات بشخصه إلى جانب أمور الخلافة، حيث قال: «من أراد أن يسأل عن المال فليأتني، فإن الله جعلني له واليا وقاسما».

● بناء سياسة مالية تقوم على مبدأ حصول كل ذي حق على حقه من بيت المال، وذلك بمنعه جل أنواع العطايا، استنادا لقوله: «ولا أمنع أحدا حقه».

● الاختيار الأمثل للأمراء والولاة الصالحين القادرين على التسيير المثالي لشؤون المالية، حينما اعتبر أن صاحب بيت المال ركن من أركان أربعة لتثبيت السلطان.

● التسيير الرشيد والعقلاني في الإنفاق المال العام، حيث يقول: «ولكم إذا وقع في يدي (أي المال العام) ألا يخرج مني إلا بحقه».

● إقامة إدارة الجباية العادلة، وقد قال في هذا الشأن: «ولكم علي ألا أجتبي شيئا من خراجكم، ولا مما أفاء الله عليكم إلا من وجهه».

● إعادة الأموال التي أخذت من أصحابها ظلما: لأنها تبقى حائلا دون مشاركة الأفراد في مشروعات التنمية وتطوير الأوضاع الاقتصادية، وإن هذه الأموال تبقى في ذاكرة المجتمع مؤشرا سلبيا على ثقة الناس بالمصلح، لأن رفع شعار الإصلاح الاقتصادي يتعارض مع الصورة بإبقاء الظلم، لأن من لا يصلح القديم لا يحسن في الجديد، فكتب عمر ابن عبدالعزيز إلى عماله في مال قبضه بعض الولاة ظلما، أن يرده إلى أهله، وتؤخذ زكاته لما مضى من السنين، ثم عقب ذلك، بأن لا يؤخذ منه إلا زكاة سنة واحدة، فإنه كان ضمارا (١٣).

● الاهتمام بفريضة الزكاة العينية والتشديد عليها، وعدم التهاون في جمعها وإنفاقها، والحرص على وصولها للمستحقين لها.

● محاربة الفساد المالي والرشوة باسم الهدية، قال عمرو بن مهاجر: اشتهى عمر بن عبدالعزيز تفاحا، فأهدى له رجل من أهل بيته تفاحا، فقال: ما أطيب ريحه وأحسنه، ارفعه يا غلام للذي أتى به، وأقرئ فلانا السلام، وقل له: إن هديتك وقعت عندنا بحيث نحب، فقلت يا أمير المؤمنين: ابن عمك ورجل من أهل بيتك، وقد بلغك أن النبي ﷺ كان يأكل الهدية، فقال: ويحك إن الهدية كانت للنبي ﷺ هدية، وهي لنا اليوم رشوة (١٤).

● زيادة الإنفاق على الفئات الفقيرة والمحرومة ورعايتها، وتأمين مستوى الكفاية لها عن طريق الزكاة، وموارد بيت المال الأخرى.

● تحسين موارد الدولة المالية، وضبطها بالضابط الشرعي، كجباية الزكاة والخراج وغيرها.

ومما سبق ذكره، يتضح أن أسس السياسة المالية لعمر بن عبدالعزيز كانت في الأصل مزيجا بين أسس من سبقوه في الحكم من الخلفاء الراشدين، وعلى رأسهم الفاروق عمر رضي الله عنه وإبداعات شخصية، استهلها بعمليات إصلاحية للمخالفات المالية التي شابت بعض الشؤون المالية في عهد بني أمية، وكذا توزيع دقيق وعادل للثروة، وختمها بضبط شامل للنظام المالي، بزيادة الموارد وضبط الإنفاق، مع مراعاة ترتيب حقوق الناس في مختلف أرجاء الخلافة الإسلامية.

٣- دور الأسس المالية الراشدة في تحقيق الرخاء الاقتصادي:

لقد كان للأسس المالية التي استند إليها عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه الأثر الكبير والسريع على الأحوال الاقتصادية للمجتمع الإسلامي، والملاحظ أن الخليفة الراشد الخامس كان ينظر دائما إلى المال على أنه وسيلة لتحسين أحوال الرعية، وليس وسيلة للمنافع الشخصية، وفي ذلك بدأ عمر بن عبدالعزيز بنفسه باعتباره المثل والقدوة فوهب كل ما يملك من أموال وأراض هو وزوجته إلى بيت المال، لكي تنفق على شؤون المسلمين، وهو ما جعله يكسب قلوب من عايشوه في تلك الحقبة.

كانت سياسة عمر المالية تهدف على إيصال الناس إلى حد الكفاية، من خلال زيادة الإنفاق على الفئات الفقيرة والمحرومة ورعايتها، وتأمين مستوى الكفاية لها عن طريق الزكاة والموارد الأخرى بيت المال، ويلاحظ ذلك من خطبه، فقد خطب الناس يوما فقال: «وددت أن أغنياء الناس اجتمعوا فردوا على فقرائهم، حتى نستوي نحن وهم، وأكون أنا أولهم» وفي خطبة أخرى يقول: «ما أحد منكم تبلغني حاجته إلا حرصت أن أسد من حاجته ما قدرت عليه، وما

أحد لا يسعه ما عندي إلا وددت أنه بدئ بي وبلحمتي الذي يلونني، حتى يستوي عيشنا وعيشكم» وقد ظهر ذلك عمليا عندما أمر بقضاء دين الغارمين، عندما كتب إليه عامله على الصدقات: إنا نجد الرجل له المسكن والخادم، وله الفرس والأثاث في بيته، فأجاب عمر لا بد للرجل من المسلمين من مسكن يأوي إليه رأسه، وخادم يكفيه مهنته، وفرس يجاهد عليه عدوه، وأثاث في بيته، فهو غارم فاقضوا عنه، فسياسة عمر المالية تهدف إلى كفاية الناس من حيث المسكن والمركب والأثاث، وهي حاجات يرى أنها أساسية، وضرورية للإنسان، تصعب الحياة بدونها (١٥)

٤- الآثار الاقتصادية المقتبسة نتيجة تطبيق السياسة المالية الراشدة في عهد عمر بن عبدالعزيز

باختصار يمكن القول بأن الأسس المالية المنتهجة من طرفه رضي الله عنه، كان لها أهمية كبيرة في تحقيق الأهداف الاقتصادية في ظرف وجيز لا يتعدى الثلاثين شهرا، ويمكن الإشارة إلى بعض الآثار الاقتصادية المحققة في إطار تطبيق السياسة المالية الراشدة:

١- القضاء نهائيا على جميع أوجه الفقر والحاجة حتى اكتفى الناس، ووصل الأمر بهم، أن كان الرجل يخرج زكاة ماله، فلا يجد أحدا فقيرا ليستلمها (١٦).

٢- حل مشكلة مديونية الأفراد وكذا القضاء نهائيا على كل الآفات الاقتصادية للمجتمع، نتيجة الفائض المالي الذي شهدته ميزانية الدولة في عهده، لاندفاع أفراد المجتمع للعمل والإنتاج، بعد استقرار الأمن والتخلص من القوانين الجائرة المعيقة للاستثمار، فكثر عدد المؤدين للزكاة، وانخفاض عدد القابضين لها.

٣- معالجة مشكلة العجز المالي التي لطالما عانت منها خزينة الخلافة خاصة في عهد عبدالملك بن مروان نتيجة التكاليف التي كانت تتحمل عبئها الخلافة في عهده، بتقديم الجزية لملك الروم، بسبب عدم قدرة الدولة في تلك الحقبة على مواجهته عسكريا، نتيجة نقص الأموال والعتاد العسكري (١٧).

٤- اتباع سياسة محاربة الإسراف والتبذير والرشوة والفساد المالي من طرف شخصه كان لها الأثر الكبير في التقليل من تكاليف الإنتاج، وهذا بدوره أعطى للمشروعات الإنتاجية إمكانية الربحية والاستمرار والنمو والتطوير إلى الأفضل، من خلال زيادة المبيعات فزيادة الإنتاج ومقابلة الطلب المتزايد يحجم من عملية ارتفاع الأسعار.

٥- إن تطبيق سياسة زكاة المال والتكافل الاجتماعي للخليفة الخامس ساعد على هطول الأموال واستثمارها في المشروعات الطيبة الحلال، كما أن إيتاء الزكاة عينا من أفضل السياسات المالية العمرية لتقليل عرض النقود وبذلك لا تخلق فرصا للتضخم الاقتصادي.

نتائج الدراسة:

بعد أن سافرنا في الصفحات السابقة مع أهم الأسس المالية لعمر بن عبدالعزيز وكذا أهميتها في معالجة المشاكل الاقتصادية نحب أن نوجز للقارئ الكريم أهم ما توصل إليه هذا البحث.

حيث يتضح مما سبق، أن للسياسة المالية الراشدة والسليمة دورا كبيرا في القضاء على أهم المشاكل الاقتصادية إذا طبقت التطبيق الصحيح، ولعل في دراسة أسس السياسة المالية الراشدة في عهد عمر ابن عبدالعزيز الدليل الكافي والشافي على أنها تحمل في طياتها العلاج الناجح للمشاكل الاقتصادية التي يتخبط فيها المجتمع الإسلامي في الوقت المعاصر، وأسس السياسة المالية هي في الأصل تنبع من تعاليم الكتاب والسنة، بالإضافة إلى تلك التوجهات الاجتهادية التي لا تخرج عن الإطار الديني. ويمكن التأكيد على أن اتباع النهج المالي الراشد الذي طبقه عمر بن عبدالعزيز في عهده رضي الله عنه سيحقق الرفاهة المالية والاقتصادية والاجتماعية في وقتنا المعاصر، باعتبار أن العصر الحديث يمتاز بوفرة عناصر الإنتاج وتنوعها، بالإضافة إلى التطور العلمي الهائل والذي يجعل من تطبيق النهج المالي لعمر بن عبدالعزيز سهلا وممكنا، خاصة إذا ما توفرت الإرادة العمرية والهمة السياسية التي تساعد كثيرا على نجاح السياسة المالية الراشدة.

والملاحظ من خلال تعمقنا في دراسة المنهج الراشدي المالي لعمر ابن عبدالعزيز أن السياسة المالية والاقتصادية أخذت حظها الوافر من الاهتمام وأقصى درجات العناية، وذلك من خلال الإجراءات الصارمة التي عمل على تطبيقها بعد توليه الخلافة مباشرة.

الهوامش

١- البداية والنهاية (٢٥٢/٥)، الثقات لابن حبان (١٥١/٥)، ط/ دار الفكر.

٢- نفس المرجع السابق، (٧٩٩/٤-٨٠٠)، الطبقات الكبرى (٢٣٠/٥)، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (٢٩٥/٧) ط/ دار الجيل.

٣- نفس المرجع السابق، (٧٧/٤)، الطبقات الكبرى (٢٣٦/٥)، الثقات لابن حبان (١٢٢/٥) ط / دار الفكر العربي، ١٩٧٥م.

٤- طارق لحاج، المالية العامة، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٩م، ص٢٠١.

٥- السياسة المالية ودورها في تحقيق التوازن الاقتصادي، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه دولة، دراوسي مسعود، ص ٤٧.

٦- عمر بن عبدالعزيز، لابن كثير القرشي، ص ١٠٧.

٧- نفس المرج السابق، ص ١٠٩.

٨- السياسة المالية لعمر بن عبدالعزيز، قطب إبراهيم محمد، ص ٥٨.

٩- أعلام الموقعين (٣/ ٣).

١٠- سيرة ومناقب عمر لابن الجوزي ص ١١٣.

١١- نفس المرجع السابق، ص ٥٨.

١٢- تاريخ ابن خلدون، جـ٢ ص ١١٤.

١٣- أبوعبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي (ت ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، دار الشعب، القاهرة، ١٣٧٢هـ، الطبعة الثانية، تحقيق: أحمد عبدالعليم البردوني.

١٤- أبوالفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، الدراية في تخريج أحاديث الهداية، دار المعرفة، بيروت، تحقيق: السيد عبدالله هاشم اليماني المدني.

١٥- د. محمد عوده العمايدة: كيف أغنى عمر ابن عبدالعزيز الناس؟ www.alhiwartoday.net..

١٦- الواسطي، تاريخ واسط، ج١، ص١٨٤.

١٧- البلاذري، فتوح البلدان، ج١، ص١٦٤. الأصبهاني، حلية الأولياء، ج٣، ص١٧٦.

الحنين إلى الأوطان

لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

لكل شيء من العلم، ونوع من الحكمة، وصنف من الأدب، سبب يدعو إلى تأليف ما كان فيه مشتتا، ومعنى يحدو على جمع ما كان منه متفرقا. ومتى أغفل حملة الأدب وأهل المعرفة تمييز الأخبار واستنباط الآثار، وضم كل جوهر نفيس إلى شكله، وتأليف كل نادر من الحكمة إلى مثله.. بطلت الحكمة، وضاع العلم، وأميت الأدب، ودرس مستور كل نادر.

ولولا تقييد العلماء خواطرهم على الدهر، ونقرهم آثار الأوائل في الصخر، لبطل أول العلم وضاع آخره. ولذلك قيل: «لا يزال الناس بخير ما بقي الأول يتعلم منه الأخير».

وإن السبب الذي بعث على جمع نتف من أخبار العرب في حنينها إلى أوطانها، وشوقها إلى تربها وبلدانها، ووصفها في أشعارها توقد النار في أكبادها، أني فاوضت بعض من انتقل من الملوك في ذكر الديار، والنزاع إلى الأوطان، فسمعته يذكر أنه اغترب من بلده إلى آخر أمهد من وطنه، وأعمر من مكانه، وأخصب من جنابه. ولم يزل عظيم الشأن جليل السلطان، تدين له من عشائر العرب ساداتها وفتيانها، ومن شعوب العجم أنجادها وشجعانها، يقود الجيوش ويسوس الحروب، وليس ببابه إلا راغب إليه، أو راهب منه؛ فكان إذا ذكر التربة والوطن حن إليه حنين الإبل إلى أعطانها، وكان كما قال الشاعر:

إذا ما ذكرت الثغر فاضت مدامعي
وأضحى فؤادي نهبة للهماهم
حنينا إلى أرض بها اخضر شاربي
وحلت بها عني عقود التمائم
وألطف قوم بالفتى أهل أرضه
وأرعاهم للمرء حق التقادم

فقلت: «لئن قلت ذلك لقد قالت العجم: من علامة الرشد أن تكون النفس إلى مولدها مشتاقة، وإلى مسقط رأسها تواقة».

وقالت الهند: «حرمة بلدك عليك كحرمة أبويك، لأن غذاءك منهما، وأنت جنين، وغذاءهما منه».

وقال آخر: «احفظ بلدا رشحك غذاؤه، وارع حمى أكنك فناؤه. وأولى البلدان بصبابتك إليه بلد رضعت ماءه، وطعمت غذاءه».

وكان يقال: «أرض الرجل ظئره، وداره مهده، والغريب النائي عن بلده المتنحي عن أهله، كالثور الناد عن وطنه، الذي هو لكل رام قنيصة».

وقال آخر: «الكريم يحن إلى جنابه، كما يحن الأسد إلى غابه».

وقال آخر: «الجالي عن مسقط رأسه ومحل رضاعه، كالعير الناشط عن بلده، الذي هو لكل سبع قنيصة، ولكل رام دريئة».

وقال آخر: «تربة الصبا تغرس في القلب حرمة وحلاوة، كما تغرس الولادة في القلب رقة وحفاوة».

وقال آخر: «أحق البلدان بنزاعك إليه بلد أمصك حلب رضاعه».

وقال آخر: «إذا كان الطائر يحن إلى أوكاره فالإنسان

أحق بالحنين إلى أوطانه».

وقال الحكماء: «الحنين من رقة القلب، ورقة القلب من الرعاية، والرعاية من الرحمة، والرحمة من كرم الفطرة، وكرم الفطرة من طهارة الرشدة، وطهارة الرشدة من كرم المحتد».

وقال آخر: «ميلك إلى مولدك من كرم محتدك».

وقال آخر: «عسرك في دارك أعز لك من يسرك في غربتك»، وأنشد:

لقرب الدار في الإقتار خير
من العيش الموسع في اغتراب

وقال آخر: «الغريب كالغرس الذي زايل أرضه، فقد شربه، فهو ذاو لا يثمر، وذابل لا ينضر».

والقول في حب الناس الوطن وافتخارهم بالمحال قد سبق، فوجدنا الناس بأوطانهم أقنع منهم بأرزاقهم.

ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنه: «لو قنع الناس بأرزاقهم قناعتهم بأوطانهم ما اشتكى عبد الرزق». وترى الأعراب تحن إلى البلد الجدب، والمحل القفر، والحجر الصلد، وتستوخم الريف، حتى قال بعضهم:

أتجلين في الجالين أم تتصبري
على ضيق عيش والكريم صبور
فبالمصر برغوث وحمى وحصبة
وموم وطاعون وكل شرور
وبالبيد جوع لا يزال كأنه
ركام بأطراف الإكام يمور

وترى الخضري يولد بأرض وباء وموتان وقلة خصب، فإذا وقع ببلاد أريف من بلاده، وجناب أخصب من جنابه، واستفاد غنى.. حن إلى وطنه ومستقره.

ولو جمعنا أخبار العرب وأشعارها في هذا المعنى لطال اقتصاصه، ولكن توخينا تدوين أحسن ما سنح من أخبارهم وأشعارهم، وبالله التوفيق.

ومما يؤكد ما قلنا في حب الأوطان قول الله عزوجل حين ذكر الديار يخبر عن مواقعها من قلوب عباده فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ (النساء:٦٦)، فسوى بين قتل أنفسهم وبين الخروج من ديارهم. وقال تعالى: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ (البقرة:٢٤٦).

وقال الأول: «عمر الله البلدان بحب الأوطان». وكان

لولا تقييد العلماء خواطرهم على الدهر ونقرهم آثار الأوائل في الصخر لبطل أول العلم وضاع آخره

يقال: «لولا حب الناس الأوطان لخربت البلدان».

وقال عبدالحميد الكاتب وذكر الدنيا: «نفتنا عن الأوطان، وقطعتنا عن الإخوان».

وقالت الحكماء: «أكرم الخيل أجزعها من السوط، وأكيس الصبيان أبغضهم للكتاب، وأكرم الصفايا أشدها ولها إلى أولادها، وأكرم الإبل أشدها حنينا إلى أوطانها، وأكرم المهارى أشدها ملازمة لأمها، وخير الناس آلفهم للناس».

وقال آخر: «من أمارات العاقل بره لإخوانه، وحنينه إلى أوطانه، ومداراته لأهل زمانه». واعتل أعرابي في أرض غربة فقيل له: «ما تشتهي؟». فقال: «حسل فلاة وحسو قلات». وسئل آخر فقال: «مخضا رويا، وضبا مشويا».

وقالت العرب: «حماك أحمى لك، وأهلك أحفى بك».

وقيل: «الغربة كربة، والقلة ذلة». وقال:

لا ترغبوا إخوتي في غربة أبدا
إن الغريب ذليل حيثما كانا

وقال آخر: «لا تنهض عن وكرك فتنغصك الغربة، وتضيمك الوحدة».

وقال آخر: «لا تجف أرضا بها قوابلك، ولا تشك بلدا فيه قبائلك».

وقال آخر: «يحن اللبيب إلى وطنه، كما يحن النجيب (١) إلى عطنه»، وقال:

«كما أن لحاضنتك حق لبنها، كذلك لأرضك حق وطنها».

وذكر أعرابي بلده فقال: «رملة كنت جنين ركامها، ورضيع غمامها، فحضنتني أحشاؤها، وأرضعتني أحساؤها».

وشبهت الحكماء الغريب باليتيم اللطيم الذي ثكل أبويه، فلا أم ترأمه، ولا أب يحدب عليه.

وقالت أعرابية: «إذا كنت في غير أهلك؛ فلا تنس نصيبك من الذل». قال الشاعر:

لعمري لرهط المرء خير بقية
عليه وإن عالوا به كل مركب
إذا كنت في قوم عدا لست منهم
فكل ما علفت من خبيث وطيب

وفي المثل: «أوضح من مرآة الغريبة» - وذلك أن المرأة إذا كانت هديا في غير أهلها تتفقد من وجهها وهيئتها

ما لا تتفقده وهي في قومها وأقاربها - فتكون مرآتها مجلوة تتعهد بها أمر نفسها.

كانت العرب إذا غزت، وسافرت، حملت معها من تربة بلدها رملا وعفرا (٢) تستشفه عند نزلة أو زكام أو صداع، أنشد لبعض بني ضبة:

نسير على علم بكنه مسيرنا
بعفة زاد في بقايا المزاود
ولابد في أسفارنا من قبيصة
من الترب نسقاها لحب الموالد

وقيل لأعرابي: «كيف تصنع في البادية إذا اشتد القيظ وانتعل كل شيء ظله؟»، قال: «وهل العيش إلا ذاك؟! يمشي أحدنا ميلا فيرفض عرقا، ثم ينصب عصاه ويلقي عليها كساءه، ويجلس في فيئه يكتال الريح، فكأنه في إيوان كسرى».

وقيل لأعرابي: «ما أصبركم على البدو؟»، قال: «كيف لا يصبر من وطاؤه (٣) الأرض، وغطاؤه السماء، وطعامه الشمس، وشرابه الريح؟! والله لقد خرجنا في إثر قوم قد تقدمونا بمراحل ونحن حفاة، والشمس في قلة السماء، حيث انتعل كل شيء ظله، وإنهم لأسوأ حالا منا: إن مهادهم للعفر، وإن وسادهم للحجر، وإن شعارهم للهواء، وإن دثارهم (٤) للخواء:

إذا ما أصبنا كل يوم مذيقة
وخمس تميرات صغار كوانز
فنحن ملوك الأرض خصبا ونعمة
ونحن أسود الغاب عند الهزاهز
وكم متمن عيشنا لا يناله
ولو ناله أضحى به حق فائز»

ولهذا الشعر خبر طويل وصف فيه نوقا أضلها، واقتصرنا منه على ما وصف من قناعته بوطنه.

وحدثنا سليمان بن معبد، أن الوليد بن عبدالملك أراد أن يرسل خيله، فجاء أعرابي له بفرس أنثى، فسأله أن يدخلها مع خيله، فقال الوليد لقهرمانه أسيلم ابن الأحنف: «كيف تراها يا أسيلم؟»، فقال: «يا أمير المؤمنين، حجازية، لو ضمها مضمارك ذهبت». قال الأعرابي: «أنت والله منقوص الاسم، أعوج اسم الأب». فأمر الوليد بإدخال فرسه، فلما أجريت الخيل سبق الأعرابي على فرسه، فقال الوليد: «أواهبها لي أنت يا أعرابي؟»، فقال: «لا والله، إنها لقديمة الصحبة، ولها حق، ولكن أحملك على مهر لها سبق عاما أول وهو

إذا كان الطائر يحن إلى أوكاره فالإنسان أحق بالحنين إلى أوطانه

رابض». فضحك الوليد وقال: «أعرابي مجنون!»، فقال: «وما يضحككم؟ سبقت أمه عاما أول وهو في بطنها». فاستظرفه واحتبسه عنده، فمرض، فبعث إليه الوليد بالأطباء، فأنشأ يقول:

جاء الأطباء من حمص تخالهم
من جهلهم أن أداوى كالمجانين
قال الأطباء: ما يشفيك قلت لهم
دخان من التسرير يشفيني
إني أحن إلى أدخان محتطب
من الجنينة جزل غير موزون

فأمر الوليد أن يحمل إليه سليخة، من رمث فوافوه وقد مات فهو عند الخليفة، وببلد ليس في الأقاليم أريف منه، ولا أخصب جنابا، فحن إلى سليخة رمث وحبا للوطن.

وحكى أبوعبدالله الجعفري عن عبدالله بن إسحق الجعفري قال: «أمرت بصهريج لي في بستان عليه نخل مطل أن يملأ، فذهبت بأم حسانة المرية وابنتها - وهي زوجتي - فلما نظرت أم حسانة إلى الصهريج قعدت عليه وأرسلت رجليها في الماء، فقلت لها: ألا تطوفين معنا على هذا النخل، لنجني ما طاب من ثمره؟ فقالت: ههنا أعجب إلي. فدرنا ساعة وتركناها، ثم انصرفنا وهي تخضخض رجليها في الماء وتحرك شفتيها، فقلت: يا أم حسانة، لا أحسبك إلا وقد قلت شعرا. قالت: أجل. ثم أنشدتني:

أقول لأدنى صاحبي أسره
وللعين دمع يحدر الكحل ساكبه
لعمري لنهي باللوى نازح القذى
نقي النواحي غير طرق مشاربه
بأجرع مجراع كأن رجاجه
سخاب من الكافور والمسك شائبه
أحب إلينا من صهاريج ملئت
للعب فلم تملح لدي ملاعبه
فيا حبذا نجد وطيب ترابه
إذا هضبته بالعشي هواضبه
وريح صبا نجد إذا ما تنسمت
ضحى أوسرت جنح الظلام جنائبه».

ولما حملت نائلة بنت الفرافصة الكلبية إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه، كرهت فراق أهلها، فقالت لضب أخيها:

«ألست ترى بالله يا ضب أنني
مرافقة نحو المدينة أركبا
أما كان في أولاد عوف بن عامر
لك الويل ما يغني الخباء المطنبا
أبى الله إلا أن أكون غريبة
بيثرب لا أما لدي ولا أبا».

وقال آخر:

«ألا يا حبذا وطني وأهلي
وصحبي حين يُدَّكر الصحاب
وما عسل ببارد ماء مزن
على ظمأ لشاربه يشاب
بأشهى من لقائكم إلينا
فكيف لنا به ومتى الإياب».

قال: «ومن هذا أخذ الطائي قوله:

كم منزل في الأرض يألفه الفتى
وحنينه أبدا لأول منزل».

... وأنشد أبو عمرو البجلي:

تمتع من شميم عرار نجد
فما بعد العشية من عرار
ألا يا حبذا نفحات نجد
وريا روضه غب القطار
وعيشك إذ يحل القوم نجدا
وأنت على زمانك غير زاري
شهور ينقضين وما شعرنا
بأنصاف لهن ولا سرار
فأما ليلهن فخير ليل
وأقصر ما يكون من النهار

وأنشد للمجنون:

إلى عامر أصبو، وما أرض عامر
هي الرملة الوعساء والبلد الرحب
معاشر بيض لو وردت بلادهم
وردت بحورا ماؤها للندى عذب
إذا ما بدت للناظرين خيامهم
فثم العتاق القب والأسل القضب

وأنشدنا المازني:

اقرأ على الوشل السلام وقل له
كل الموارد مذ هجرت ذميم
جبل ينيف على الجبال إذا بدا
بين الغدائر والرمال مقيم
تسري الصبا فتبيت في ألواذه
ويبيت فيه من الجنوب نسيم
سقيا لظلك بالعشي وبالضحى
ولبرد مائك والمياه حميم
لو كنت أملك برد مائك لم يذق
ما في قلاتك ما حييت لئيم

وقال آخر:

ألا ليت شعري والحوادث جمة
متى تجمع الأيام يوما لنا الشملا
وكل غريب سوف يمسي بذلة
إذا بان عن أوطانه وجفا الأهلا

وقال آخر:

وأنزلني طول النوى دار غربة
إذا شئت لاقيت امرأ لا أشاكله
فحامقته حتى يقال سجية
ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله
ولو كنت في قومي وجل عشيرتي
لألفيت فيهم كل خرق أواصله

وأنشد لذي الرمة:

إذا هبت الأرواح من نحو جانب
به أهل مي هاج قلبي هبوبها
هوى تذرف العينان منه، وإنما
هوى كل نفس حيث حل حبيبها

وقال أبوعثمان: «رأيت عبدا أسود حبشيا لبني أسيد - قدم من شق اليمامة - فصار ناطورا (٥)، وكان وحشيا مجنونا لطول الغربة مع الإبل، وكان لا يلقى إلا أكرة، فلا يفهم عنهم ولا يستطيع إفهامهم، فلما رآني سكن إلي، وسمعته يقول: لعن الله أرضا ليس بها عرب، قاتل الله الشاعر حيث يقول: «حر الثرى مستعرب التراب». أبا عثمان، إن هذه العُريب في جميع الناس كمقدار القرحة في جلد الفرس، فلولا أن الله رق عليهم فجعلهم في حشاة لطمست هذه العجم آثارهم. أترى الأعيار (٦) إذا رأت العتاق لا ترى لها فضلا، والله ما أمر الله نبيه ﷺ بقتلهم، إذ لا يدينون بدين، إلا لضنه بهم، ولا ترك قبول الجزية منهم إلا تنزيها لهم».

وقيل لأعرابي: «ما السرور؟»، فقال: «أوبة بغير خيبة، وألفة بعد غيبة».

وقيل لآخر: «ما السرور؟»، فقال: «غيبة تفيد غنى، وأوبة تعقب منى». وأنشأ يقول:

وكنت فيهم كممطور ببلدته
يسر أن جمع الأوطان والمطرا

وأحسن ما سمعنا في حب الوطن وفرحة الأوبة قوله:

وباشرتها فاستعجلت عن قناعها
وقد يستخف الطامعين المياسر
مشمرة عن ساق حولاء جسرة
تجاري بنيها مرة وتحاضر
وخبرها الوراد أن ليس بينها
وبين قرى نجران والدرب صافر
فألقت عصاها واستقرت بها النوى
كما قر عينا بالإياب المسافر

وقيل لبعض الأعراب: «ما الغبطة؟»، فقالوا: «الكفاية مع لزوم الأوطان، والجلوس مع الإخوان». قيل: «فما المذلة؟»، قال: «التنقل في البلدان، والتنحي عن الأوطان».

وقال آخر:

طلب المعاش مفرق
بين الأحبة والوطن
ومصير جلد الرجا
لـ إلى الضراعة والوهن
حتى يقاد كما يقا
د النضو في ثني الرسن
ثم المنية بعده
فكأنه ما لم يكن

ووجدنا من العرب: من قد كان أشرف على نفسه، وأفخر في حسبه، ومن العجم: من كان أطيب عنصرا وأنفس جوهرا أشد حنينا إلى وطنه، ونزاعا إلى تربته.

وكانت الملوك على قديم الدهر لا تؤثر على أوطانها شيئا.

وحكى الموبذ أنه قرأ في سيرة إسفنديار بن يستاسف ابن لهواسف، بالفارسية، أنه لما غزا بلاد الخزر ليستنقذ أخته من الأسر، اعتل بها، فقيل له: «ما تشتهي؟»، فقال: «شمة من تربة بلخ، وشربة من ماء واديها».

وهؤلاء الأعراب مع فاقتهم وشدة فقرهم يحنون إلى أوطانهم، ويقنعون بتربهم ومحالهم.

ورأيت المتأدب من البرامكة المتفلسف منهم، إذا سافر سفرا أخذ معه من تربة مولده في جراب يتداوى به.

ومن أصدق الشواهد في حب الوطن، أن يوسف - عليه السلام - لما أدركته الوفاة أوصى أن تحمل رمته إلى موضع مقابر أبيه وجده يعقوب وإسحق وإبراهيم عليهم السلام.

وروي لنا أن أهل مصر منعوا أولياء يوسف من حمله، فلما بعث الله موسى - عليه السلام - وأهلك على يديه فرعون وغيره من الأمم، أمره أن يحمل رمته إلى تربة يعقوب بالشام، وقبره معلوم بأرض بيت المقدس بقرية تسمى حسامي.

وكذلك يعقوب، مات في مصر فحملت رمته إلى إيلياء (قرية بيت المقدس)، وهناك قبر إسحق بن إبراهيم - عليهما السلام.

ومن حب الناس للوطن، وقناعتهم بالعطن، أن إبراهيم لما أتى بهاجر أم إسماعيل مكة فأسكنها، وليس بمكة أنيس ولا ماء، ظمئ إسماعيل فدعا إبراهيم ربه فقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ (إبراهيم:٣٧)، فأجاب الله دعاءه، إذ رضى به وطنا، وبعث جبريل - عليه السلام - فركض موضع زمزم برجله، فنبع منه زمزم.

ومر بإسماعيل وأمه فرقة من جرهم، فقالوا: «أتأذنون لنا أن ننزل معكم؟»، فقالت هاجر: «نعم، ولا حق لكم في الماء»، فصار إسماعيل وولده قطان مكة، لدعوة إبراهيم عليهما السلام.

نعم، وهي مع جدوبتها خير بقاع الأرض، إذ صارت حرما، ولإسماعيل وولده مسكنا، وللأنبياء منسكا ومجمعا على غابر الدهر.

وقال آخر في حب الوطن:

سقى الله أرض العاشقين بغيثه
ورد إلى الأوطان كل غريب
وأعطى ذوي الهيئات فوق مناهم
ومتع محبوبا بقرب حبيب

الهوامش

(١) النجيب: الفرس الكريمة الجيدة.
(٢) العفر: وجه الأرض.
(٣) الوطاء: هد الفراش.
(٤) الدثار: الثوب الذي يكون فوق الشعار، وهو ما يلي الجسد.
(٥) الناطور: حارس الزرع.
(٦) الأعيار: جمع: عير، وهو البعير.

بين ميسون ومعاوية

التحرير

حكي أن ميسون بنت بحدل الكلبية لما اتصلت بمعاوية، وكانت ذات جمال باهر وحسن غامر، أعجب بها وهيأ لها قصرا مشرفا على الغوطة وزينه بأنواع الزخارف، ووضع فيه من أواني الفضة والذهب ما يضاهيه، ونقل إليه من الديباج الرومي والموشى ما هو لائق به، ثم أسكنها مع وصائف لها كأمثال الحور العين، فلبست يوما أفخر ثيابها وتزينت وتطيبت بما أعد لها من الحلي والجوهر الذي لا يوجد مثله، ثم جلست في روشنها وحولها الوصائف، فنظرت إلى الغوطة وأشجارها، وسمعت تجاوب الطير في أوكارها، وشمت نسيم الأزهار وروائح الرياحين والنوار، فتذكرت نجدا وحنت إلى أترابها وأناسها وتذكرت مسقط رأسها، فبكت وتنهدت، فقالت لها بعض حظاياها ما يبكيك وأنت في ملك يضاهي ملك بلقيس؟ فتنفست الصعداء ثم أنشدت:

لبيت تخفق الأرواح فيه
أحب إلي من قصر منيف
ولبس عباءة وتقر عيني
أحب إلي من لبس الشفوف
وأكل كسيرة في كسر بيتي
أحب إلي من أكل الرغيف
وأصوات الرياح بكل فج
أحب إلى من نقر الدفوف
وكلب ينبح الطراق دوني
أحب إلي من قط ألوف
وبكر يتبع الأظعان صعب
أحب إلي من بغل زفوف
وخرق من بني عمي نحيف
أحب إلي من علج عنوف

فلما دخل معاوية عرفته الحظية بما قالت، وقيل إنه سمعها وهي تنشد ذلك، فقال: ما رضيت بنت بحدل حتى جعلتني علجا عنوفا، هي طالق ثلاثا.

القول المأثور في إحياء الصواب المهجور (٣٣)

عبدالله أيت الأعشير
مفتش منسق جهوي لمادة اللغة العربية - المغرب

المترجمون كثر والكثرة فاتحة الاختلاف، والاختلاف يفضي إلى القصور عن إيفاء المعنى حقه، لأن صراط الالتزام بالمعنى الأصل دقيق، والواطئ عليه يلزمه الاتصاف بحذر الثعابين، وصدق المتقين، واستواء اللسانين لكي ينجو من استحالة إيفاء أي لغة بما تعبر عنه لغة أخرى، ولذلك نجد المترجمين يقدمون ويؤخرون ويزيدون وينقصون ويخلطون العبارات المبرمة المزمومة بالعبارات السحيلة غير المحكمة، رغبة في إصابة المراد الذي لا يزيد ولا يقصر عن الكلام المترجم. ولقد أدرك القدامى صعوبة هذه البغية، حيث إن «الترجمان لا يؤدي أبدا ما قال الحكيم، على خصائص معانيه، وحقائق مذاهبه، ودقائق اختصاراته، وخفيات حدوده، ولا يقدر أن يوفيها حقوقها، ويؤدي الأمانة فيها... وكيف يقدر على أدائها وتسليم معانيها، والإخبار عنها على حقها وصدقها، إلا أن يكون في العلم بمعانيها، واستعمال تصاريف ألفاظها وتأويلات مخارجها مثل مؤلف الكتاب وواضعه؟» (١)، لأن اللغات لا تتطابق بأسمائها وصفاتها وقوتها وضعفها ومجازاتها وحقائقها وثرائها وفقرها، بل تسعى كل لغة إلى التمسك بأسرارها وخصائصها وعبقريتها الموحية التي تجعل الترجمان يخطو على دحض رغم بذل الوسع والمجهود؛ لأجل ذلك اشترطت شرائط يجب أن يستوفيها المترجم الذي لابد «أن يكون بيانه في نفس الترجمة، في وزن علمه في نفس المعرفة. وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها، حتى يكون فيهما سواء وغاية» (٢) مستوي اللسانين، قادرا على ضبط الاشتغال اللغوي والتمييز الدلالي الذي يتوصل بهما لإدراك المعنى المراد للدلالة التبعية التي تنطوي

على ظلال وإيحاءات تفرض على المترجم الانتقال من الفهم إلى التأويل، ولذلك عدت الترجمة عملا تأويليا يخفف من صعوبة الوصول إلى نوع من الاتحاد التام بين كلمات وعبارات اللغتين المختلفتين، لأن هناك جوانب مغلقة في الثقافات البشرية، ومن ثمة لا يمكن نقلها إلى الثقافة الأخرى، إلا إذا كنا مستعدين للتنازل عن محصلة الأفكار والعقائد والأخلاق والعادات، وكل ما توحي به تلك الكلمات والعبارات من مشاعر وأحاسيس تعكس الهوية الثقافية للغة. وآية ذلك أن طائر البومة عند العرب يرمز إلى الدمار والخراب والفراق، بينما يوحي في الثقافة الإنجليزية بالحكمة والمعرفة، كما أن القمر بالنسبة إلى العرب يدل على البهاء والضياء والجمال، بينما الثقافة الفرنسية تجعله رمزا للذبول والشحوب والاصفرار. ومعلوم أن اللغة هي الأداة التي جعلت كل أمة تنظر إلى أشياء الحياة من خلال زاوية النظر التي تلائمها، وليس على الأفراد والجماعات سوى الطاعة وقبول الزاوية التي تنظر بها اللغة إلى تلك الحياة التي تعكس عقل الأمة؛ الذي تنسجه الطبيعة انطلاقا من كثير من العوامل الخفية التي تعكس طرائق التفكير المشتركة التي تشم ولا تفرك، والتي يجليها الفن والثقافة بصفة عامة. ولذلك فإن الفرنسي عندما يعبر عن الإحساس بالبهجة والحبور يقول: ça me réchauffe le cœur لأن بيئته الباردة تجعله يبحث عن الدفء، لكن العربي صاحب البيئة الحارة إذا قال: «هذا يدفئ قلبي» فإن كلامه يعد خارجا عن سنن الكلام العربي النجار، لأن التعبير عن الفرح والسرور في العربية هو قولنا: «هذا يثلج صدري» لذلك عندما ترجمت أشعار الشاعر التركي «ناظم حكمت» علق قائلا: هذه ليست أشعاري، إنها أشعار المترجم، لأنه أوجد بناء لغويا مختلفا في صيغه وتراكيبه، وإن كان بوحي من أشعاري. لذلك فإن النصوص المترجمة تبدو أقل انتماء إلى النص الأصلي، ولاسيما عندما يشعر المترجم بضرورة التصرف في الكلمات والمعاني للتوفيق بين طريقة صياغته الجديدة، وصياغة النص الأصلي الذي يكبله بقيود لابد من مراعاتها في أثناء الترجمة.

وحتى تكون هذه الحلقة أجمع للفائدة وأضبط للإشارة إلى زائنات وشائنات الترجمة من وإلى العربية فإن الذين يتوخون لباب الحقائق يدركون أن الترجمة فتحت على الفكر العربي أبواب المعارف المجتباة منذ تأسيس بيت الحكمة في العصر العباسي، لأنها كانت بمثابة المحرض الفكري الذي أضاف للعرب شموسا مشعة أضاءت لهم دنيا العلم والمعرفة التي تتوفر عليها الأمم الأخرى، فانطلق الفكر العربي يجوب الآفاق ويستنبط خوافي المعارف حتى أدرك الربوة العالية في علوم الرياضيات والطب والبيطرة والزراعة والصناعة والكيمياء وسائر العلوم والمعارف التي على هذا الجر والسحب، لكن سرعان ما طفئ هذا السراج عن ساحة ثقافتنا العربية، كأنه ليس لنا في باب المعرفة العلمية نقط ولا إعجام، ولاسيما عندما انصرفت فئة من الشداة إلى ترجمة بعض آداب الأمم الأخرى لكي تمحو عنا ظلمة الجهل، لكن ضحالتها اللغوية لم تمكنها من إضافة الزيت الكافي إلى سراج الثقافة العربية، فوقعت في أسر الأساليب الأجنبية، وأرغمت الفصحى على قبول التعابير التي لا تراعي حرمة للفصاحة، ولا تتفق مع نواميس العربية، ولا تحمل خصائصها، ولا تستظل بأظلالها، ولا يسري في عروقها دم العروبة. ولقد أضرت هذه العبارات التي ساعدت وسائل الإعلام المختلفة على انتشارها، حتى فشا هذا النمط التعبيري واستولى على ألسنة الكتاب والأدباء الذين أرغموا الفصحى على ارتداء أثواب اللغات الأجنبية على هذه الشاكلة: كم هو جميل! التي تعد ترجمة حرفية للعبارة الفرنسية: Comme il est beau! والتي تعد عبارة التعجب العربية النجار أحسن منها رئيا: ما أجمله أو قول: أجمل به، التي نطق القرآن بمثلها في قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ (الكهف:٢٦)، وقوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ۙ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾ (مريم:٣٨). وقولهم: «أعطى موافقته» بدل قولهم «وافق» وقولهم: «النقطة التي أفاضت الكأس» بدل قولهم: «القشة التي قصمت ظهر البعير». وقولهم تعبيرا عن شدة اختصار الشيء: «وضع باريز في قارورة» بدل قولهم: «وضع الزفر في الزفر» التي تلائم المراد الذي يراعي خصوصية البيئة والثقافة العربيتين. حيث إن الزفر هو البحر، والزفر هي القربة. وقولهم: «القاسم المشترك» بدل قولهم: «العامل المشترك» لأن القاسم في العربية يفيد الانشطار والفرقة، ومن ثمة يستحيل تصور شيء يفرق ويجمع في الوقت نفسه.

هذه جملة من العبارات المترجمة التي تنكبت طريق الفصاحة، حرصت أن أنكسها من ثوب العربية الفصحى القشيب، لأنها تمثل أثافي الشطط والزيغ التي لا ينبغي لأحد أن يبقي عليها، لأن الصواب قد غرق فيها عندما سقطت في أودية اللغات الأجنبية واستجرت إليها طائفة من المنشئين، ومن ثمة لابد من إظهار ما أشكل منها بالإيضاح وما التبس بالتبيين، وما اشتبه بالجلاء في عبارات عربية مرآتها أحسن، وحسها أدق ونجدها أعلى.

الهوامش

١- الحيوان. أبوعثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ. تحقيق عبدالسلام محمد هارون. الجزء الأول. ص ٧٦. ط٢. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر.

٢- المصدر نفسه. ص ٧٦.

الشاعر والروائي الأردني أيمن العتوم:

أنصفني القراء ولم ينصفني النقاد

حوار: محمد عويس

أيمن العتوم شاعر وروائي أردني ولد في مدينة جرش عام ١٩٧٢م، تلقى تعليمه الثانوي في دولة الإمارات العربية المتحدة، والتحق بجامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية، نال بكالوريوس الهندسة المدنية عام ١٩٩٧م وفي عام ١٩٩٩م تخرج من جامعة اليرموك بشهادة بكالوريوس لغة عربية، ثم حصل على شهادتي الماجستير والدكتوراه في اللغة العربية، وقد كانت روايته «يا صاحبي السجن» التي صدرت عام ٢٠١٢م سببا في شهرته، حيث تناولت تجربة الكاتب الشخصية في السجون، وله دواوين شعرية عديدة أحدثها «نبوءات الجائعين» وهي قصائد كتبت في السجون، ويعمل العتوم كمعلم للغة العربية، وسبق له أن عمل في مجال الهندسة، ومن دواوينه الشعرية: بوارق الفجر، البيارق، الزنابق، المشارق، القمر المسافر، قلبي عليك حبيبتي، خذني إلى المسجد الأقصى، نبوءات الجائعين.. ومن كتاباته المسرحية: «المشردون»، «مملكة الشعر»، أما الروايات فإن له: يا وجه ميسون، في فلسفة الحب، يا صاحبي السجن، يسمعون حسيسها، ذائقة الموت.. ويعود للعتوم الفضل في تأسيس العديد من النوادي والروابط الشعرية، وقد شارك في الكثير من الندوات والأمسيات الشعرية في النقابات المهنية، وفي مهرجان مؤتة على مدى أعوامه ودوراته الخمس. للشاعر العتوم ستة دواوين شعرية، ومسرحيتان، ورواية، وعشرات المقالات.. مجلة «الوعي الإسلامي» التقت العتوم وكان هذا الحوار:

● ما هي رؤيتك لكلا المشهدين: الروائي والشعري في الوطن العربي حاليا؟

– مع الربع الأول من القرن العشرين كان صوت الشعر قد بدأ يترسخ شيئا فشيئا في الوجدان العربي؛ آنذاك ظهرت أصوات شعرية عميقة بعد سبات أدبي طويل، واستطاعت هذه الأصوات أن تعيد إلى الشعر العربي ألقه بعد أن فقد بريقه لقرون خلت. لا أحد يستطيع أن يتجاوز تلك القامات التي نقشت مجدها على صفحة التاريخ بمداد من حروفها الذهبية؛ مَن من المثقفين كان بإمكانه أن يتجاوز شوقي وحافظ والجواهري وعلي محمود طه وإبراهيم ناجي وعرار وغيرهم، ومن ثم بدر شاكر السياب ونزار قباني... وطائفة ممتدة من الذين أثروا الذائقة الجمعية للسان العربي.. وفي منتصف القرن نبغ عدد من الروائيين شقوا طريقهم وسط الصخر؛ كان الشعر حينها مهيمنا على الساحة، يخضع لجبروته كل فن آخر.. آنذاك قذفت حركة التاريخ بروائي بديع هو نجيب محفوظ، لم تكن الرواية من قبله قد نضجت كما نضجت على يديه؛ ومع أنه كان يجدف عكس تيار الشعر الجارف في زمانه، إلا أنه وضع خطوطا في الخارطة الثقافية لا يمكن محوها.. وبتقدم العقود استطاعت الرواية أن ترتقي على حساب الشعر؛ الشعر الذي واصل تراجعه أمام السير الحثيث المذهل للرواية.. أستطيع القول اليوم إن الربع الأخير من القرن المنصرم كان هو الجولة الحاسمة بالنسبة للفنين؛ تربعت الرواية على العرش، واكتفى الشعر بدور الجالس في مقاعد المتفرجين!!

● نود إلقاء الضوء على اتجاهك إلى التراث في كتاباتك الشعرية.

– كما أنه لا توجد شجرة بدون جذور، بل لا يمكن أن تحيا بغيرها؛ كذلك لا يوجد شاعر منبت تماما عن ماضيه.. كل تجارب الشعراء هي تمثل لتجارب السابقين، ما من شاعر ارتقى إلا حين هضم لغة السابقين، وشكل من هذه اللغة عجينته الخاصة، وخبز بها ليطعم التائقين إلى المعرفة؛ ويكفي أن أضرب هنا مثلا بالمتنبي الذي كان يحفظ ديواني الطائيين: أبي تمام والبحتري، ويرافقاه في حله وترحاله، بل إن عددا من النقاد ذهب إلى أن المتنبي كان يعيد إنتاج حكم أرسطو بأسلوبه الرفيع، وبلغته الراقية.. إذن الاتكاء على تجارب السابقين أمر يبدو لا مفر منه لمن يريد أن يستقل ببنائه الخاص، وهو أمر غير معيب؛ إلا أن السقطة التي يقع فيها بعض من ذهبوا إلى آبار السابقين ليمتحوا من مائها ألا يقدموا لجيلهم ماءهم الخاص بهم، فتراهم يعيدون ذلك الماء، لكن وقد أسن وتغير لونه وطعمه؛ لأن ماتحه لم يحسن أن يضيف إليه من نكهته

الخاصة؛ بالفعل كان المقتل للسابق أن يكرر اللاحق تكرارا ممجوجا؛ أما أولئك الذين خرجوا عن هذه الدائرة واستطاعوا فك المعادلة، وأتوا بجديد من ذلك القديم؛ فهم الذين خلدوا أو خلدوا؛ وتأمل معي ما قاله أبوالعلاء:

وإني وإن كنت الأخير زمانه

لآت بما لم تستطعه الأوائل

● كيف استفدت من تجربتك الشعرية في كتابة الرواية؟

– الشعر جملة مكثفة، والرواية جملة مفتوحة؛ الشعر بناء هرمي دقيق، والرواية بناء أفقي ممتد.. أفادني الشعر في تجربتي الروائية في أمرين: أولهما أن الخيال الشعري أوسع من خيال الروائي فيما أرى، فاستعنت بالأول لأوسع الثاني. وثانيهما أن لغة الشاعر أكثر رقة ودقة، فإذا ما ذهب الشاعر ليستخدمها في الرواية مدت مساحة من المتعة والحس والخيال أبعد مما يفعل الروائي الخلي من نار الشعر.

● هل تخلى الشعر عن مكانته للرواية؟

– ليس تماما.. الشعر يمكن القول عنه إنه نبتة صبار في الصحراء، والرواية غيمة في صيفها.. الأول أدوم وأقدر على مقاومة ظروف الحياة القاسية من الثاني.. الشعر نهر ممتد، والرواية بحيرة تستقي ماءها من ذلك النهر.. حين نزل القرآن نزل ليتحدى الشعراء الذين تألهوا في شعرهم، وجاء ليقول إن هناك لغة أكثر سحرا من لغة الشعر، وهذا التحدي ضمن للشعر الخلود؛ إذ استمد خلوده هذا من خلود القرآن. أما الرواية فهي فن مستحدث؛ وقد يعروها الهرم ذات يوم أو الشيخوخة، وقد تموت كما ماتت فنون أخرى، ظهرت ثم اختفت؛ كفن المقامة، وفن الموشحات. والحقيقة التي لا يمكن التعامي عنها أن الشعر أقدم هذه الفنون وأبقاها إلى اليوم؛ ولم يخل منه عصر البتة؛ وإن كان يقوى في بعض العصور ويضعف في أخرى.

● أيمن العتوم وتجربته الشعرية والروائية: أيهما أنصفه النقاد؟

– في الحقيقة أنصفني القراء ولم ينصفني النقاد، أو لعل العبارة الأصوب لم يلتفت النقاد إلى أعمالي لأسباب كثيرة متداخلة، يصعب تفصيلها الآن؛ غير أن البعد الجماهيري الذي أضافه القراء إلى تجربتي ربما سيجعل قلوب النقاد تميل إلى ما أكتب، ولو بعد حين. الرواية قدمتني إلى الناس أكثر مما قدمني الشعر، خمسة وعشرون عاما مع الشعر أو تزيد، لم تأت بصدى كذلك الصدى الذي جلبته لي الرواية في العامين الأخيرين.

● قصائدك تميزت بأنها ذات أبعاد شعرية متعددة، وعوالم ممتدة، وإن كان محورها جميعا على اختلاف موضوعاتها- الوطن.. لماذا؟

– لأن الوطن بوصلة تشير إلى كل جميل وساحر ورائع ومدهش. أغلب شعراء الحداثة تداخلت في أشعارهم الحبيبة بالوطن، والوطن بالحبيبة، حتى صار الاثنان واحدا غير منفصم.. حين تنذر لوطنك قلبك فاعلم أنه ستتفتح في هذا القلب حدائق الأمل وعرائش الياسمين، تلك الحدائق التي ستزرع البسمة على الشفاه، وتلك العرائش التي ستذر الطيب والعبق في الأجواء... ومنهما تتسع الدوائر لتشمل المعاني جميعها؛ فيبدأ العشق والفلسفة والتصوف بالتجلي.

● هل أسهمت الجوائز العربية في إحداث حراك للرواية والشعر؟

– بالتأكيد، بعض الشعراء الشباب والروائيين الجدد ما كان لهم من حظ ليعرفهم الناس لولا تلك الجوائز، مع التحوط بأن بعض هذه الجوائز -كما هي حال الجوائز جميعا- لا تخلو من بعد عن الموضوعية والعدالة، على حساب المحسوبية والشخصنة. إلا أنه أيضا لا يمكن إنكار الأثر الطيب الذي ساهمت فيه بنشر الثقافة وتحريك الماء الراكد.

● هل استفدت من قراءتك للقرآن الكريم في تطوير ذائقتك الأدبية ؟

القرآن منجم ذهبي يكسب الحرف الإعجاز والخلود معا؛ في ظلاله نبتت قصائدي؛ ومن مائه شربت فصول رواياتي؛ بعض الذين يتكئون هذا المتكأ قد يسيئون أكثر مما يحسنون؛ غير أن استخداما ذكيا وسلسا للعبارة القرآنية أو ما خلفها فيما نكتب، سيكسب حروفنا ألقا ووهجا عظيمين.

● هل هناك سمات لغوية وجمالية في الروايات التي يكتبها بعض الشعراء تختلف عن الروايات الأخرى؟

– أعتقد ذلك؛ حين تقرأ رواية لشاعر تستطيع أن تدرك ذلك؛ إن جذوة الشعر المقدسة إذا دست تحت حطب الكلمة اشتعل في النفس كل ساكن؛ ومن قبسها أضاء كل معتم.. بالإضافة إلى ذلك فإن الملمس الشفيف في طرف الحرف لا يشعر به إلا من يقرأ رواية لشاعر؛ شيء من التحليق في عوالم الشعراء الغامضة الساحرة سببه مزج لألوان الشعر البديعة على أرضية الفكرة لتجيء اللوحة كاملة الدهشة.

● ما هي مشروعات أيمن العتوم المستقبلية؟

– بعد الشعر والرواية؛ قد أخوض عالم المسرح؛ هاجس المسرح ظل يراودني منذ بداياتي الشعرية؛ لكنه صمت لصالح الشعر.. اليوم وقد خفت صوت هذا الأخير، فلربما سيعلو عن قريب صوت المسرح.. على صعيد آخر لدي رواية جديدة أعمل عليها، آمل إن شاء الله، أن ترى النور في نهاية شهر آب المقبل.

اللغة العربية في الجزائر

زهية فراح
إعلامية جزائرية

إن المتأمل في المجتمع الجزائري بعين البصيرة، التي تخترق حدود الرؤى، وترى بعين ثاقبة ما لا يرى، يبصره سلسلة وثيقة، تشد فيها الحلقة أختها بقوة وإحكام؛ خشية أن تصبح تتناثر تلك السلسلة وينحل رباطها. وهذا البصر الدقيق لا يتأتى لمن يرى منه أفرادا يقطنون رقعة واحدة متدافعين في أنحاء إقليمها، كل يحمل في رأسه أحلامه وتطلعاته، مسوقا بما يختزن في عقله الباطن من ذكريات وحكايات وأهداف وطموحات.

وإن السر الدفين وراء هذا الإحكام، هو المثلث الذي كان يرفع شعاره الإمام المصلح الشيخ عبدالحميد بن باديس رحمه الله، ومن بعده أخوه الإمام الإبراهيمي وسائر علماء الجزائر؛ حيث كانوا في كل محفل يغرزون في ضمير الأمة ثلاث كلمات «الإسلام والعربية والجزائر»؛ فهذه الموروثات الجليلة التي استقرت في وجدان كل جزائري، هي التي توحد المجتمع وتجعله يدا واحدة، وإنها بحق موروثات كتب لها الدوام متى اعتز بها أبناؤها، ووضعوها فوق الرؤوس؛ شأنها في ذلك شأن كل عال سابح في الآفاق.

واللغة العربية - بعد الإسلام - هي أرفع الكلمات وأجلها، فهي لغة القرآن الكريم: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف:٢)، ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (فصلت:٣)، ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ (الأحقاف:١٢). إنها لغة تعكس وجودنا، وتمنحنا الثقة في قيمتنا؛ فمن برزت لغته برز وقاد، ومن غابت لغته غاب وقيد، وما ذلت لغة إلا ذل شعبها، يقول الأديب مصطفى صادق الرافعي: «وما ذلت لغة شعب إلا ذل، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار؛ ومن هذا يفرض الأجنبي المستعمر لغته فرضا على الأمة المستعمرة، ويركبهم بها، ويشعرهم عظمته فيها، ويستلحقهم من ناحيتها؛ فيحكم عليهم أحكاما ثلاثة في عمل واحد: أما الأول: فحبس لغتهم في لغته سجنا مؤبدا. وأما الثاني: فالحكم على ماضيهم بالقتل محوا ونسيانا. وأما الثالث: فتقييد مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها؛ فأمرهم من بعدها لأمره تبع» (١).

ولما كانت للغة العربية هذه الأهمية البارزة، كانت أول باب طرقه المحتل الغاشم في جميع البلاد التي دمرها وأباد بركتها، ولكن الاحتلال الفرنسي له طعم آخر، يعرف الجزائريون مذاقه معرفة لا يخالطها شك، فهو أمر من العلقم، وأخبث من الجيفة؛ إنه احتلال همجي يدمر كل شيء، ولكن أولى أولياته في الإبادة والسحق إنهاء معالم الهوية وطمسها، وعلى رأسها الإسلام والعربية، ورحم الله الإمام عبدالحميد بن باديس حين قال: «إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا، ولا يمكن أن تكون فرنسا، ولا تريد أن تصير فرنسا، ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت. بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد؛ في لغتها، وفي أخلاقها، وفي عنصرها، وفي دينها، لا تريد أن تندمج» (٢).

فبفضل الله سبحانه وتعالى، ثم باجتهاد العلماء والمصلحين الجزائريين؛ حفظت اللغة العربية في الجزائر، وبقيت شوكة في حلوق المتفرنسين؛ ولا أدل على ذلك من كلمة الإبراهيمي رحمه الله، حيث أعلنها صريحة بقوله: «اللغة العربية في القطر الجزائري ليست غريبة ولا دخيلة، بل هي في دارها، وبين حماتها وأنصارها، وهي ممتدة الجذور مع الماضي، مشتدة الأواخي مع الحاضر، طويلة الأفنان في المستقبل، ممتدة مع الماضي؛ لأنها دخلت هذا الوطن مع الإسلام على ألسنة الفاتحين ترحل برحيلهم وتقيم بإقامتهم؛ فلما أقام الإسلام بهذا الشمال الأفريقي إقامة الأبد وضرب بجرانه فيه؛ أقامت معه العربية لا تريم ولا تبرح، ما دام الإسلام مقيما لا يتزحزح، ومن ذلك الحين بدأت تتغلغل في النفوس، وتتساغ في الألسنة واللهوات، وتتساب بين الشفاه والأفواه... فما مضى عليها جيل أو جيلان حتى اتسعت دائرتها، وخالطت الحواس والشواعر، وجاوزت الإبانة عن الدين إلى الإبانة عن الدنيا، فأصبحت لغة دين ودنيا معا» (٣).

تلك قطرات منعشة من تاريخ ماضينا العريق الشاهد النزيه على وقت مضى، ولكن حاضرنا ينبغي أن يكون أهم وأجل؛ لا لشيء إلا لكونه مستقبل ماض ممتلئ بالتضحيات. فيا أهل الحاضر، ويا مستحضري الماضي، أما تجلت لنا الهوة بين عربية اليوم وسط نور الاستقلال، وبين عربية الأمس وسط ظلمة الاستدمار؟!

الهوامش

(١) وحي القلم، (٣/٢٧).
(٢) آثار ابن باديس، ٣/٣٠٩.
(٣) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ٣/٢٠٦.

عشريات عدنانية

في رثاء الداعية علي رضا محمد النحوي رحمه الله

عبدالرحمن الفكيكي - شاعر مغربي

يا صحابي في حياة الكبد ... بالكتاب المولوي الأبدي
قد هوت بي ريح أحزان فمن ... يا ترى يأخذ منكم بيدي
كلهم قال: ترى ماذا جرى؟ ... ما جرى مجلبة للكمد
لم؟ وما حل مصاب جلل ... سهمه صاب صميم الكبد
طود تقوى وجهاد مجتبى ... في زمان الزيغ والفكر الردي
طود نهج نبوي صوره ... كم سعى في بعث موتى همد
طود نهج قد بدت حكمته ... في أمور شائكات المورد
طود نثر تزدهي الضاد به ... طود شعر يعربي المحتد
لهف نفسي قد هوى فيم هوى؟ ... إيه يا نفس تأني وارشد
فالذي تبكينه اليوم فتى ... عاش بالله عظيم الجلد

إيه عدنان الكتابات الغرر ... كلما حاقت بنا سود الفكر
من لنا اليوم وقد قيل لنا ... غيب الكاتب ذياك السفر
من لنا يا من هدانا حرفه ... خير هدي باليراع المعتبر
خير هدي هو من وحي السما ... زانه الله بهاتيك السور
خير هدي امتي سرت به ... مذ تبدى مثل غيث منهمر
غير أن الغي فيه طامع ... فهما رهن عراك مستمر
كم رأينا ليل غي غازيا ... نوره يا لك من ليل أشر
ورأينا من نبكي دافعا ... ظلمة رعناء بالحرف الأغر
رب عدنان مضى لكنما ... إرثه ها هو محمود الأثر
كيف لا وهو الذي ينمى إلى ... إرث طه خير مبعوث البشر

يا رفيقا لي في درب الجراح ... يا أخي في الشعر والشعر سلاح
أنت يا من رغم بعد حاطني ... ببرور كان لي نعم الوشاح
أنت تدري أنني للنصح قد ... عشت أبغي لبني قومي الفلاح
يا رفيقي هو دا نصح لهم ... يترجى منهمو حسن انتصاح
قل لهم عدنانكم رغم الردى ... قد تبدى بلبلا زاهي الصداح
راعه ما قد دهاكم بعده ... من رزايا بومها فظ النواح
فانبرى يصدح تواً باعثا ... بصداح فيكمو روح الكفاح
يا «لقاء المؤمنين» المجتبى ... يا أخا الروض إذا ما الروض فاح
أنت يا من كنت بالأمس لهم ... معهدا ينشر هديا وصلاح
قم بنا نهديهمو أنشودة ... لا تقل لي بيننا صم الصفاح

أيها المسلم يا روح الحياة ... بالذي ورثه خير الهداة
ألف مرحى في لقاء مؤمن ... دأبه الوعظ بقدسي العظات
منهج الله الذي أدعو به ... قام بالقرآن نور الكائنات
وكذا باللسنة الغرا ولا ... تنس ضادا هي حسناء اللغات
يا لثالوث عظيم به لذ ... أيها المسلم إن شئت النجاة
أيها المسلم يا من همه ... دعوة الإصلاح في كل الجهات
عجبا تنشد إصلاح الورى ... ناسيا نفسك يا للانفلات
انتصر بدءا على نفسك إن ... شئت نصرا مثل أفذاذ الدعاة
واخلص النية لله تفز ... إنما الأعمال حقا بالنيات
ولتكن ممن إليه قد سعى ... بيقين وبعلم وثبات

فرق النقاد المنصفون بين الشهرة والقيمة، فليس كل إنجاز ذي قيمة اشتهر صاحبه. وفي المقابل، ليس كل صاحب إنجاز مشهور قدم شيئا ذا قيمة.

وهنا في هذا الباب، الذي تستحدثه «الوعي الإسلامي»، نحاول تسليط الضوء على أصحاب إنجازات أدبية راقية، لم تتحقق لهم الشهرة كما تحققت لغيرهم، على الرغم من أنهم أثبتوا - مع مر الزمن - جدارتهم وإبداعهم، بل وتتلمذ على مؤلفاتهم العديد من المبدعين المحدثين.

د. محمود خلف
باحث أكاديمي

إبراهيم بن ناصيف اليازجي

(١٢٦٣ - ١٣٢٤هـ / ١٨٤٧ - ١٩٠٦م)

هو: إبراهيم بن ناصيف بن عبدالله ابن ناصيف بن جنبلاط: عالم بالأدب واللغة. أصل أسرته من حمص، وهاجر أحد أجداده إلى لبنان. ولد إبراهيم في بيروت في ٢ مارس سنة ١٨٤٧م، ونشأ فيها، وقرأ الأدب على أبيه. فنشأ محبا للعلم، ميالا للبحث، شغوفا بالدرس، حتى أصبح دائرة معارف، لغوية وأدبية وعلمية. كلف باللغة العربية، وانكب على تفهمها بفكر نير، ورأي صائب حتى استوعب ما تضمنته المعاجم والآثار الأدبية، وخلفه فحول اللغة والأدب الأقدمون، ووقف على دفائن اللغة، وتغلغل في مطاوي عبقريتها، يستجلي أسرارها، ويبحث عن كنوزها حتى أعطانا من تراث الماضي ما كان مدفونا في الخزائن، ومستورا في مظان المصادر.

آثاره

خلف الشيخ إبراهيم اليازجي آثارا عديدة في مجالات مختلفة، أبرزها تصحيح الأخطاء التي جاءت في معجم «لسان العرب» لابن منظور، المتوفى حوالي (٧١١هـ/١٣١١م)، ومعجم «تاج العروس» لمحب الدين مرتضى الزبيدي، المتوفى (١٢٠٦هـ/١٧٩١م)، ومعظمها لايزال مخطوطا، لاسيما معجمه اللغوي الذي سماه «الفرائد الحسان في قلائد اللسان».

كما تولى تحرير جريدة النجاح سنة

(١٢٨٩هـ/١٨٧٢م). وانتدبه المرسلون اليسوعيون للاشتغال في إصلاح ترجمة الكتب الدينية للنصارى، فقضى في هذا العمل وأشباهه نحو تسعة أعوام. وتعلم العبرية والسريانية والفرنسية، تبحر في علم الفلك وله فيه مباحث. وتولى كتابة «مجلة الطبيب»، وألف كتاب «نجعة الرائد في المترادف والمتوارد» جزءان، وله «ديوان شعر».

كما اهتم بخدمة اللغة في عصره، ودبج فيها موضوعات حول أخطاء الصحف اللغوية والتعريب، وأغلاط العرب القدماء والمولدين، كما أشار إلى الأخطاء التي وقعوا فيها، والتي وقع أبوه فيها من قبل. ونبه الكتاب في مقالاته إلى ضرورة انتقاء الكلمات العربية والألفاظ الاصطلاحية للمخترعات الحديثة، مثل: الساري لقضيب الصاعقة، والمنطاد للبالون، والبرق للتلغراف، والبريد للبوسطة، والبطاقة للكارت، والجريدة للجرنال، وغير ذلك من الألفاظ التي تدور على ألسنة كثير من الأدباء اليوم.

سافر إلى أوربا، واستقر في مصر فأصدر مجلة «البيان» مشتركا مع الدكتور بشارة زلزل، فعاشت سنة، ثم أصدر مجلة «الضياء» شهرية، فعاشت ثمانية أعوام. وكان من الطراز الأول في كتاب عصره. وخدم العربية باصطناع حروف الطباعة فيها ببيروت، وكانت الحروف المستعملة حروف المغرب والآستانة.

أسلوب اليازجي

كان إبراهيم اليازجي صاحب علم واسع، ونظر دقيق، ورسالة آمن بها، يسهر ليله وراء شاردة عنت له، ويقضي نهاره ناشرا وكاتبا ومعلما، فرفع اللغة بإنشاء لا تعتوره ركاكة، ولا يتخلله تعقيد، فكان في طليعة الذين أسسوا النهضة، ومشوا بها إلى الأمام. وقد ترسم خطاه نفر من الكتاب؛ لتفرده في عالم الكتابة، ودنيا البحث، ومجتمع الثقافة، وحملوا الراية من بعده. وأهم ما يميز أسلوبه ما يلي:

١- صحة التركيب، وسلامة التعبير، وفصاحة العبارة، ومتانة الأسلوب.

٢- السجع الخالي من التعقيد في رسائله ومقاماته وكتبه ومقالاته.

٣- تضمنه استعارات غريبة إلا أنها جديدة، أفادت اللغة، وخدمت الأدب.

٤- تبحر في اللغة، وتعمق في أصول اشتقاقها، مما سهل عليه بعث اللغة كي تجاري العصر.

٥- عليه من التقليد روعة القديم، ومن الابتكار قشابة الحدوث.

٦- الجمع بين المتانة والسهولة، والأخذ بكل جديد عن عقل وفهم وإدراك.

٧- يعبر عن المقصود بأوضح الصور، فتراه يستعمل لكل معنى اللفظ الموضوع له، بحيث ينتقل القارئ من اللفظ إلى المعنى من دون واسطة.

ومن نماذج كتاباته مقال بعنوان: «اللغة والعصر»، كتبه يوم انصرف الأدباء إلى تحصيل ملكة الكتابة العربية الصافية، والتضلع من اللغة بحقيقتها ومجازها، فقال: «لم يبق في أرباب الأقلام ومنتحلي صناعة الإنشاء من هذه الأمة من لم يشعر بما صارت إليه اللغة لعهدنا الحاضر، من التقصير بخدمة أهلها، والعقم بحاجات ذويها، حتى لقد ضاقت معجماتها بمطالب الكتاب والمعربين، وأصبحت الكتابة في كثير من الأغراض ضربا من شاق التكليف، وبابا من أبواب العنت. واللغة لا تزداد إلا ضيقا باتساع مذاهب الحضارة، وتشعب طريق التفنن في المخترعات والمستحدثات إلى أن كادت تنبذ في زوايا الإهمال، وتلحق بما سبقها من لغات القرون الخوالي، ومست الضرورة إلى تدارك ما طرأ عليها من التلم قبل تمام العفاء، وقبل أن ينادي عليها مؤذن العصر: سبحان من تفرد بالبقاء، ويختم على معجماتها بقصائد التأبين والرثاء.....».

وللشيخ أيضا قصائد متفرقة ومنظومات رشيقة لم تجمع حتى اليوم. ومن أقدم ما وجدت له من القصائد ما أنشده في الجمعية السورية في أوائل سنة (١٢٨٥هـ/١٨٦٨م)، وهي منظومة حماسية ذكر فيها العرب فقال في أولها:

سلام أيها العرب الكرام
وجاد ربوع قطركم الغمام
لقد ذكر الزمان لكم عهودا
مضت قدما فلم يضع الغمام

ثم قال في وصف مجالس العلم:

مجالس العلوم غدت منارا
به ليغلب الجهل انصرام
جلاها كل أبلج أريحي
تقر له البلاغة والكلام
تجرد من أياديه المواضي
وترسل من لواحظه السهام
رجال في انتشار الفضل جدوا
وفي حب العلوم صبوا وعاموا
تلاعبت الحمية في نهاهم
كما لعبت بشاربها المدام
تهز الأريحية كل يوم
معاطفهم كما أهتز الحسام
هم الشهب والمطيرة فوق أرض
يلوح لنوئهم فيها غمام
غمام قد تخلله بروق
يصافحها الرجاء متى تشام
جهابذة يقوم الفرد منهم
بما أعيا به جيش اللهام

ويضاف إلى ما سبق ما امتاز به الشيخ من جودة الخط، وإجادة الرسم والنقش والحفر. وكان رزقه من شق قلمه فعاش فقيرا، غني القلب، أبي النفس. إلى أن توفي في ٢٨ ديسمبر من سنة ١٩٠٦م بالقاهرة. فقدت به الآداب العربية أحد أنصارها المعدودين.

عثرات الأقلام (٢)

التحرير

رأت مجلة «الوعي الإسلامي» إعادة نشر السلسلة الماتعة من «عثرات الأقلام» المسطرة بين طيات مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، والتي تهدف إلى نقد ما تهفو به أقلام بعض الكتاب فيما يكتبونه ويحبرونه.
واجتهد المجمع في الاقتصار على ما ظنه خطأ من القول، مما لا يحتاج فيه إلى الرد والمناقشة، تفاديا للمجادلات والمناقشات التي طالما كانت سببا في خفوت الأصوات، وموت المشروعات. وزيادة في تجنب أسباب الجدل والمناقشة، اكتفى المجمع بنقد القول دون ذكر اسم كاتبه أو الصحيفة التي كتب فيها.
سائلين الله عزوجل أن يقع هذا العمل موقع الرضا والقبول، فيتدبروا هذه الملاحظات، ويراعوا العمل بها كلما سنحت في كتاباتهم، إذ ليس الغرض من ذلك كله إلا خدمة اللغة العربية الكريمة، وإحياء فصيح تراكيبها وبليغ أساليبها، والله الموفق والمعين.

● قولهم: «حضرة الرئيس المهاب»، بضم الميم، من «أهاب» الرباعي، بمعنى أن الناس تهابه. وصوابه: «مهيب» و«مهوب»، اسم مفعول من «هاب» الثلاثي. وقد يصح أن يقال: «مهاب» بفتح الميم على معنى أنه موضوع مهابة.

● إذ يقال: «مكان مهاب»، و«مكان مهال» بفتح الميم، فيها من الهيبة والهول.
وقولهم: «أوشك الصبي على الغرق» يريدون أنه أشرف على الغرق، وصوابه أن يقال: «أوشك أن يغرق»، أو: «أشفى على الغرق».

● وقولهم: «فذهبوا مرفوقين بقوة من قبل الحكومة»، صوابه: مرافقين بقوة أو مصحوبين بها.

● وقولهم: «أهاج هذا القول خواطر الوطنيين»، صوابه: هاج خواطرهم من دون همزة أو هيجها بالتشديد.

● وقولهم في جمع سائح: «سواح» بالواو، وصوابه «سياح» بالياء، لأن فعله ساح يسيح، لا ساح يسوح.

● وقولهم: «أمن له مستقبله، أو: أمر معيشته» الظاهر أن يقال: «أمنه من مستقبله أو من أمر معيشته»، بمعنى أنه جعله في أمن من سوء مستقبله، أو في أمن من ضياع أمر معيشته. أو يقال: «أمنه على معيشته أو مستقبله» مع حرف الجر «على»، فيكون مثل أمنه على دمه وماله، كذا يفهم من التاج.

● وقولهم: «ولازالت السفينة تنقل كذا»، صوابه: «مازالت»، أما «لا» مع «زال» فلا تستعمل إلا في مقام الدعاء: يقال: «لازلت ملحوظا بعين العناية».

● وقولهم: «غضب حينما رأى حقوق الأهلين مداسة»، ويقولون في ضد ذلك أحيانا: «وقد سر حين رأى حقوق الأهلين مصانة»، والصواب فيهما: «مدرسة ومصونة» من «داس وصان» الثلاثيين، ولا يقال: «أداس»، ولا «أصان» بالهمز.

● وقولهم: «بادرنا لنشر الخبر لتطمين الأفكار»، صوابه: لطمأنة الأفكار أو لطأمنة الأفكار، أي تسكينها، إذ يقال: «طمأنه طمأنة وطأمنه طأمنة». أما قولهم من هذه المادة: طمنه تطمينا، بقلب الهمزة ميما، وإدغامها في الميم الأصلية، فلم يرد في الفصيح، وهو مع هذا غلط فاش جدا.

● وقولهم: «ناهيك عما نستعمله من الأساليب»، يريدون فضلا عما نستعمله. وهو خطأ لأن معنى ناهيك: حسبك وكافيك. قال اللسان: «ناهيك بفلان رجلا ومن رجل، أي: كافيك وحسبك هو».

● وقولهم: «لا يهمهم سوى محافظة مراكزهم»، صوابه سوى المحافظة على مراكزهم، إذ يقال: حافظ على الشيء، لا حافظه.

● وقولهم «رساميل» في جميع «رأس المال» خطأ، وصوابه أن يقال: «رؤوس الأموال».

● وقولهم: «جاءه قوميسيونجي، وعرض عليه البضاعة الفلانية»، ويريدون بالقوميسيونجي ذاك الذي يتوسط بين المحال التجارية في أوروبا وبين تجار بلادنا في عرض نموذجات البضائع وبيعها لهم. ونرى أن نستعمل مكان «القوميسيونجي» كلمة «الوسيط». والأفصح ما قاله ابن سيده في كتابه «المخصص»: فلح فلان إذا اطمأن إليه الناس فقالوا له: بع لنا كذا، أو اشتر لنا كذا، فيأتي التجار فيبيعهم، أو يشتري منهم، قال: ويسمى المتوسط بين التجار على هذه الصورة: «الفلاح».

● و هذه الكلمة، أعني: «الفلاح» تشتبه بالفلاح بمعنى الحراث، غير أن القرائن وسياقات الكلام كفيلة بتعيين المعنى المراد، شأن جميع الكلمات الأخرى المشتركة المعنى، الشائعة في كلام الكتاب.

● أما كلمة «الدلال» فتبقى على استعمالها في الوسيط ببيع الأمتعة، وما كان تفاريق و«السمسار» ببيع البضائع الأغلى قيمة، وما يباع بالجملة.

● كلمة «سفسير» بمعنى سمسار أيضا، ويمكن استعمالها في طائفة خاصة من السماسرة، وتبقى كلمة «الفلاح» للسماسرة الذين يعرضون بضائع المعامل بمقادير كبيرة.

شبح الحرية

أسماء السكاف
كاتبة سورية

صباح مشرق، وشمس دافئة، وهواء يداعب كل المخلوقات على هذه البقعة التي أتواجد أنا فيها من الكرة الأرضية.. أحسسته يوما مثاليا للذهاب إلى شاطئ البحر، انطلقت بلا أي تحضير، وبلا تفكير أيضا، جلست على رمال الشاطئ، وأنا قريبة جدا من الماء، أنظر إلى الموج الساحر، وأراقب حركاته وشقلباته الرشيقة، ومع اقتراب كل موجة أتوقع أن تطولني قطرات منها.. سمعت خلفي صوت أم تنادي صغيرها بهلع: «ابتعد عن البحر يا ولد؛ ستبلل نفسك»، نظرت خلفي فوجدت صغيرا بمنتهى الجمال والبراءة، أظنه في بداية مشيه، يحمل كرته متجها صوب البحر وفي عينيه تساؤل: «لم تخاف أمي من البحر الجميل ومياهه الرائعة؟!».. أخذت الأم صغيرها وعدت أنا لمراقبة البحر بأمواجه الزرقاء وقطراته اللؤلؤية. كان الشاطئ مكتظا نوعا ما، فعلى يميني عائلة تجلس مستمتعة بأشعة الشمس الذهبية، وعلى يساري يجلس مجموعة من الشباب يبدو لي أنهم يناقشون موضوعا مهما. تساءلت: لم نحب البحر لهذه الدرجة؟ لم لا نمل القدوم إليه؟ لم لا نشبع من النظر إلى مياهه؟ وأيضا أسمع الجميع – بلا استثناء – يرددون عبارة «أشعر أن البحر يبتلع همومنا»، حتى إنني أعرف شخصا ضريرا مولعا بالبحر أيضا لا يمل الوقوف أمامه والاستماع إلى تلاطم أمواجه، لم أجد إجابة غير: «الحرية»، بمعنى أننا نشعر أمامه بالحرية، أو نشعر بحريته اللامحدودة، فنطيل النظر إليه، فلا نرى حدودا لنظرنا، بل على العكس نرى سعة واتساعا على مد الأفق والعين، مفيدا لها، ويريحها النظر إلى مكان لا محدود (أي لا حدود له)، كالبحر والصحراء، مثلا. في تلك اللحظة الروحانية – إن صح التعبير – ومع نسمات الهواء الباردة، ضغطت كلمة حرية على زر الذاكرة في عقلي، وذهبت بي إلى ذكرى يحبها قلبي، وعقلي أيضا، حيث كنت طفلة صغيرة أجلس أمام أبي الإنسان الرائع والشخص الكامل المواصفات والرجل الذي يعرف كل شيء عن أي شيء، هكذا كان بالنسبة لي حينها، سألته بعد أن أنهيت قراءة قصة عن صيد العصافير ووضعها داخل الأقفاص: «أبي، هل نحن أحرار؟»، ما زلت أذكر جيدا تنهيدته وهو ينحي كتابه جانبا ويجيبني بإجابة لم أفهمها جيدا في حينها: «يا ابنتي، تنتهي حريتك عندما تبدأ حرية الآخرين»، لم يطل حوارنا حينها، ولكن كلماته نقشت في عقلي. أيقظني من ذكراي رذاذ الماء الذي باغتني على وجهي، ابتسمت للماء الذي أحسست برذاذه يداعب وجهي، اقتربت من البحر لأبلل يدي وقدمي، فوجدت سربا صغيرا من السمك يسبح بحرية ويجول حيثما أراد من دون قيود أو حدود تحد من انطلاقته، وكأن كل شيء حولي اليوم يريدني أن أنطلق بحرية، وكأن ذاكرتي عن هذا الموضوع كانت آخذة بالذبول، ونسمات الهواء العليل اللطيفة مع رذاذ الأمواج الرائعة قد أنعشاها وردا الروح إليها. تذكرت يوما كنت أجلس فيه مع بعض الأقارب، وجاءنا ابن عمي ليقرأ ما جاد به قلمه عن حرية الأوطان لبحث ما طلب منه في المدرسة، أذكر جيدا أنه ما إن بدأ حتى قال عمي بصوت منخفض جدا: «شششششش صه.. فالحيطان لها آذان»!

وفي اليوم التالي كانت أمي مجتمعة مع بعض النسوة يتحدثن، وجاءت سيرة فلانة وابنتها وكيف أنها سافرت لتدرس وحدها، قالت إحداهن: «إنها فتاة عودها والداها على الحرية»، قالت لها الأخرى: «ستر الله بناتنا وبنات المسلمين»! وكأن كلمة حرية مناقضة للستر بالنسبة إلى الفتاة!

أو حتى عندما كنت أرى طفلة أو طفلا يناقش والديه عن أي أمر من الأمور، سواء أكان شراء ملابس أم حتى نوع الطعام الذي يريد طلبه من المطعم، قلما كنت أرى احتراما لما يريد قوله هذا الصغير بحريته الفطرية، فجل ما كنت أسمعه: «لا تناقش أمك وأباك عندما يتحدثان» أو «عندما يتحدث الكبار يصمت الصغار».

أشعر أن أغلب من حولي يريد قولبة الحرية حسب مفهومه الشخصي، بل حسب مزاجه أيضا، فهذا الصغير الذي قمع وألجم فمه عن قول ما يريد، سيكرر ما حدث معه في كبره، والطامة الكبرى لو أنه أصبح معلما ومربيا للأجيال!

حولي عدد كبير جدا من الناس ممن ارتبطت كلمة حرية عندهم بالسياسة؛ لذلك تجدهم مقيدين من قبل أنفسهم، وكأنهم وضعوا قيودا داخلية، بل وأحيانا لا يتجرأون على لفظ كلمة حرية من شدة خوفهم.

وكذلك أيضا حولي، بل ومن المقربين، من ارتبطت عندهم كلمة حرية بمفهوم مناقض للأحكام الشرعية، وكأن الإنسان الحر هو من تفلت من أحكام الشريعة.

ووجدتني – بلا شعور – أدندن بصوت أشبه بالهمس بأبيات أحبها جدا وعلقت في ذهني منذ قرأتها قبل أعوام مضت:

إن الحرية أن تحيا عبدا لله بكلية..

وفق القرآن ووفق الشرع ووفق السنن النبوية

إنها أبيات من قصيدة، ولكنها تلخص المفهوم الشمولي للحرية، فليس هناك حرية جزئية، فإما أن تكون حرا أو لا تكون، ولو طبقت الأحكام الشرعية بالطريقة الصحيحة لما تعدى أحد على حرية أحد ولما ظلم أحد.

أنا مؤمنة جدا أن «من ينكر الحرية على الآخرين لا يستحقها لنفسه»، وما أكثر الذين يتغنون بالحرية، وما أقل الذين يمارسونها!

أحكام النساء

اسم الكتاب: أحكام النساء
المؤلف: علاء الدين بن العطار الشافعي
المحقق: د. إيمان بنت محمد علي عزام
إصدار: دار البشائر الإسلامية (سلسلة دفائن الخزائن)
الطبعة: الأولى، ١٤٣٥هـ ٢٠١٤م
عدد الأجزاء: ٤ مجلدات

بين أيدينا كتاب «أحكام النساء» لابن العطار الشافعي، وهو أول كتاب فقهي أفرد في الأحكام المتعلقة بالنساء، وقد عالج مؤلف الكتاب هذا الموضوع المهم على طريقة الفقهاء؛ مستندا إلى الأدلة من القرآن والسنة، وأقوال علماء الأمة؛ مؤكدا أن الذي سيذكره فيه تضمن أحكاما اختصت اختصاصا كليا بالنساء، وأحكاما أخرى يشترك في أصل الحكم فيها الرجال والنساء، ثم ينفرد كل منهما بكيفيات وهيئات، وأحكاما ثالثة يتفق فيها الرجال والنساء، ولكن تجهلها أو تهملها معظم النساء، وأحكاما رابعة تعم الجنسين؛ منها أحكام معروفة، ومنها ما يندر حصولها ويجهل حكمها؛ إلى غير ذلك مما يتعلق بمباحث الكتاب النفيسة.

وقد قامت الدكتورة إيمان عزام بدراسة وتحقيق هذه النادرة العلمية، ونالت بها درجة الدكتوراه في الفقه الاسلامي من كلية الشريعة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، بتقدير ممتاز، حيث اعتمدت على نسخة مخطوطة فريدة، وبذلت جهدا جليلا لتذليل صعابها؛ فاعتنت بها عناية تامة، من حيث إثبات النص صحيحا، مع ضبط الآيات والأحاديث والنصوص المنقولة، كما وضعت حواشي مهمة، مع فهرسة علمية تعين الباحث في الرجوع إلى ما يريده من المجلدات الأربعة.

وقد أسهم الكتاب في حفظ نصوص سابقة، وانفرد بذكر مسائل لم تذكرها كتب المذهب الشافعي المشهورة، وأظهر شخصية ابن العطار من خلال اختياراته الفقهية فيه ومهارته العلمية، ويقظته في توضيح مواضع الوهم، واهتمامه بالوعظ والربط بالواقع ومحاربة البدع.

مكانة كتاب «أحكام النساء» بالنظر إلى: مؤلفه، وزمن تأليفه، وخصوصية موضوعه

إن أعمال التراث تستمد أهميتها من أبعاد مختلفة، من أبرزها: مكانة مؤلفها ومقدار الثقة فيه، وزمن تأليفها، وأهمية موضوعها، ومخطوط «أحكام النساء» الذي قامت الدكتورة إيمان عزام بتحقيقه؛ اجتمعت فيه الأسباب السابقة، التي لو انفرد أحدها لكان داعيا إلى تحقيقه والعناية به، فكيف وقد اجتمعت كلها؟

وبيان ذلك فيما يلي:

أولا: مكانة مؤلف كتاب «أحكام النساء»:

علاء الدين ابن العطار عالم فقيه، ومحدث من دمشق الشام؛ عاش في النصف الأخير من القرن السابع والربع الأول من القرن الثامن الهجريين (٦٥٤-٧٢٤هـ)، وهو عصر اشتهر بعناية حكام المماليك بالعلماء والمدارس، وكان رحمه الله من أخص تلاميذ الإمام النووي الشافعي، صاحب التصانيف الشافعية المعتمدة التي دارت حولها الشروح والتصانيف، وقد أوصاه شيخه النووي بإكمال المجموع لما أدرك أهليته لذلك، وعلم مكانته الفقهية؛ لكن لم يقدره الله له، وهو صاحب رحلات واسعة، حيث جاب البلدان، وأخذ عن كبار علمائها، فرحل إلى الحجاز واليمن ومصر ونابلس وغيرها من البلدان، وتولى مشيخة دار السنة بدمشق لمدة ثلاثين سنة.

قال الذهبي عنه: «كتب وجمع ودرس وأفتى واشتهر ذكره»، وقال ابن كثير: «له مصنفات وفوائد وتخاريج ومجاميع»، وقال عنه ابن حجر: «نسخ الشيخ علاء الدين الأجزاء وكتب الطباق وغلب عليه الفقه، وصحب الشيخ محيي الدين النووي، واشتغل عليه وحفظ التنبيه بين يديه حتى كان يقال له: مختصر النووي».

وهذا كله فصيح صريح في بيان مكانة المؤلف لا يحتاج معه إلى مزيد بيان.

ثانيا: زمن تأليف كتاب «أحكام النساء» لابن العطار رحمه الله:

ألف ابن العطار كتابه «أحكام النساء» في الربع الأول من القرن الثامن الهجري؛ حيث ذكر أن فراغه منه كان سنة عشر وسبعمائة، وهي فترة زمنية تشرئب لها أعناق المهتمين بالتحقيق، بعد أن صار وجود ما يصلح للتحقيق تحت مظلة الجامعات قليل فيما قبل ذلك من القرون.

ثالثا: أهمية موضوع الكتاب وخصوصيته

إن موضوع الكتاب هو فقه أحكام النساء الخاصة بهن، والنساء نصف المجتمع، وهن شقائق الرجال، ومربيات الأجيال، والجهل فيهن شائع ذائع، والعلم بأمور الدين بينهن قليل بل نادر، فالحاجة ماسة - إذن - إلى تقريب الأحكام لهن، وتيسير الفقه بين أيديهن.

وأول الخطوات جمع ما تناثر من جزئيات المسائل وفروع الفقه من سائر الأبواب في كتاب واحد، وإذا قصرت الهمم

عن تعليم النساء الفقه كله، فلا ينبغي أن تضعف عن تعليمهن ما يتعلق بهن، فبرغم اشتراكهن في كثير من الأحكام مع الرجال، فإن هناك من الأحكام ما استأثرن به على جهة الاختصاص في كافة أبواب الفقه.

ولقد أدرك المتقدمون أهمية هذا الموضوع، وبالتالي أهمية كتاب «أحكام النساء» لابن العطار، فوجدنا الناشري (ت٨١٥هـ) عني به واختصره، والناشري عالم فقيه جليل، وعناية مثله بكتاب «أحكام النساء» ينبئ بالتأكيد عن أهمية الكتاب ومكانته.

ثم إن كتاب «أحكام النساء» كما ذكرت المحققة هو الكتاب التراثي الفقهي الوحيد الذي عالج أحكام النساء على طريقة الفقهاء؛ ولذلك صار في تحقيقه سد ثغرة ضرورية في المكتبة الإسلامية؛ لأنه مهما قدمَ للنساء من دراسات فقهية معاصرة، فيظل للتراث قيمته ووزنه وفضله وأصالته واكتمال الثقة فيه، وفضل علم السلف على الخلف معروف ليس هو محل إثبات.

التعريف بمحتوى كتاب «أحكام النساء»

أولا: أنواع الأحكام التي حواها كتاب «أحكام النساء» لابن العطار:

ذكر ابن العطار رحمه الله في آخر تقديمه للكتاب ضابطا مهما، وهو أن أعمال الجوارح الظاهرة، وهو علم الفروع، منه ما يتوافق حكم النساء فيه مع حكم الرجال، ومنه ما يتخالف حكمهما فيه؛ ثم قال رحمه الله: «والذي نذكره في هذا الكتاب ما يخالف أحكام الرجال».

وبدراسة الكتاب نلاحظ أن ابن العطار رحمه الله لم يقتصر على ذكر الأحكام المختصة بالنساء، والتي يختلف فيها حكمهن عن حكم الرجال، مع التسليم بأن هذا النوع من الأحكام شكل النسبة العظمى من أحكام كتابه، والتسليم كذلك بأن هذا النوع شغل المقام الأول من اهتمام ابن العطار رحمه الله.

وفي محاولة لتصنيف الأحكام التي

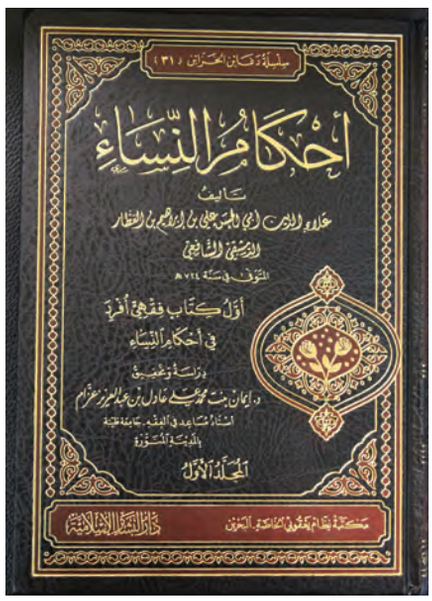

ضمنها ابن العطار كتابه؛ فقد قاد استقراء المحققة للمخطوط إلى حصر تقريبي لأنواع الأحكام التي حواها، فوجدت ثمانية أنواع من الأحكام تضمنها كتاب «أحكام النساء» لابن العطار، وهي:

النوع الأول: أحكام اختصت اختصاصا كليا بالمرأة: ومعظمها في كتاب «الطهارة» و«الصلاة» و«اللباس والزينة» ونحو ذلك.

النوع الثاني: أحكام يشترك في أصل الحكم فيها الرجال والنساء، ثم ينفرد كل منهما بكيفيات وهيئات: ومن ذلك: الغسل؛ فالمرأة كالرجل؛ لكنها تزيد في غمر ضفائرها بالماء، ومنها: الوقوف بعرفة حكمها كحكم الرجل؛ لكنها تقف قاعدة في حاشية الموقف...إلخ.

النوع الثالث: أحكام يتفق فيها الرجال والنساء، وتجهلها أو تهملها معظم النساء: ولا يتنبه لها النساء لذيوع الجهل بينهن، أو يشتهر اعتناء الرجال بها دونهن، نحو: الاستياك، والختان، والعقيقة عند البلوغ لمن لم يعق وليها عنها...إلخ.

النوع الرابع: وهو الأحكام التي تعم الجنسين: وهي التي يتفق فيها النساء والرجال مطلقا، وأحكامها في الأغلب معروفة، فينبه إليها المصنف في عجالة، ثم يتجاوزها إلى غيرها؛ نحو قوله: «حكم المرأة في التيمم حكم الرجل»، وقوله في كتاب الزكاة: «وتجب الزكاة في الركاز على كل مكلف؛ رجلا كان أو امرأة، محجورا عليه، أو مطلق التصرف»، وكثير من الأحكام في كتاب البيوع، وفي كتاب «الجنايات والحدود»...إلخ.

النوع الخامس: أحكام تعم الجنسين، ثم يندر حصولها، فيجهل حكمها: ومثال هذا النوع: قوله في كتاب الحج، فصل: النذر: مسألة: «ولو نذر رجل ذبح ولده ذكرا كان أو أنثى».

النوع السادس: أحكام تختص بالرجل: ويذكرها ابن العطار على سبيل المقابلة، وقد جاءت في الكتاب في مواضع قليلة، ومن ذلك قوله: «ويكره للرجل أن ينام مستلقيا على وجهه، فقد صح أن رسول الله ﷺ رأى رجلا مستلقيا على وجهه، فقال: إن هذه بطحة يبغضها الله تعالى».

ومنه: قوله بعد ذكره مقدار ما ترخي المرأة من الذيل: ولهذا كان إرخاء الإزار على الكعبين للرجال في النار؛ لما فيه من الفخر والخيلاء، والتشبيه بالنساء؛ فإن ذلك شرع لهن للستر، وهو مفقود في حق الرجال.

النوع السابع: أحكام يذكرها لا تختص بها النساء ولا يختص بها الرجال: ولكن يذيع إتيانها على مخالفة الشرع في مجتمعه، واحتمال جهل النساء بحكمها مع إتيانهم لها احتمال قوي، ومن أمثلته: «حكم الأجراس التي تعلق على الدواب، وضرب النقارات في الحرب، وحكم الشبابة، والأرغن».

النوع الثامن: أحكام تلحق آثارها المرأة، وإن كان فاعلها هو الرجل: وهو نوع من الأحكام ظهر في أبواب النكاح في فصول نحو: الطلاق، والظهار، والإيلاء، واللعان، والأيمان.

وعموما، فإن المحققة رأت في دراسة الكتاب أن في خروج ابن العطار رحمه الله عن شرطه في ضابط كتابه ظهورا جديدا لروحه الوثابة إلى نفع الناس؛ حيث كان هذا النفع، ومهما استدعى خروجا عن الضوابط والقيود.

معجم البلدان

لياقوت الحموي

التحرير

اعتمد الجغرافيون المسلمون على رحلاتهم الشخصية، وكان ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)، من هؤلاء البلدانيين الذين جمعوا معلومات قيمة، وقد وضعها في مصنفه الجامع «معجم البلدان»، الذي يعد من أهم المصادر في بابه وأكثرها شهرة، وذلك لما تضمنه من مادة جغرافية وتاريخية وأدبية متنوعة.

ومعلوم أن المعاجم أو القواميس الجغرافية تمثل نمطا من أنماط الفهرسة والتبويب، وانتخاب المعلومات الجغرافية وتصنيفها؛ حسب الترتيب الأبجدي، ويتطلب التأليف في هذا المجال توفر القدرة العلمية والبحثية على حصر المادة الجغرافية، والقدرة على التمييز بين الصالح منها والضعيف المتهالك، وإنجاز المعجم الجغرافي يعد بحق ابتكارا إسلاميا بامتياز؛ فقد أكثروا من تصنيف القواميس في علم الجغرافية، ومنها كتاب «معجم البلدان» لياقوت الحموي، الذي ألفه في القرن السابع الهجري.

أما فكرة تأليف الكتاب فقد غاب عنه ضبط لفظة هي سوق من أسواق العرب في جاهليتهم، فكانت هذه الحادثة دافعا قويا له لوضع معجم عام يجمع شتات المادة الجغرافية المعروفة؛ لهذا انصرف إلى تأليف معجمه، ولكي يجهز نفسه لإنجاز المعجم؛ رجع إلى كثير من الكتب ونقل منها بأمانة، فأورد وصفا جيدا لكل ما استطاع أن يصل إلى علمه عن المدن ومواضعها، إضافة إلى رحلته العلمية في تلك السبيل، وبعد أن أنجزه قال ياقوت عنه في مقدمته واصفا إياه: «كتاب في أسماء البلدان والجبال والأودية والقيعان والقرى والمحال والأوطان والبحار والأنهار والغدران والأصنام والأنداد والأوثان».

وقد كانت مقدمة كتابه من أنفس ما لا ينبغي أن يجهله طالب علم عموما، ومحب الجغرافية والبلدان خصوصا، وهذه بعض مقتطفات منها:

قال في أول مقدمته شارحا دافعه في جمع كتابه:

«هذا كتاب في أسماء البلدان، والجبال، والأودية، والقيعان، والقرى، والمحال، والأوطان، والبحار، والأنهار، والغدران، والأصنام، والأنداد، والأوثان. لم أقصد بتأليفه، وأصمد نفسي لتصنيفه، لهوا ولا لعبا، ولا رغبة حثتني إليه ولا رهبا، ولا حنينا استفزني إلى وطن، ولا طربا حفزني إلى ذي ود وسكن. ولكن رأيت التصدي له واجبا، والانتداب له مع القدرة عليه فرضا لازبا، وفقني عليه الكتاب العزيز الكريم، وهداني اليه النبأ العظيم، وهو قوله عزوجل، حين أراد أن يعرف عباده آياته ومثلاته، ويقيم الحجة عليهم في إنزاله بهم أليم نقماته: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ (الحج:٤٦)؛ فهذا

تقريع لمن سار في بلاده ولم يعتبر، ونظر إلى القرون الخالية فلم ينزجر، وقال وهو أصدق القائلين: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ (الأنعام:١١)؛ أي انظروا إلى ديارهم كيف درست، وإلى آثارهم وأنوارهم كيف انطمست، عقوبة لهم على اطراح أوامره، وارتكاب زواجره، إلى غير ذلك من الآيات المحكمة، والأوامر والزواجر المبرمة؛ فالأول توبيخ لسبق النهي عن المعصية شاهرا، والثاني أمر يقتضي الوجوب ظاهرا».

وقال في معرض ذكره حاجة أهل العلم جميعا للباب الذي ألف فيه وجمع من أجله كتابه الممتع: «الافتقار إلى هذا الشأن يشترك فيه كل من ضرب في العلم بسهم...؛ فإني رأيت جل نقلة الأخبار، وأعيان رواة الأشعار والآثار، ممن عني بها دهره، وأنفد فيها عرضه وعمره حسن الاستمرار على الصواب...، حتى يمر بهم ذكر بقعة كانت بها وقعة واقعة، فيختلط لاحتياجه إلى النقل لا العقل، والرواية لا الدراية، فتراه إما غالطا، أو مغالطا، فيخفض من صوته بعد رفعه، ويتكهم ماضي لسانه بقدعه، ثم قلما رأيت الكتب المتقنة الخط، المحتاط لها بالضبط والنقط، إلا وأسماء البقاع فيها مهملة أو محرفة، وعن محجة الصواب منعطفة أو منحرفة، قد أهمله كاتبه جهلا، وصوره على التوهم نقلا، وكم إمام جليل، ووجه من الأعيان نبيل، وأمير كبير، ووزير خطير، ينسب إلى مكان مجهول، فتراه عند ترجيم الظنون على كل

محتمل محمول، فإن سئل عنه أهل المعارف أخذوا بالنصف الأرذل من العلم، وهو لا أدري. وبئست الخطة للرجل الفاضل، فإن التمس لذلك مظنة، أعضل، أو أريغ له مطلب، أعوز وأشكل، لإغفالهم هذا الفن من العلم الخطير مع جلالته، وإعراضهم عن هذا المقصد الكبير مع فخامته. ومن ذا الذي يستغني من أولي البصائر عن معرفة أسماء الأماكن وتصحيحها، وضبط أصقاعها وتنقيحها، والناس في الافتقار إلى علمها سواسية» ثم بين قيمة معرفة الأماكن وضبطها، وأنها بالخصوص لا يستغني عنها عالم بالشرع؛ فقال: «من هذه الأماكن ما هي مواقيت للحجاج والزائرين، ومعالم للصحابة والتابعين، رضوان الله عليهم أجمعين، ومشاهد للأولياء والصالحين، ومواطن غزوات سرايا سيد المرسلين، وفتوح الأئمة من الخلفاء الراشدين، وقد فتحت هذه الأماكن صلحا وعنوة، وأمانا وقوة، ولكل من ذلك حكم في الشريعة، في قسمة الفيء وأخذ الجزية، وتناول الخراج واجتناء المقاطعات والمصالحات، وإنالة التسويفات والإقطاعات، لا يسع الفقهاء جهلها، ولا يعذر الأئمة والأمراء إذا فاتهم في طريق العلم حزنها وسهلها؛ لأنها من لوازم فتيا الدين، وضوابط قواعد الإسلام والمسلمين».

فأما أهل السير والأخبار، والحديث والتواريخ والآثار، فحاجتهم إلى معرفتها أمس...، لأنه معتمد علمهم...، وأما أهل الحكمة والتفهيم، والتطبب والتنجيم، فلا تقصر حاجتهم إلى معرفته عمن قدمنا، فالأطباء لمعرفة أمزجة البلدان وأهوائها، والمنجم للاطلاع على مطالع النجوم وأنوائها،... ولذلك صنف كثير من القدماء كتبا سموها جغرافيا، ومعناها صورة الأرض، وألف آخرون كتبا في أمزجة البلدان وأهوائها...

وأما أهل الأدب فناهيك بحاجتهم إليها، لأنها من ضوابط اللغوي ولوازمه، وشواهد النحوي ودعائمه، ومعتمد الشاعر في تحلية جيد شعره بذكرها...

فإنه إن زعم أنه واد وكان جبلا، أو جبل وكان صحراء، أو صحراء وكان نهرا، أو نهر وكان قرية، أو قرية وكان شعبا، أو شعب وكان حزما، أو حزم وكان روضة، أو روضة وكان صفصفا، أو صفصف وكان مستنقعا، أو مستنقع وكان جلدا، أو جلد وكان سبخة، أو سبخة وكان حرة، أو حرة وكان سهلا، أو سهل وكان وعرا، أو يجعله شرقيا وكان غربيا، أو جنوبيا وكان شماليا، سفل قدره، ونزر كثره، وآض ضحكة، ويرى أنه ضحكة، وجعل هزأة، ويرى أنه هزأة، واستخف وزنه واسترذل،

واستقل فضله واستجهل».

ثم ذكر باعثه الأول على التصنيف في هذا النوع من العلم؛ فقال:

«وكان من أول البواعث لجمع هذا الكتاب، أنني سئلت بمرو الشاهجان، عن حباشة اسم موضع جاء في الحديث النبوي، وهو سوق من أسواق العرب في الجاهلية؛ فقلت: أرى أنه حُباشة بضم الحاء، قياسا على أصل هذه اللفظة في اللغة، لأن الحُباشة: الجماعة من الناس من قبائل شتى، وحبشت له حباشة أي جمعت له شيئا؛ فانبرى لي رجل من المحدثين، وقال: إنما هو حَباشة بالفتح. وصمم على ذلك وكابر، وجاهر بالعناد من غير حجة وناظر، فأردت قطع الاحتجاج بالنقل؛ إذ لا معول في مثل هذا على اشتقاق ولا عقل؛ فاستعصى كشفه في كتب غرائب الأحاديث، ودواوين اللغات مع سعة الكتب التي كانت بمرو يومئذ، وكثرة وجودها في الوقوف، وسهولة تناولها، فلم أظفر به إلا بعد انقضاء ذلك الشغب والمراء، ويأس من وجوده ببحث واقتراء، فكان موافقا والحمد لله لما قلته، ومكيلا بالصاع الذي كلته، فألقي حينئذ في روعي افتقار العالم إلى كتاب في هذا الشأن مضبوطا، وبالإتقان وتصحيح الألفاظ بالتقييد مخطوطا، ليكون في مثل هذه الظلمة هاديا، وإلى ضوء الصواب داعيا، ونبهت على هذه الفضيلة النبيلة، وشرح صدري لنيل هذه المنقبة التي غفل عنها الأولون، ولم يهتد لها الغابرون. يقول من تقرع أسماعه: كم ترك الأول للآخر!».

ثم ذكر أسماء من صنف من المتقدمين عليه في أسماء الأماكن، وأسماء كتبهم وذكر أنه اقتدى بهم، وأوضح أن تلك المصنفات صنفان:

منها ما قصد بتصنيفه ذكر المدن المعمورة والبلدان المسكونة المشهورة، ومنها ما قصد به ذكر البوادي والقفار، واقتصر على منازل العرب الواردة في أخبارهم والأشعار.

وبعد أن عدد الكتب ومؤلفيها، بين مدى مجهوده في نقل معلوماتها، والتزامه الأمانة في ذلك؛ فقال:

«وهذه الكتب المدونة في هذا الباب التي نقلت منها، ثم نقلت من دواوين العرب والمحدثين وتواريخ أهل الأدب والمحدثين، ومن أفواه الرواة، وتفاريق الكتب، وما شاهدته في أسفاري، وحصلته في تطوافي، أضعاف ذلك، والله الموفق».

وفي السياق أعطى أحكامه التي تحصلت له على تلك المصنفات - وقد كان قسمها على طبقات - ما كان منها جيدا في بابه وما كان قليل الفائدة؛ فقال:

«فأما الطبقة الأولى، فأسماء الأماكن في كتبهم مصحفة مغيرة، وفي حيز العدم مصيرة، قد مسخها من نسخها، وأما الطبقة الثانية فإنها وإن وجدت لها أصول مضبوطة، وبخطوط العلماء منوطة مربوطة، فإنها غير مرتبة، لشدة الاختصار، لأن قصدهم منها تصحيح الألفاظ، لا الإبانة عما عدا ذلك من الأغراض»

وفي آخر مقدمته النفيسة سرد منهجه المحكم في مصنفه العجيب المفيد؛ فقال:

«فاستخرت الله تعالى، وجمعت ما شتتوه، وأضفت اليه ما أهملوه، ورتبته على حروف المعجم، ووضعته وضع أهل اللغة المحكم، وأبنت عن كل حرف من الاسم: هل هو ساكن أو مفتوح أو مضموم أو مكسور، وأزلت عنه عوارض الشبه، وجعلته تبرا بعد أن كان من الشبه، ثم أذكر اشتقاقه إن كان عربيا، ومعناه إن أحطت به علما إن كان عجميا، وفي أي إقليم هو وأي شيء طالعه، وما المستولي عليه من الكواكب، ومن بناه، وأي بلد من المشهورات يجاوره، وكم المسافة بينه وبين ما يقاربه، وبماذا اختص من الخصائص، وما ذكر فيه من العجائب، وبعض من دفن فيه من الأعيان والصالحين والصحابة والتابعين، ونبذا مما قيل فيه من الأشعار في الحنين إلى الأوطان، الشاهدة على صحة ضبطه والإتقان، وفي أي زمان فتحه المسلمون وكيفية ذلك، ومن كان أميره، وهل فتح صلحا أو عنوة، لتعرف حكمه في الفيء والجزية، ومن ملكه في أيامنا هذه.

على أنه ليس هذا الاشتراط بمطاوع لنا في جميع ما نورده، ولا ممكن في قدرة أحد غيرنا، وإنما يجيء على

هـذا البـلدان المشـهورة، والأمهات المعـمورة، وربمـا ذكـر بـعض هذه الشـروط دون بعض على حسب ما أدانا إليه الاجتهاد، وملكناه الطلب والارتياد».

على أنه رحمه الله لأمانته وصدقه وجليل معرفته، بين أنه أعطى القارئ فوائد عظيمة، في قالب سهل ممتع، ونبهه إلى أن هناك أشياء ذكرها من باب التتميم العلمي والتنكيت، ولا يلزم من ذلك صحتها، قال:

«واستقصيت لك الفوائد جلها أو كلها، وملكتك عفوا صفوا عقدها وحلها، حتى لقد ذكرت أشياء كثيرة تأباها العقول، وتنفر عنها طباع من له محصول، لبعدها عن العادات المألوفة، وتنافرها عن المشاهدات المعروفة، وإن كان لا يستعظم شيء مع قدرة الخالق وحيل المخلوق، وأنا مرتاب بها نافر عنها متبرئ إلى قارئها من صحتها، لأنني كتبتها حرصا على إحراز الفوائد، وطلبا لتحصيل القلائد منها والفرائد، فإن كانت حقا فقد أخذنا منها بنصيب المصيب، وإن كانت باطلا فلها في الحق شرك ونصيب، لأنني نقلتها كما وجدتها، فأنا صادق في إيرادها كما أوردتها، لتعرف ما قيل في ذلك حقا كان أو باطلا، فإن قائلا لو قال: سمعت زيدا يكذب، لأحببت أن تعرف كيفية كذبه».

وبعد اعتذاره عما يمكن أن يكون في كتابه من الزلل والسهو؛ إلا أنه واثق في صناعته، وأنه يبذ بمصنفه غيره من المصنفات التي تشترك معه في الموضوع، يقول ذلك وثوب التواضع يلفه، قال رحمه الله:

«وعلى ذلك فإنني أقول ولا أحتشم،

وأدعو إلى النزال كل علم في العلم ولا أنهزم، إن كتابي هذا أوحد في بابه، مؤمر على أضرابه، لا يقوم بإبراز مثله إلا من أيد بالتوفيق، وركب في طلب فوائده كل طريق، فغار تارة وأنجد، وطوح لأجله بنفسه فأبعد، وتفرغ له في عصر الشبيبة وحرارته، وساعده العمر بامتداده وكفايته، وظهرت منه أمارات الحرث وحركته. نعم، وإن كنت أستصغر هذه الغاية فهي كبيرة، أو أستقلها فهي لعمر الله كثيرة، وأما الاستيعاب فشيء لا يفي به طول الأعمار، ويحول دونه مانعا العجز والبوار، فقطعته والعين طامحة، والهمة إلى طلب الازدياد جامحة، ولو وثقت بمساعدة العمر وامتداده، وركنت إلى توفيقي لرجائي فيه واستعداده، لضاعفت حجمه أضعافا، وزدت في فوائده مئين بل آلافا، ولو التمست نفاق هذا الكتاب وسيرورته، واعتمدت إشاعة ذكره وشهرته، لصغرته بقدر الهمم العصرية، ورغبات أهل الطلب الدنية، ولكني انقدت فيه لنهمتي، وجرني رسن الحرص إلى بعض بواعث همتي، وسألت الله، جل وعز، أن لا يحرمنا ثواب التعب فيه، ولا يكلنا إلى نفسنا فيما نحاوله وننويه، وجائزتي على ما أوضعت إليه ركاب خاطري، وأسهرت في تحصيله بدني وناظري، دعاء المستفيدين، وذكر زكي من المؤمنين، بأن أحشر في زمرة الصالحين.

وإذا أردنا معرفة مضامين أبواب المعجم الخمسة فقد ذكرها ياقوت في مقدمة كتابه، وهي:

الباب الأول: في صفة الأرض وما فيها من الجبال والبحار وغير ذلك.

الباب الثاني: في ذكر الأقاليم السبعة واشتقاقها والاختلاف في كيفيتها.

الباب الثالث: في تفسير الألفاظ التي يتكرر ذكرها في هذا الكتاب.

الباب الرابع: في أقوال الفقهاء في أحكام أراضي الفيء والغنيمة وكيفية قسمة ذلك.

الباب الخامس: في جمل من أخبار البلدان.

قال رحمه الله في سلخ مقدمته بعد ذكر هذه الأبواب الخمسة:

«ثم أعود إلى الغرض فأقسمه ثمانية وعشرين كتابا على عدد حروف المعجم، ثم أقسم كل كتاب إلى ثمانية وعشرين بابا للحرف الثاني للأول، وألتزم ترتيب كل كلمة منه على أول الحرف وثانيه وثالثه ورابعه، وإلى أي غاية بلغ، فأقدم ما يجب تقديمه بحكم ترتيب: اب ت ث... على صورته الموضوعة له، من غير نظر إلى أصول الكلمة وزوائدها، لأن جميع ما يرد إنما هي أعلام لمسميات مفردة، وأكثرها عجمية ومرتجلة؛ لا مساغ للاشتقاق فيها».

د. عبدالهادي التازي في آخر حوار له قبل وفاته:

تجاهل «الآخر» مصيبة كبرى

حوار: صابر رمضان

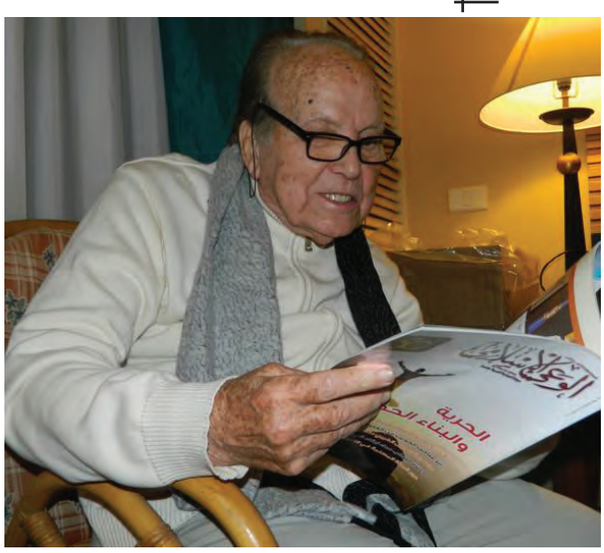

على الرغم من المناصب والدرجات العلمية التي تقلدها المؤرخ والسياسي المغربي د. عبدالهادي التازي، رحمه الله، فإنه كان دائما يعتز بعضويته في مجمع اللغة العربية بالقاهرة الذي كان يرأسه عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين رحمه الله، ورغم أنه يوصف بعدة ألقاب، من بينها المؤرخ والأديب والسياسي، فإنه يتذوق كل لقب على حدة.

«الوعي الإسلامي» التقته قبل وفاته بفترة وجيزة على ضفاف نهر النيل في أحد الفنادق على هامش مشاركته في دورة مجمع اللغة العربية الثمانين بالقاهرة. وعلى الرغم من المشقة التي بدت عليه أثناء الحوار معه؛ نظرا لظروفه الصحية وسنه المتقدمة، فإنه أبدى سعادة بالغة بالحوار؛ لما يكنه من حب جارف ومشاعر نبيلة تجاه الكويت التي يؤكد دوما أن رحلته إليها كانت هي المفتاح الأول لتعرفه على العالم العربي. وإلى نص الحوار معه:

• كيف ترى دور مجمع اللغة العربية بالقاهرة، محليا وإقليميا وعالميا بصفتك أحد أعضائه البارزين؟

– نسمع عن مجمع اللغة العربية منذ ٨٠ عاما، ونحن نحضر اليوم دورة المجمع الثمانين، وأنا أسعد بذلك، وأعتز بأنني عضو في هذا المجمع منذ أيام الدكتور طه حسين رحمه الله، كما أنني عضو في مؤتمر دمشق والمجمع العلمي العراقي عندما كنت سفيرا هناك، وأقدر جدا ما يقوم به زملاؤنا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، فهناك لجان لها اختصاصها، وسعدت جدا بحضوري في هذه الدورة، خصوصا لما وجدته من مناقشات في الجلسات المغلقة لاهتمامات الجغرافيين الأعضاء، واهتمام الفلاسفة، واهتمام الصيادلة، واهتمام الأطباء. لكن المشكل الذي يعيشه مجمع اللغة العربية اليوم مشكل حاد ودقيق، وهو السؤال الموضوع حول تدريس العلوم بمعنى العلوم البحتة (طب وهندسة) وكيف تدرس في الجامعات، وهل تدرس باللغة العربية أم باللغة الأجنبية؟ وهذا هو الصراع الحاصل الآن، ليس على صعيد المجمع فقط ولكن على صعيد شعوبنا العربية، فالعالم الآن يتغير، والتاريخ يتحرك، وفي استطاعتك أن تقاوم كل تيار، إلا تيار التطور الذي يحصل في العالم، هنا نجد أن الموقف في مجمع اللغة العربية يتنوع إلى ثلاثة مواقف: هناك في المجمع من يفرض أو يوصي بقوة بضرورة تعليم العلوم باللغة العربية الفصيحة، هذه فكرة جميلة، هناك طريق ثان يرى أن تعليم العلوم باللغة العربية الفصيحة غير عملي، لأننا نشهد كل يوم تطورا جديدا في هذا العالم في ميدان العلوم، ولذلك فإن هذا التيار الثاني يقول بضرورة تعليم العلوم (science) باللغات الأجنبية، وهناك طريق ثالث يرى ويحاول الجمع أو المزج بين الرأيين – لكن كيف؟ هذا هو المهم – ويقول إننا لا نتخلى عن عربيتنا فهذه ردة إذا تحولنا أو تخلينا عن عربيتنا، ولكن يجب مع هذا الشعور أن نلتفت إلى ما يحدث حولنا، وكيف نلتفت إلى الأمم الأخرى، يجب أن نعرب، والتعريب يحتاج إلى وقت، وقت لاختيار الذي يقوم بالترجمة، ووقت لاختيار الذي يقوم بإيجاد المصطلح، هذا الفريق الثالث في انتظار أن يتم التعريب المنشود، وعلى المستوى المطلوب لا بأس بأن نستعين باللغات الأخرى، بحيث الآن نحن في صراع مع التيارات الثلاثة، ويجب – وأقولها بصراحة – أن نستجيب لمطالب أبنائنا وأحفادنا الذين يفتحون عيونهم كل يوم على جديد يرونه في التلفزة، أو يسمعون به في الإذاعات أو يقرأونه

في متن الصحف، أنا مثلا أقدر جدا المجلات التي تصدر في بعض البلاد العربية معربة للعلوم، وهذا شيء جميل، ويجب علينا أن نشكر هذه المنابر، وأن نقدرها. وأعيدها مرة أخرى: إنما نحن في انتظار أن يكون عملنا متقنا ولا بأس بأن نقوم بمصالحة بين الفرقاء في ما يتعلق بهذا الموضوع الذي يجب أن ننظر إليه نظرة جيدة.

● في رأيك ما مستقبل اللغة العربية في ظل طوفان اللهجات العامية الآن؟

– قامت عندنا في المغرب ضجة حول هذا الموضوع، فالكل في المغرب يعتبر أن الاعتماد على اللغة الدارجة دون الالتفات إلى اللغة العربية بدعة من البدع؛ ولذلك نرى أن التمسك باللغة العربية، كوسيلة من وسائل التعليم، خير ضمان لتحسن الأحوال من وجهتي نظر اثنين: أولا أن المستوى سيبقى مرتفعا، وثانيا إغلاق الباب على كل الدخلاء فيما يتصل باللغة العربية.

● مع الاهتمام الغربي المتزايد بالعالم العربي الإسلامي.. هل تتوقع أن تنشط دعوات تغريب اللغة العربية كما نشطت أيام الاستعمار مع غيرها من الدعوات الفكرية الهدامة؟

– هناك فرق أرجو أن أبدده أمامكم، وأشكرك على هذا السؤال الدقيق الرقيق، المحرج أيضا، ففي عهد الاستعمار كان الهدف القضاء على حضارتنا، وإبعادنا عما نؤمن به، أما اليوم فلا، فالبشر يتزايدون كل يوم ما شاء الله، وأصبحنا مضطرين إلى أن نلتفت إلى طلبات البشر؛ فلذلك أنا لا أرى أن هناك تشابها بين الأمس واليوم. اليوم كل واحد يفتح عينيه على مستقبل يريده هو لا أنت، يفكر في أن يذهب إلى كندا، يفكر في أن يذهب إلى أميركا ولا وسيلة توصله إلى كندا أو أميركا أو فرنسا أو ألمانيا أو بريطانيا إلا بأن يعرف لغة أخرى. أقول بكل صراحة، إن أمر الشعوب أصبح بيد أبنائها، وأنا لا أستطيع، وأقولها غير خائف، أن أقف في وجه أبنائي وهم يهاجرون إلى البلاد الأخرى، من أجل أن يحسنوا معلوماتهم، ولذلك أصبحنا الآن أمام البحث عن السوق الذي يعيش فيه هذا المواطن، لا يمكن لك أن تقف في وجه ابنك أو حفيدك وهو يسمع عن أن المدرسة الأخرى أحسن من مدرسته، فالوعي اليوم انتشر بطريقة غريبة جدا، نحن نستغرب منها، ولكننا لا نجهل أن بيوتنا أصبحت مغزوة بما تراه في كل مناطق العالم، والأجيال يرون مثل ما ترون، ويبحثون عن مصالحهم أيضا، فلذلك أريد أن أقول إنني أحاول أن أزيل من تفكيرك أن هناك رغبة اليوم في أن تنشط دعوات تغريب اللغة العربية مثلما نشطت أيام الاستعمار.

● وكيف تقيم حال مؤسساتنا التعليمية والمراكز البحثية وما وصلت إليه الآن؟

– هناك مشكل كبير مما طرحت، وهو مشكل معلم العربية، فمعلم العربية بعضه لا يصل إلى المتانة والمناعة اللتين يتمتع بهما المعلم الآخر، وسأعود إلى الموضوع الأول، وهو يتلخص في ضرورة استعانتنا باللغات الكونية، فاللغات الكونية أصبحت من مزاجنا، وأصبحت عملا يمتزج بمكوناتنا. ومن هنا، أنصح بأن علينا إذا أردنا أن نواكب المسيرة العالمية، التي هي آتية لا محالة لا مرد لنا منها، وإذا أردنا أن نواكب هذا العالم، فعلينا أن نأخذ بمعالم الطريق التي سكنها هذا العالم.

● هل أنت متفائل بمستقبل اللغة العربية في ظل العولمة والهيمنة الغربية؟

– طبعا، فمستقبل اللغة العربية مضمون، لكن علينا في الوقت ذاته ألا نتجاهل الآخر، فتجاهل الآخر ورفضه هما المصيبة الكبرى. وقد قمت في الشهور الماضية بزيارة إلى بلاد الخليج، وتحسست أن النشء هناك يميل إلى الانفتاح على العالم الآخر، لماذا؟ لأنه يريد أن يعيش، والعيش يقتضي أن تتحاور مع الآخر، واللغة العربية ستصبح مهددة إذا ظللنا وإذا استمررنا في تجاهل هذا الآخر؛ ولهذا أقول إن اللغة العربية بخير على الإطلاق، لكنني أقول إن على هذه اللغة والمشرفين عليها أن يفتحوا آذانهم وعيونهم على كل ما هو جديد، وإلا فسنعمل على أن يهجرها أبناؤها.

● شغلت دولة الكويت حيزا من وجدانك.. فما سر عشقك لها؟

– عندما كنت سفيرا لبلادي في العراق كانت الكويت قريبة مني، لكن الأكثر والأهم أن الكويت كانت مفتاحي للتعرف على العالم العربي، فمن خلال المؤتمر الرابع للأدباء العرب في الكويت التقيت هناك بطائفة كبيرة من الأدباء والشعراء الذين حضروا إلى الكويت، وكان من بينهم أعلام من مصر، أذكر منهم رئيس مجمع اللغة العربية آنذاك، والدكتورة عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ) وزوجها، فهذه اللقاءات التي تمت في الكويت خلال هذا المؤتمر جعلتني أمتن علاقتي بالعالم العربي، فهناك رحلتان اثنتان كان لهما الفضل في تكوين شخص عبدالهادي التازي، أولاهما رحلة الكويت التي عرفتني بالعالم العربي، ورحلتي الأولى إلى أوروبا التي غيرت – وبكل صراحة – من سيرتي الذاتية التي كانت لي في المغرب. وقد قامت حكومة الكويت بطباعة كتاب لي عن الكويت عبرت من خلاله عن الهمم العظيمة التي يتمتع بها قادة دولة الكويت الذين دفعوا ببلادهم إلى الصفوف الأولى للبلدان العربية.

● أخيرا.. كلمة للمثقفين واللغويين والكتاب العرب فماذا تقول؟

– لابد أن يقوموا بواجباتهم في توجيه الرأي العام حسب ما يقتضيه الضمير والشعور بالمسؤولية.

عبدالهادي التازي.. في ذمة الله

نايف شرار - الكويت

انتقل إلى رحمة الله مساء الخميس ٢ أبريل الماضي بالرباط البروفيسور والمؤرخ المغربي عبدالهادي التازي، عضو أكاديمية المملكة المغربية، عن عمر يناهز ٩٦ عاما.

تقلد الراحل عدة مناصب علمية ودبلوماسية، إذ عين سنة ١٩٤٧م مديرا للمعهد الجامعي للبحث العلمي، وسفيرا للمغرب لدى عدد من البلدان، قبل أن يعين مكلفا بمهمة في الديوان الملكي.

وعين رئيسا للمؤتمر العالمي السادس للأسماء الجغرافية في نيويورك.

وشغل الراحل أيضا عضوية عدد من المجامع العلمية، منها المجمع العلمي العراقي، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة، والمعهد العربي الأرجنتيني، ومؤسسة آل البيت، ومجمع اللغة العربية بالأردن، ومجمع اللغة العربية بدمشق.

كما عين الراحل عضوا في المعهد الإيطالي الإفريقي والشرق، الذي يوجد مقره في العاصمة الإيطالية روما، واختير عضوا في المجلس العلمي لهيئة المعجم التاريخي للغة العربية.

وعمل الراحل أستاذا ومحاضرا في عدد من المعاهد والمدارس العليا والكليات داخل المغرب وخارجه حول تاريخ العلاقات الدولية.

وتم توشيح عبدالهادي التازي قيد حياته بعدد من الأوسمة، منها وسام العرش بالمغرب سنة ١٩٦٣م، ثم الحمالة الكبرى للاستقلال بليبيا سنة ١٩٦٨م، ووسام الرافدين بالعراق سنة ١٩٧٢م، ثم وشح بقلادة الكفاءة الفكرية من الدرجة الممتازة في المغرب سنة ١٩٧٦م، ثم الميدالية الذهبية للأكاديمية سنة ١٩٨٢م.

وفي يوليو ٢٠٠٦م، وبمناسبة ذكرى عيد العرش المجيد، وشح السيد عبدالهادي التازي بوسام العرش من درجة ضابط كبير.

وصدر للراحل العديد من الكتب، عبارة عن تراجم وأبحاث باللغة العربية والإنجليزية والفرنسية.

دور المرأة المسلمة في المجالين الخيري والفكري

د. محمد الحجوي
أكاديمي مغربي

الإسهام في الأعمال الاجتماعية والخيرية والفكرية، وفي كل وجوه البر والإحسان هو مظهر من المظاهر التي قامت عليها المجتمعات الإسلامية منذ القدم، أعمال اشترك فيها الرجال والنساء معا بدون تفاوت، لأن المرأة منذ أن حررها الإسلام من قيود الجهل والتبعية والتخلف الذي عانت منه في العصر الجاهلي، وأعطاها حريتها، وحدد لها حقوقها وواجباتها قد أصبحت مطالبة في الأحكام الشرعية والواجبات الدينية مثل الرجل، فهي تتصرف في أموالها بحرية، وتختار وجوه البر الذي تضع فيه مالها دون تضييق من الرجل، كما تختار الوجوه التي يزدهر بها الفكر والثقافة وعمل الخير والإحسان الذي يكتب لها في سجل أعمالها لتنال به الذكر الطيب في الحياة الدنيا ورضا الله في الحياة الأخرى مثل الرجل.

إن الحرية في صرف المرأة مالها في الوجوه التي تختارها وتحمل المسؤولية الكاملة في أعمالها واختياراتها يعطيها الأهلية في أن تكون عضوا فعالا في المجتمع، في كل المجالات الاجتماعية والفكرية التي أباحها لها الإسلام، ومنها وجوه البر والإحسان والإسهام في تنمية المجتمع، بالقدر الذي يمكنها من ذلك. وقد قامت المرأة المسلمة منذ بدء الدعوة الإسلامية بدورها الريادي في جميع المجالات التي يكلف بها الرجل، بدءا من نشر العقيدة السمحة من تعاليم الكتاب والسنة إلى التدريس والتأليف في العلوم الدينية والأدبية والعلمية، والقيام بالأنشطة الثقافية والاجتماعية والعمرانية، والمشاركة في القرارات السياسية وتدبير شؤون الدولة، والجهاد في سبيل الله، وتقديم العون للمجاهدين وأبناء السبيل، وممارسات الأعمال في التجارة والتدبير والشأن الاقتصادي. وكانت جهود المرأة المسلمة بارزة في كل بلاد الإسلام في المشرق والغرب الإسلامي، وفي كل أرض انتشر فيها الإسلام، إذ لم تتخلف عن القيام بواجبها الديني والعلمي والاجتماعي والفكري والثقافي والجهادي في أي مرحلة من مراحل التاريخ الإسلامي، باستثناء مرحلة الاستعمار التي عمل فيها على نشر الجهل والتخلف، ولم يقتصر ذلك على المرأة وحدها، بل شمل الرجل أيضا، لأن المخطط الاستعماري كان يهدف إلى القضاء على الإسلام دينا وفكرا وثقافة وحضارة، وطمس معالم الإسلام عقيدة وتاريخا وفكرا، ونهب خيرات بلاد الإسلام، واستعباد المسلمين بكل الوسائل والطرق، ليصبحوا خدما للغرب على المدى البعيد، فلذلك كان الاستعمار، ومازالت أفكاره حتى في عصرنا الحاضر تسير في هذا الاتجاه، لكيلا يستطيع العالم الإسلامي تحقيق نهضة صناعية وتقنية تجعله يتخلص من التبعية له.. إنه مخطط بغيض يحرص على تطبيقه بجميع السبل، ويجند له من كل دولة أتباعا يؤمنون بفكره، ويعملون على نشره.

وإذا كانت هذه المرحلة التاريخية تعد من أشد المراحل سوداوية في تاريخ الأمة الإسلامية، لأنها عملت على تأخير الأمة الإسلامية، والرجوع بها إلى قرون التخلف، فإن مرحلة ازدهار النهضة الإسلامية التي بدأت بعدما تخلصت فيها المجتمعات الإسلامية من الاستعمار عرفت فيها المرأة المسلمة مشاركة في هذه الصحوة والنهضة الإسلامية التي تبشر بالخير لهذه الأمة، فقد فتح لها المجال على مصراعيه، لكي تتعلم وتشارك في كل ميدان يمكن أن يسهم في تنمية المجتمع وتقدمه في جانب العمران والبناء والتخطيط، وفي نشر الفكر والعلوم الدينية والأدبية والعقلية بالتدريس والتأليف والمناظرات والبحث العلمي في الجامعات ومراكز البحوث، وفي المشاركة في المجالات التي كان الرجل مهيمنا عليها، ولاسيما الميدان الصناعي والتقني والتجاري.

ونذكر بعض هؤلاء النساء اللواتي برزن في هذه الميادين الثقافية والخيرية، وأصبحن رموزا للفضيلة

وعمل الخير في العالم الإسلامي، ومنهن:

● البهاء بنت الأمير عبدالرحمن بن الحكم بن هشام بن عبدالرحمن بن معاوية، توفيت سنة ٣٠٥هـ. كانت هذه المرأة الفاضلة عالمة زاهدة عابدة، وشديدة الرغبة في فعل الخير بالمال والفعل الحسن في المجتمع، وقضت فترة من حياتها في خدمة كتاب الله بنسخه بخط جيد وبارع، مراعية في ذلك خط رسم حروف القرآن الكريم. قال ابن عبدالملك المراكشي: «وكانت تكتب المصاحف وتحبسها» (١).

- فاطمة بنت محمد الفهري القيرواني المتوفاة سنة ٢٤٥هـ. هذه المرأة الفاضلة المحبة للخير والعلم، هي التي بنت «جامع القرويين» الشهير بمدينة فاس، وقد أصبح هذا الجامع من أكبر الجامعات الإسلامية في عصر ازدهار الحضارة الإسلامية في الغرب الإسلامي، وتخرج منه علماء وفقهاء ورجال دولة كان لهم الأثر الكبير في نشر الثقافة والفكر، والحفاظ على المذهب المالكي، ونشر الإسلام في جنوب الصحراء، حيث كان المغرب البوابة التي انطلق منها الإشعاع الديني والعلمي إلى أعماق إفريقيا، عن طريق هؤلاء العلماء، وعن طريق التجار (٢). وما زال هذا الجامع إلى عصرنا الحاضر يقوم بدوره العلمي.

- السيدة جليلة طوسون: أوقفت هذه المرأة في مصر عائد ١٣٨ فدانا ليصرف على تربية وتعليم الفتيات اليتيمات، وقد نصت في وقفيتها على تكوينهن في العلوم الدينية والشرعية، وتعليمهن مبادئ الحساب والقراءة، وفنون الطبخ والخياطة، وكل ما يناسب الفتيات (٣).

وهذا الموقف الذي سلكته هذه المرأة الفاضلة يدل على ما بلغت إليه المرأة المسلمة من نضج فكري، ووعي بمرحلة التخلف والجهل التي يجتازها العالم الإسلامي، فجعلها تفكر في التعليم والتربية، باعتبارهما البوابتين لكل تقدم وازدهار للأمم، ولا غرابة في ذلك، فالحضارة الإسلامية تأسست منذ بدايتها على العلم الذي أبدع فيه المسلمون في الجانب النظري والتطبيقي، وتركوا مؤلفات غزيرة في العلوم الدينية والأدبية والعقلية، وبخاصة الرياضيات والهندسة والطب وعلم التنجيم والفلاحة، ومن هذه العلوم أسس الغرب حضارته التي ينعم بها في عصرنا الحاضر.

وكذلك نهجت هذا النهج الأميرة فاطمة ابنة الخديوي إسماعيل، إذ خصصت مالا ضخما في وقفيتها لدعم التعليم المدني والتعليم العسكري (٤). حيث شعرت بأن الوجهين في التعليم مكملان للنهضة الإسلامية الشاملة التي كان يرتقبها العالم الإسلامي، لاسيما في تلك المرحلة التي كان يتهيأ فيها للدخول في الحداثة فكريا وعسكريا وتقنيا وصناعيا.

ويبلغ هذا النضج الفكري أسماه في عمل الأميرة فاطمة هانم أفندي إسماعيل التي أوقفت مجوهراتها الثمينة من أجل تشييد مباني الجامعة الأهلية بمصر في مرحلة كان فيها التعليم الجامعي في العالم الإسلامي محصورا على فئة قليلة جدا (٥).

ومعروف أن هذه الجامعة كان لها دور بارز في خلق النهضة الفكرية والعلمية بمصر بمناهج حديثة مثل الجامعات الغربية في المرحلة التي

بدأت فيها مصر تتطلع إلى التعليم الجامعي الحديث، وقد خرجت مجموعة كبيرة من الباحثين والأدباء هم الذين أسهموا في تطوير البحث العلمي في الجامعات المصرية والعربية.

ومن النساء من أوقفن أموالهن لتزويج الفتيات الفقيرات واليتيمات، وتقديم العون لهن ليتعلمن مهنة تحفظ كرامتهن، وكل هذا كان يسهم في استقرار المجتمع، ونشر الفضيلة والخير فيه، إذ صيانة الفتيات لاسيما اللواتي ليس لهن من يعولهن ويحميهن من مخالب الفقر وقسوة الزمان يعد من أسمى الفضائل الدينية والإنسانية والأخلاقية، فالمرأة الصالحة المتعلمة ركن أساسي في تقدم المجتمعات واستقرارها، فهي المربية والمعلمة للأجيال.

كذلك نجد من هؤلاء النساء الفاضلات من اشترطن في وقفيتهن إرسال الطلبة إلى الخارج لإكمال تعليمهم العالي في العلوم الحديثة التي تقدمت فيها أوروبا في القرن التاسع عشر، وكان العالم الإسلامي آنذاك في حاجة إليها ليستكمل نهضته العلمية والتقنية، لاسيما علوم الطب والهندسة المدنية والعسكرية، وعلوم التجارة والاقتصاد.

هذه الوجوه من العمل في مجال الخير والإحسان، وفي مجالات ثقافية وتربوية تبين أن المرأة المسلمة كانت واعية بدور الوقف في النهوض بالمجتمع الإسلامي من الناحية الثقافية والفكرية والعمرانية والاجتماعية، وفي حفظه من الاضطرابات والفتن التي تنشأ جراء انتشار الفقر والتخلف والجهل؛ كما كان وعيهن عميقا بما يمكن أن تقوم به الفتاة المتعلمة في المجتمع بمشاركتها الفعالة في النهضة المرتقبة، ولذلك وجدنا من يشترطن في وقفيتهن تعليم الفتاة فقط شعورا منهن بأثر التعليم في توجيه الفتيات للإسهام في النهضة الحديثة.

والمجتمعات المتقدمة لم تحقق نهضتها الشاملة في جميع الميادين إلا بإشراك المرأة وجعلها عنصرا فعالا في المجتمع، هذا بالإضافة إلى أن تعليم المرأة يساعدها في تربية النشء تربية سليمة، والأسرة تعد النواة الأولى للمجتمع، فمنها يبدأ الإصلاح والتوجيه والتكوين، فإذا صلحت المرأة صلح المجتمع، والعكس صحيح.

إن التعليم الهادف، والتربية المنتظمة، وجعل التعاليم الدينية أساسا في التعليم والتربية، يصون أخلاق المرأة، ويحفظها من الضياع والتشرد في الحالات التي لا تجد فيها معينا من الأسرة والزوج والمجتمع. إن تعلمها الهادف والموجه، وتربيتها الدينية والخلقية، يدفعها إلى سلوك طريق الفضائل والمثل العليا بالبحث عن العمل الذي يصون كرامتها، ولا يجعلها مبتذلة وسلعة رخيصة في المجتمع تباع مثل البضائع، وتهان عند أصحاب النفوس الدنيئة. وهذه الأعمال ليست غريبة على المجتمع الإسلامي الذي حرر المرأة من قيود الجهل والتخلف، ووضعها في مرتبة رفيعة، فقد كانت في عصور ازدهار الحضارة الإسلامية حاضرة في حلقات العلم والتدريس والتأليف والمناظرات العلمية، ومشاركة في المشروعات الاجتماعية والعمرانية، ومربية في بيتها وفي قصور الخلفاء والأمراء، وطبيبة ومعالجة في زمن السلم والحرب، ومجاهدة في سبيل الله، حينما تتعرض ديار الإسلام للاعتداء؛ والكثير من الرجال العظام في تاريخ الإسلام نشأوا في حضن امرأة، علمتهم وحرصت على تكوينهم، بعدما فقدوا آباءهم وهم صغار، والفقيه العالم الإمام الشافعي خير دليل على ما قامت به المرأة المسلمة في تربية الأبناء تربية صالحة وموجهة للفضائل بعد فقد الأب، فقد نشأ يتيما ورعته أمه حتى أصبح من أفذاذ الرجال في تاريخ الفكر الإسلامي.

والعالم الإسلامي في المرحلة الراهنة، وفي صحوته المباركة، قد أعاد المكانة للمرأة في المجتمع على جميع المستويات، فهي تتعلم في الجامعات، وتلج التخصصات الدقيقة، وتسهم في التنمية الشاملة بالعمل في جميع الميادين، ولو كانت شاقة ومختصة بالرجال. ولا ريب أن هذه الخطوات مبشرة بخير عميم لهذه الأمة التي ينبغي أن تحفظ المرأة وتصون كرامتها وتعطيها المكانة اللائقة بها، ولا نشك في أنها قادرة على أن يكون لها موقف بارز في دفع كل الجهات المسؤولة في الدولة إلى النهج القويم ومسلك الخير والفضيلة، مثلما فعلت المرأة قديما في الشرق والغرب الإسلامي.

الهوامش

١- الذيل والتكملة، السفر الثامن، القسم الثاني، ص٤٨٤.

٢ - هذه المرأة اشتهرت شهرة كبيرة في الغرب الإسلامي والمشرق.

٣- انظر «أوقاف النساء. نماذج لمشاركة المرأة في النهضة الحضارية. دراسة الحالة المصرية في النصف الأول من القرن العشرين، ريهام أحمد خفاجي. «أوقاف»، عدد ٤، سنة ٢٠٠٣م.

٤- المرجع السابق.

٥- المرجع السابق.

مبدأ حفظ النسل في الإسلام

يوسف القسطاسي
كاتب دراسات إسلامية

إن موضوع تكثير النسل والإنجاب واحد من المواضيع التي شغلت حيزا مهما في كتابات ومؤلفات العلماء، قديما وحديثا، واستحوذ على أذهان الناس مختلف المستويات، لارتباطه الوثيق بالحياة الزوجية واستقرار الأسرة المسلمة.
ورغبة مني في خدمة قضية من قضايا الأسرة المسلمة ونشر المعرفة وتلبية حاجيات المسلمين في ما يخص مسألة الإنجاب والنسل وفهم مقصده وبيان مفهوم تكثيره وضابط استعمال وسائل تنظيمه، يأتي هذا المقال لتوضيح مفهوم الكثرة التي دعا إليها الإسلام في تنظيم النسل، والغاية من الحث عليه، وضوابط تنظيمه مراعاة لمبدأ حفظه.

أودع الله عزوجل في الإنسان حب الذرية استبقاء لأثره من بعده ومددا له وسندا، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾ (آل عمران:١٤) وقال عز من قائل ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وقد دعا رسول الله ﷺ إلى تكثير النسل فقال: «تناكحوا تناسلوا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة».

والشريعة حثت على رعاية النسل حين دعت إلى تكثيره كثرة نوعية، لا كثرة غثائية، مقصودها نسلا قويا طيبا جديرا بأمانة الاستخلاف في الأرض وعمارتها، وفق مراد الله عزوجل، لهذا نجد نبي الله سيدنا زكريا عليه السلام دعا الله أن يرزقه ذرية طيبة فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (آل عمران:٣٨)، فلما جاءته البشارة بسيدنا يحيى عليه السلام وصفته بما تقر به عينه ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾.

إن تكثير سواد الأمة وإن كان مقصدا شرعيا مرغوبا فيه إلا أن الشريعة إحاطته بشروط تضبطه، فهي لا تقصد إلى كثرة غثائية، بل إلى نسل قوي مؤمن يسعى إلى مرضاة ربه وخدمة أمته وحسن عمارة الأرض. يقول الشيخ شلتوت: إن الشريعة في الوقت الذي حثت فيه على كثرة النسل إنماء للأمة وتكوينها لقوتها قضت بصيانة هذه الكثرة من الضعف ومن أن تكون غثاء كغثاء السيل: وإلى هذا تشير الكثير من الآيات القرآنية، فقد جاء في صفات عباد الرحمن أنهم يطلبون من الذرية ما تقر به أعينهم ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان :٧٤) يقول ابن عاشور: إنها جامعة للكمال في الدين واستقامة الأحوال في الحياة، إذ لا تقر عيون المؤمنين إلا بأزواج وأبناء مؤمنين، فمن أجل ذلك جعل دعاؤهم هذا من أسباب جزائهم بالجنة، وإن كان فيه حظ لنفوسهم بقرّة أعينهم.

فما هو السبيل إذن إلى تلك الكثرة القوية؟

الضوابط

إن تكثير النسل مقصد شرعي من النكاح كما سبق بيانه ولكن تحقيق ذلك المقصد يقتضي إدراك حقيقته، حتى لا تؤخذ دعوى تكثير النسل عند قاصري الفهم كدعوة إلى تكاثر أرنبي يترتب عليه استقالة الأسرة من مسؤولياتها تجاه الذرية. فجاءت أحكام الأسرة مبينة أن الكثرة المقصودة شرعا يجب أن تضبط بضابطين اثنين:

الضابط الأول: تنظيم النسل.

الضابط الثاني: رعايته وتنميته

ـــــــلام .. وضوابط تنظيمه

وحسن تربيته.

تنظيم النسل

إن قضية تنظيم النسل تحيل إلى ما ظهر في القرن الماضي من دعوات إلى تحديده، خصوصا بعد ظهور نظرية مالتوس في السكان التي أشارت إلى أن: عدد السكان يتزايد كل ٢٥ سنة بنسبة متوالية هندسية (١-٢-٤-٨-١٦-٣٢-٦٤) ومقومات العيش لا يمكن زيادتها في نفس المدة (أي ٢٥ سنة) إلا بنسبة متوالة عددية (١-٢-٣-٤-٥-٦-٧) فعدم التوازن بين الزيادة السكانية والموارد الغذائية سيؤدي إلى خلل ونقص في مقومات العيش، مما يقتضى عدة إجراءات مانعة من هذه الكارثة منها: ١- تأجيل الزواج حتى يتوافر له الرزق ما يسمح له بتكوين أسرة.

منع الحمل

وقد كان لهذه النظرية تأثير كبير على البنية الاجتماعية الأوروبية، وخاصة مؤسسة الأسرة، فتم العزوف عن الزواج، وخرجت المرأة إلى العمل، وتكرست النظرة الأنانية والمادية داخل الأسرة والمجتمع. كما أن كثيرا من مثقفينا تأثروا بهذه الدعوى، فبدأوا يروجون لها، ولا يخفى ما في تحديد النسل من تناقض مع صريح الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

وقد ذكرنا بهذه النظرية حتى نميز تحديد النسل عن تنظيمه فتحديد النسل كما بينت بواعثه ومقاصده لا يمكن أن تقصده أمة تريد البقاء لنفسها.. كما أن المائدة التي أعدها الله لعباده في ظاهر الأرض وباطنها لا يمكن أن تضيق عن حاجتهم وحاجة نسلهم مهما أكثروا ومهما عاشوا، وإنما المشكلة في كيفية توزيع خيرات الأرض على ساكنيها..

أما تنظيم النسل فمطلب ضروري لإعداد ذرية قوية، فهو تحكم مؤقت في الإنجاب بقصد المباعدة بين فترات الحمل أو إيقافه لمدة معينة من الزمان اذا دعت إليه حاجة معتبرة شرعا. فتنظيم النسل بهذا المعنى قد تعرضت له الأحاديث النبوية، وعالجه الفقهاء في باب العزل. وقد صحح الإمام الغزالي المذهب القائل بالإباحة مستدلا بالأحاديث الواردة في إباحة ذلك، ومنها ما روي عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ سئل عن العزل فقال:» اصنعوا ما بدا لكم فما قضى الله تعالى فهو كائن، وليس من كل الماء يكون الولد « وكثير من الأحاديث وردت في الإباحة ترجح هذا القول، وهو الذي اتفقت عليه المذاهب الأربعة.

وقد نفى الغزالي حكم كراهية التحريم والتنزيه عن العزل لأن إثبات النهي إنما يكون بنص أو قياس على منصوص ولا نص ولا أصل يقاس عليه، بل هنا نص يقاس عليه وهو ترك النكاح أصلا، أو ترك الجماع بعد النكاح، أو ترك الإنزال

بعد الإيلاج، فكل ذلك ترك الأفضل وليس بارتكاب نهي، ولا فرق إذ الولد يتكون بوقوع في الرحم وله أربعة أسباب: النكاح، ثم الوقاع، ثم الصبر إلى الإنزال بعد الجماع، ثم الوقوف لينصب المني في الرحم. وبعض هذه الأسباب أقرب من بعض، فالامتناع عن الرابع كالامتناع عن الثالث، وكذا الثالث كالثاني، والثاني كالأول، وليس هذا كالإجهاض والوأد، لأن ذلك جناية على موجود حاصل.

وفيما يلي بعض البواعث الدافعة إلى تنظيم النسل ومدى اعتبارها شرعا:

١- منع الحمل المؤقت لأجل الإرضاع:

إن تمكين الأم من إرضاع ابنها رضاعا كاملا مستحسن شرعا، يقول تعالى ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ (البقرة: ٢٣٣)، فالأم المرضع إن حملت فسد لبنها، وكان لذلك أثر سيئ على صحة الطفل، وهو ما يسمى لبن الغيل، فعن أسماء بنت يزيد بن السكن رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تقتلوا أولادكم سرا، فإن الغيل يدرك الفارس فيدعثره عن فرسه». يقول الشيخ شلتوت معلقا على هذا الحديث « دعثر الحوض إذا هدمه، والغيل الإرضاع في زمن الحمل، فالطفل الذي يرضع لبن الحامل تضعف قوته ويحمل عنصر الضعف، حتى إذا ما بلغ مبلغ الرجال ضعف عن مقاومة نظيره في الحرب وانكسر بسبب ذلك. وقال العلماء: إن لبن الحامل فيه داء يعوق نمو الطفل ويذهب بنضرته، ونحن نشاهد في حالات كثيرة صحة ما قاله العلماء، نشاهد ذبولا واضمحلالا وضيق خلق وإشرافا على الهلاك، في الأطفال الذين يسوء حظهم فيدركهم الحمل وهم في زمن الرضاع. وليس كل والد يستطيع أن يستأجر المراضع الخالية من الحمل ليتم لابنه الرضاعة، إنما الذي يستطيع ذلك أفراد قلائل في الأمة من ذوي البسطة واليسار ومثل هؤلاء لا يحكمون على المجموع كما أن في هذه المدة التي يمنع فيها الحمل مستراحا للأم حتى تستعيد ما فقدته من قوة بسبب الحمل، وتتفرغ لحق ولدها عليها من الرعاية والحضانة..

٢- منع الحمل تحرزا من نسل مريض:

وذلك عندما يكون أحد الزوجين أو هما معا مصابا بداء عضال فيغلب الظن على انتقاله إلى الذرية دفعا للضرر الذي قد يصيبها، فالضرر مدفوع بقدر الإمكان، إذ حاجة الأمة كائنة في نسل قوي صالح.

وقد يقال إن في هذا المنع تعطيلا وقطعا للذرية، فيجاب بأنه تعطيل جزئي يدفع ضررا أكبر من المصلحة المترتبة على عدم التعطيل، لا سيما اذا كان النسل المرجو نسلا مريضا بأمراض خبيثة مزمنة. يقول الشيخ الشرباصي في تعليل هذا الترجيح المصلحي: «إن كل ما يترتب على تعقيم بعض أفراد الناس هو تقليل بني الإنسان، فلو كان الذي يفوت بسبب عدم الولادة نسلا صالحا، فهذا لقلته لا يكاد يشعر به والنوع بدونه باق، فما بالك إذا كان الذي يفوت بسببه التعقيم هو نسل رديء مصاب بعاهات نفسية أو عقلية أو جسمية؟ أليس في هذا الصنيع خير للنوع الإنساني بسلامة أفراده بالقدر المستطاع» (١١).

٣- الحرص على سلامة الزوجة وصحتها:

إذا كانت الزوجة مريضة، أو ثبت أن مرضها يزيد بالحمل، أو يتأخر شفاؤها (١٢)، فهنا يكون درء المفسدة المحققة التي تصيب الزوجة من الحمل أو الوضع أولى من جلب المصلحة المرجوة وهي الولد.

٤- الضعف المادي للأسرة:

فمن شأن العزل أن يسد ذرائع يكون أخطرها تورط الأب في الشبهات لإعالة أسرته، وهذا ما عبر عنه الغزالي بقوله: «الخوف من كثرة الحرج بسبب كثرة الأولاد، والاحتراز من الحاجة إلى التعب في الكسب ودخول مداخل السوء. وهذا أيضا غير منهي عنه، فإن قلة الحرج معينة على الدين» (١٣).

بل إن الشافعي انفرد بتفسير لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟﴾ (النساء:٣)، فقال: «﴿أَلَّا تَعُولُوا۟﴾ أي لا تكثروا عيالكم» (١٤)، فدل تفسيره على أن قلة العيال أولى. ولكن ابن القيم رد تفسيره هذا بما ورد عن جمهور المفسرين من السلف والخلف، فقال: «معنى الآية: ذلك أدنى ألا تجوروا ولا تميلوا، فإنه يقال: عال الرجل يعول إذا مال وجار، ومنه عول الفرائض لأن سهامها زادت..» (١٥).

كما أنه لم يثبت في النهي عن تنظيم النسل خوفا من كثرة الحرج وقياما بحق الأولاد حق القيام دليل صريح، فيكون من باب المباح. بل إن عدة آثار تشير إلى الحرج الذي تسببه الكثرة مع الفقر، فقد روي عن ابن عمر رضي الله عنه قوله: جهد البلاء كثرة العيال مع قلة الشيء (١٦)، كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: «كثرة العيال أحد الفقرين، وقلة العيال أحد اليسارين» (١٧).

والنظر المقاصدي يوجهنا إلى تمييز نظرتين حول تكثير النسل: أولاهما نظرة إلى مصلحة الأمة والتي تتجلى في كثرة قوية، يقول محمد

شلتوت: «وأن الولد لم يكن حقا لوالديه إلا بمقدار ما يهيئانه لخدمة الأمة والقيام بنصيبه فيها» (١٨)، وثانيتهما نظرة إلى واقع كل أسرة، تقدر فيه حسب استطاعتها وقدرتها كيفية تنظيم نسلها ورعايته.

حفظ النسل

تعتبر رعاية النسل وحسن تربيته ضابطا مهما لتكثيره. فلئن كان الزوجان مدعوين استحبابا إلى تكثير الذرية، فإن من واجباتهما تربيتها ورعايتها والقيام بحقوقها.

فقد حمل الشرع الأبوين مسؤولية رعاية فطرة الطفل وتنميتها وحمايتها من الانحراف العقدي والأخلاقي، قال ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء» (١٩).

كما يصور القرآن حرص الوالدين المؤمنين على إيمان ولدهما الكافر، حيث يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ (الأحقاف:١٧).

إن مسؤولية الأسرة تجاه أبنائها تقتضي رعايتهم بدنيا، فالضعف الذي تمقته الشريعة لا يقتصر على الجانب الإيماني والخلقي فحسب، بل يتعداه إلى الجانب البدني أيضا. فرخصت للمرأة الحامل والمرضع في الإفطار إذا خافتا على ولديهما، ونهت - كما سبقت الإشارة إلى ذلك - عن إرضاع الولد لبن الغيل لما له من تأثير على سلامة الرضيع البدنية، وحفظت حقوق الطفل من إرضاع وإطعام وكسوة وتعليم، يقول تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة:٢٣٣).

وقد التفتت مدونة الأسرة المغربية إلى هذا الضابط في المادة ٥٤ والتي جاء فيها: «للأطفال على أبويهم الحقوق التالية:

- حماية حياتهم وصحتهم منذ الحمل إلى حين بلوغ سن الرشد.
- العمل على تثبيت هويتهم والحفاظ عليها، خاصة بالنسبة للاسم والجنسية والتسجيل في الحالة المدنية.
- النسب والحضانة والنفقة طبقا لأحكام الكتاب الثالث من المدونة.
- اتخاذ كل التدابير الممكنة للنمو الطبيعي للأطفال بالحفاظ على سلامتهم الجسدية والنفسية والعناية بصحتهم وقاية وعلاجا.
- التوجيه الديني والتربية على السلوك القويم وقيم النبل المؤدية إلى الصدق في القول والعمل، واجتناب العنف المفضي إلى الإضرار الجسدي والمعنوي، والحرص على الوقاية من كل استغلال يضر بمصالح الطفل.
- التعليم والتكوين الذي يؤهلهم للحياة العلمية وللعضوية النافعة في المجتمع، وعلى الآباء أن يهيئوا لأولادهم قدر المستطاع الظروف الملائمة لمتابعة دراستهم حسب استعدادهم الفكري والبدني».

الهوامش

١- كشف الخفاء، ١/ ٣٨٠ - مصنف عبدالرازق، ٦/ ١٧٣.
٢- الإسلام عقيدة وشريعة، ص٢٠٩.
٣- التحرير والتنوير، ١٩/ ٨١.
٤- ينظر بتفصيل: قراءة إسلامية لنظرية مالتوس: د. زينب صالح الأحوش، مجلة المسلم المعاصر، عدد: ٧٣-٧٤، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٤م- ١٩٩٥م، ص: ٣١-٣٢.
٥- الفتاوى، دراسة لمشكلات المسلم المعاصر في حياته اليومية لعامة، لمحمود شلتوت، ص: ٢٥٣-٢٥٤.
٦- مسند أحمد، رقم: ١١٤٥٦، ٣/ ٤٧.
٧- الفقه الإسلامي وأدلته، وهبة الزحيلي، ٩/ ٣٣٢.
٨- إحياء علوم الدين، ٢/ ٥٨.
٩- سنن أبي داود، كتاب الطب، باب: في الغيل، رقم: ٣٨٨١، ٤/ ٩.
١٠- الإسلام عقيدة وشريعة، ص: ٢١٠.
١١- الدين وتنظيم النسل، ص: ٨٩.
١٢- الدين وتنظيم النسل، ص: ٥٠-٥١.
١٣- إحياء علوم الدين، ٢/ ٥٨.
١٤- تحفة المودود بأحكام المولود، ص: ١٥.
١٥- تحفة المودود، ص: ١٧.
١٦- الفردوس بمأثور الخطاب، ٢/ ١١٠، كشف الخفاء، لإسماعيل ابن محمد العجلوني (ت: ١١٦٢هـ)، ١/ ٤٠٢، وقد نسب العلجوني رواية هذا الأثر إلى الحاكم في تاريخه.
١٧- كشف الخفاء، ١/ ٤٠٢.
١٨- الإسلام عقيدة وشريعة، ص:٢٠٧.
١٩- صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام، رقم: ١٢٩٢، ١/ ٤٥٦.

عبدالمجيد فرغلي.. رحلة عطاء

عماد الدين فرغلي
محامي بالنقض والدستورية العليا - مصر

ولد الشاعر عبدالمجيد فرغلي في قرية النخيلة بمحافظة أسيوط مصر، في الرابع عشر من يناير عام ١٩٣٢ ميلادية. وبعد رحلة عطاء ضمت ٢٣ عنوانا في مكتبة الشعر العربي، رحل عن عالمنا في الثالث من ديسمبر عام ٢٠٠٩ ميلادية.

عمل فرغلي في التدريس للمرحلة الابتدائية من عام ١٩٥٢م وحتى عام ١٩٧٧م، ثم أعير للعمل بالتدريس في الجماهيرية الليبية في مدرسة المجاهد الابتدائية ببنغازي من عام ١٩٧٣م وحتى عام ١٩٧٧م، وأخيرا عمل مفتشا للتحقيقات في التربية والتعليم من عام ١٩٧٨م حتى عام ١٩٩٢م.

من مؤلفاته الشعرية المودعة بدار الكتب والوثائق القومية في مصر:

يقظة من رقاد (عام ١٩٥٥م)، العملاق الثائر (عام ١٩٥٩م)، ديوان أشواق (إصدار الهيئة العامة لقصور الثقافة في يونيو عام ٢٠٠٠م)، ملحمة الخليل إبراهيم (في أربعة عشر جزءا تم إيداع أحد عشر جزءا في دار الكتاب)، ملحمة السيرة الهلالية، ديوان عودة إلى الله، ديوان مسافر في بحر عينين.. وغيرها من الأعمال.

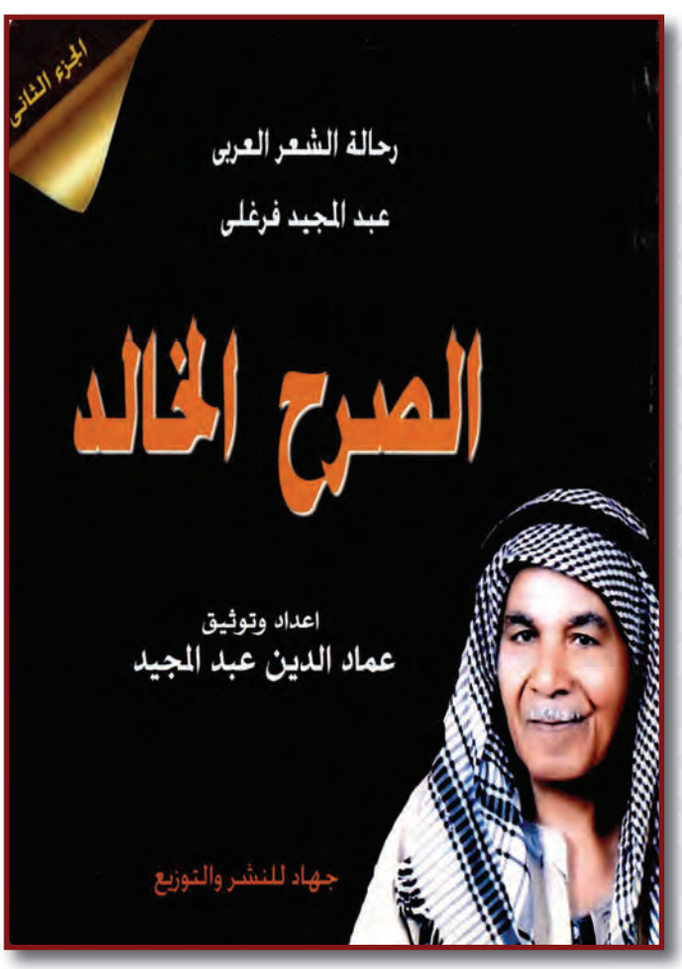

وقد عارض الشاعر عبدالمجيد فرغلي كلا من أبي نواس في ديوان كامل (وقد كان موضع بحث في عدة رسائل)، وأبي تمام والمتنبي وابن الرومي، والشاعر الأندلسي بن حمديس، والإمام البوصيري في همزيته وميميته، وأمير الشعراء أحمد شوقي في قصائد «نهج البردة - ولد الهدى - سلوا قلبي».. وغيرهم.

كما تطرق الشاعر إلى عدة بحوث، فكتب عن الشاعر محمود حسن إسماعيل (شاعر الكوخ)، وكتب بحثا عن المرأة في أدب العقاد، وكتب جريمة الزنا في القانون الوضعي والشرائع السماوية.. دراسة مقارنة.

وقفات بين إبداعه

في قصيدته «حامل المصباح» عن المعلم:

حييت فيك كفاحك المبذولا
وعرفت منه بلاءك المجهولا
خلى المعلم يا رسول شمائل
لك في الشعوب يد البناء الأولى
أخلاق أجيال الورى قومتها
عقلا وروحا: بل هوى وميولا

وقال تقديما لملحمته «نداء من القدس»، التي عارض فيها الشاعر علي محمود طه في قصيدته «فلسطين» التي قيلت عام ١٩٤٨م بملحمة شعرية عدد أبياتها ألفان وخمسمئة وثمانون بيتا شعريا:

تحرك صلاح فحطين أخرى
تناديك والسابقين افتدا
وقدسك بين شباك العداة
أسنوا الشفار لها والمدى

وقال مستبشرا بالنصر في المقطع ٥١ من الملحمة ذاتها:

سنسحقهم بيد من فداء
تدمر أطماعهم مقصدا
سنمضي إلى النصر مستبسلين
ولن نترك الجمر أن يبردا

وقال للأم في عيدها:

رفعنا عن محياها الستارا
وأقبلنا نقيم لها الشعارا
وقد جلست على كرسي مجد
تطل على الورى تهب النهارا

وأحب الشاعر عبدالمجيد فرغلي مصر فكانت ملحمته «مسافر في بحر عينين».. يكتشف القارئ في آخر بيت فيها أنه يعشق مصر. ومن ضمن ما جاء فيها قال:

لا تقل كانت ولا كان الهوى
عشق القلب وما كان غوى
قال لي الحب ترنم وكفى
أن ترى النجم سموا ما هو
آية الحسن جمال ساحر
يخلب الروح ويشفي من جوى

كما كتب محبا للخلفاء الراشدين، فقال في ملحمة أبي بكر رضي الله عنه:

ما لي و«دع عنك لومي» تلك معصاء
لي في أبي بكر الصديق عصماء
قصيدة في فم الأيام أبعثها
وباعث الشوق هل تخفيه حوباء؟

وقال عن طباعه في الملحمة ذاتها:

رقيق طبع رضي الخلق شيمته
عادى الأشاجع فوق الوجه إنتاء
وللرزانة في خلائقه
لين وليس به للنفس أهواء

وفي ملحمته عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:

وسائلي عن أبي حفص يسائلني
من أمه؟ من أبوه؟ آله الغرر
الأم «حنتمة» جد «مغيرتها»
ومن عُدي أبوه فهو مؤتصر
وجده الثامن المدعو «مرة» قد
كان النبي إليه المنتمى ذكروا
في عشرة من بطون جمعت أسر
منهم عدي ومخزوم لهم حصروا

وقال عن سديد رأيه:

وكان من عمر رأي يضيء سنى
كم ذا يؤيده القرآن والسور
قد قال في من غدوا أسرى مقولته
أئمة الكفر فاقتلهم فلا عذر

وفي ملحمته عن ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه قال:

راوي الزمان نشدت الحق وجدانا
أعر سمعك لي أوليت تبيانا
لثالث الخلفاء الراشدين رنا
وقال إنك «ذو النورين» أردانا
آمنت بالله إيمانا بقدرته
وأنه خلق الأمشاج إنسانا

وقال واصفا عطاءه في الإسلام في توسعة الحرمين المكي والنبوي:

وحينما رام أرضا في مدينته
لمسجد قال يا عثمان لو كانا
وكان أدرك ما يبغي الرسول له
فراح يشري لأرض بيعها آنا
ووسع المرجو توسعة
تحوي المصلين بنيانا وعمرانا

وكتب ملحمة أسد الله الغالب علي بن أبي طالب رضي الله عنه قائلا:

أتوق لآل البيت والشوق يعرب
وحبي لهم ورد لما عنه أغرب
هم القيمة العلياء من آل هاشم
فمطلب جد أبو طالب أب
أخص عليا والحسين وزينبا
وفاطمة أمه لها البيت ينسب
وما الحسن الأسنى مكانا بركنه
بناسيه مثلي إذ لهم أتقرب

قال عنه الدكتور الطاهر مكي:

«رأيت الشاعر من الصعيد، وأنا صعيدي متأصل، وأحمد الله كثيرا على أن هذا الشاعر الصعيدي، الذي سوف أقرأ عمله وأتناوله، جاء في القمة – على الأقل – في مذهبي ومنهجي».

«وحين قرأت هذا الديوان وجدت صاحبه لا يغني لنفسه، وإنما يغني لقومه، ومن هنا فهو يعنينا بقدر ما يغني لقومه، ومن هنا فهو يعنينا بقدر ما يعني أي إنسان آخر».

«أما هذا الشعر حينما قرأته وجدت فيه ما أبحث عنه، وجدت الشاعر تناول كل قضايا عصره، سياسية، واجتماعية، ووطنية، وإنسانية، وتحدث عن هموم مصر وفلسطين، وشغلت فلسطين حيزا كبير من هذا الديوان، وتحدث عن العراق، وعن سوريا، وعن الوحدة، وعن الانفصال، وليس حديثا، مباشرا، وليس ثرثرة، وإنما وقائع وتاريخ يقدمه بصورة فنية، فقلت في نفسي إذن نحن أمام شاعر حقيقي».

إعداد : خالد خلاوي

حوارات:

أصغر شاب يحصل على الدكتوراه: نصيحتي إتقان الإصرار والتحدي

تعرض في مسيرته القصيرة إلى عقبتين كانتا كفيلتين بأن تدخلاه في دوامة الإحباط والاكتئاب، وهما ضياع حلمه الأول في الالتحاق بكلية الهندسة، وضياع حلمه الثاني في الاحتراف في أحد الأندية الأوروبية.. لكنه لم يتوقف طويلا أمام هاتين العقبتين، بل اتخذهما وسيلة للارتقاء نحو تحقيق إنجاز رفيع المستوى، وهو نيل درجة الدكتوراه في وقت قياسي، قبل أن يبلغ عامه الحادي والعشرين.. إنه الشاب إسلام صلاح البشاري، الذي حل ضيفا على «الوعي الشبابي» عبر هذا الحوار:

● الدكتوراه درجة علمية رفيعة.. كيف كان الطريق إليها وأنت مازلت شابا؟

– قرأت في مجال التسويق، فوجدت في نفسي رغبة في التعمق فيه، فتقدمت لدبلومة كندية من القاهرة، وتوصلت لفكرة تسويقية ساعدت إحدى الشركات كثيرا، وبعدها عرضت علي الدراسة والحصول على الماجستير والدكتوراه من جامعة كندية، بعدما رأى المحاضر الذي كان يدرس لي في الدبلومة بمصر أنني أستطيع أن أكون جيدا في بلاده، فوافقت ومن هنا كانت البداية.

● وماذا عن الماجستير والدكتوراه في كندا؟

– التحقت تباعا بدراسة الماجستير والدكتوراه، وكان ذلك يتم بموازاة دراستي الأساسية بكلية التجارة بمصر، حيث كنت أدرس أون لاين غالبا، وأتردد على كندا للمناقشة أحيانا. واستمر الحال هكذا ٤ أعوام، حصلت خلالها على درجتي الماجستير والدكتوراه

في علم إدارة الأعمال والتسويق والتنمية البشرية، وقدمت خلالها ٤ مشروعات، منها إعادة تدوير البلاستيك لصناعة «الأسفلت»، علاوة على إعادة هيكلة المواصلات، وكانت لي نظرية في التسويق سجلت باسمي، وقمت بالتدريس في الجامعة الكندية بمونتريال.. كل ذلك ولم أتم عامي الحادي والعشرين حينذاك.

● من خلال تجربتك.. ماذا تقول للشباب؟

– أنصحهم بإتقان الإصرار، وتحديد أهدافهم، وألا تكون متناقضة، والابتعاد عن الانتقاد غير البناء من الآخرين. ودائما يجب أن يحول الشاب الكلمات السيئة إلى طاقة إيجابية. وأقول لهم: صدقوا أنفسكم، فتحقيق الأهداف شيء متاح، فلم يكن في مخيلتي أن أحصل على الدكتوراه في هذه السن، وكان أقصى طموحي أن أكون مدير تسويق في شركة، لكن العقبات التي تعرضت لها، قادتني إلى أن أنافس ذاتي وأحقق ما ظننته مستحيلا.

طور نفسك

هكذا تحافظ على هدوئك رغم ضغوط العمل

يمكن لأسلوب تعاملنا مع زملائنا في العمل أن يضع نهاية لمسيرتنا المهنية، أو أن يصنع منها إنجازا، لكننا لا نقدر دوما على إجادة الأداء تحت وطأة ضغوط العمل.. فأحيانا، يكون الدافع الذي يغريك للصراخ والصياح بوجه زملائك – أو أي شخص آخر للتنفيس عما بداخلك – قويا جدا.

لذلك يعد الحفاظ على الهدوء، ومعرفة الوقت الذي يمكنك فيه أن ترفع من نبرة صوتك، أو أن تقرر الانسحاب، من الأمور المهمة المطلوبة لعمل توازن دقيق.

وقد تناول هذا الموضوع في الفترة الأخيرة على موقع «لينكد-إن»، بيرنارد مار – المدير التنفيذي بمعهد الأداء المتطور، وفيما يلي ملخص لما كتبه في مقاله بعنوان «كيف تتجز ما عليك تحت ضغط العمل».

هناك استراتيجيات يمكنها تحسين فرصك لتقوم بأداء أفضل تحت وطأة العمل، من بين هذه الاستراتيجيات:

– تهيأ، ثم تهيأ أكثر.

الكثير من أشكال الخوف والقلق يشبه «رهبة الظهور على المسرح»، إذ تتبع هذه المخاوف عندما يطلب منا القيام بأمر لم نتهيأ له، أو نعتقد أننا سوف ننسى النص الذي علينا أن نردده، أو أننا سنبدو كالحمقى، أو أن التقنية التي نستخدمها سوف تتوقف عن العمل، أو أننا سنقع من فوق خشبة المسرح.

ويضيف: إن أفضل طريقة لمعالجة هذه الرهبة هي الممارسة والتطبيق.. عليك أن تمارس العرض أو المشهد مرارا وتكرارا. اختبر سلفا التقنية المتوفرة. سر على خشبة المسرح. افعل كل ما تريد لكي تشعر بأنك مهيأ قدر المستطاع.

-استخدم الحديث الإيجابي إلى النفس. إذا كان عقلك يردد باستمرار سلسلة من الأفكار السلبية من قبيل: سوف أفشل، سيضحك الجميع علي، لن أنسى أبدا ما سيحدث.. فإن ذلك لن يؤدي إلا إلى زيادة مستوى قلقك. ويضيف: عوضا عن ذلك، اجعل ذهنك يتعلق بواحدة من ثلاث تعبيرات إيجابية، مثل «تنفس»، «واصل التركيز» و «كن على أفضل حال»، وذلك كي توفر لنفسك شيئا إيجابيا تركز عليه.

بتطبيق واحدة من هذه الاستراتيجيات: سيتمكن حتى أولئك الذين لا يشعرون عادة بالراحة عند مرورهم بظروف تثير توترهم وأعصابهم، من الاسترخاء، والظهور كمحترفين ومتحررين من القلق.

ناجحون

كويتيان يحصدان جائزتين في معرض «مال أول»

فاز الباحثان الكويتيان في جمع المقتنيات القديمة والنوادر محمد البناي ونواف العصفور بجائزتين في معرض «مال أول» للمقتنيات الشخصية لمواطني دول مجلس التعاون الخليجي الذي استمر ثلاثة شهور.

وأشاد سفير دولة الكويت لدى قطر متعب صالح المطوطح في تصريح لوكالة (كونا) عقب حفل توزيع الجوائز بهذا الإنجاز من قبل الباحثين الكويتيين معربا عن فخره بما قدماه من أعمال تراثية تبرز اهتمام الكويتيين في التراث وحرصهم على التمسك به.

شباب الجامعة

عشر نصائح تعزز قدراتك قبل الامتحانات

نشر موقع top Universitys المختص بشؤون الجامعات عبر العالم عشر نصائح يمكن أن تدعم جهد الطالب إبان موسم الامتحانات وهي:

١- امنح نفسك فسحة زمنية كافية للمذاكرة!

ليلة الامتحان هي ليست الفرصة الأنسب للمذاكرة، والأفضل أن يضع الطالب لنفسه جدولا بالمواد التي سيجري امتحانه فيها ويخصص لها أيام درس محددة لا يتجاوزها.

٢- رتب مكان مذاكرتك!

راقب مستوى انتشار الضوء الصناعي والطبيعي في مكان المذاكرة، وتأكد أن المقعد والأريكة والسرير القريب مريح.

٣- ضع قريبا منك الخرائط والمخططات والجداول التي تساعدك في المذاكرة!

تمثل الخرائط والجداول والمخططات مساعدات بصرية مهمة تساعد على مراجعة الدروس. في بدء رحلة المذاكرة، تحد نفسك بتدوين كل ما تعرفه عن المادة، ثم قارن ذلك بما هو معروض على الجداول والمخططات.

٤- تمرن على حل أسئلة امتحانات سابقة!

الفكرة هنا في تعويد الطالب على صيغة الأسئلة في مادة معينة، لكيلا تشكل له مفاجأة في الامتحان المرتقب.

٥- اشرح إجاباتك لآخرين!

لا يشكل الوالدان والأشقاء الأصغر سبب إزعاج دائم للطالب، بل يمكن الاستفادة من حضورهم بتعريفهم بسؤال ما، ثم بشرح طريقة الطالب في الإجابة عن هذا السؤال.

٦- رتب جلسات مذاكرة مع أصدقاء!

من خلال جلسات المذاكرة مع أصدقاء يمكن أن يحصل الطالب على إجابات لأسئلة تحيره، كما يمكن لهذه الجلسات أن تثير أسئلة تلفت نظر الطالب إلى مواضيع لم تخطر بذهنه.

٧- خذ فترات استراحة منتظمة!

ثبت علميا أن منح الذهن فترات استراحة بفاصلات زمنية منتظمة بين ٢٠ إلى ٣٠ دقيقة، يرفع من قدرة الذاكرة على خزن المعلومات، وينشط الدورة الدموية، خصوصا إذا تضمنت الاستراحة تمارين رياضية.

٨- ابتعد عن الطعام الدسم!

احرص على تناول طعام يغذي المخ، مثل السمك والمكسرات والحبوب المطبوخة وبعض الفاكهة. ويصدق هذا أيضا على أيام الامتحان نفسها.

٩- برمج يوم الامتحان!

على الطالب أن يراجع كل القواعد والمستلزمات المطلوب منه اصطحابها لقاعة الامتحان قبل يوم الامتحان، ويتأكد من توفرها في حوزته.

١٠- اشرب كثيرا من الماء!

شرب الماء بكميات كبيرة ينشط الدورة الدموية ويزيد من وصول الدم إلى المخ.

إعداد : د. عمرو عبد الكريم

موضوع العدد

معركة الوعي: سؤال التجديد

كان أحد أهم معاني خاتمية الرسالة الإسلامية وخلودها، هو الإيمان ببلوغ العقل الإنساني درجة من النضج تسمح له بالاستقلال باستنباط الأحكام استقلالا تاما، أو تأسيسا على ما ورد في التشريع الإسلامي من أصول وقواعد وأحكام.

ومن ثم ظل «سؤال التجديد» هو أهم الأسئلة المحورية لنهضة الأمة من وهدتها، وبعثها من سباتها العميق على مدى عصورها المتطاولة.

والتجديد في اللغة نقيض البلى، أي ما خلق وبلي فأعيد جديدا على ما كان عليه أول مرة، أي إعادة الشيء إلى سيرته الأولى.

وفي الحديث: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها».

وهو يعني الإخبار والتكليف بالاجتهاد ومواجهة تغيرات العصور والحاجات المتجددة، أي العودة بمفهومات الدين إلى ينابيعه الأولى، ورفض البدع والجمود.

والتجديد هو تجديد أمر الدين بعد ما يمكن أن يكون قد ناله من الزيادة والنقصان، أو المغالاة أو التفريط، أو غياب بعضه عن العمل به تكاسلا، وضعف السلوكيات الاجتماعية والأخلاق، وفتور الهمة والفاعلية والعزيمة.

فقيم الدين متكاملة محفوظة بحفظ الله، ولكن أقدار التدين والالتزام تتغير، ويلحقها الضعف أو التهوين والنسيان أو القصور، وهو ما يحتاج إلى التجديد، إذ هو تجديد للتدين لا للدين، وتجديد للواقع البشري وتصحيح أخطائه، وتقويم اعوجاجه، والتعامل مع هذا الواقع في ضوء المرجعية الإسلامية.

إن الحماسة الزائد والنية الحسنة من دون القدرة على وضع دليل عمل، وخطة استراتيجية، ومنهج حركة من خلال استطاعات الأفراد والإمكانات المتاحة، والظروف المحيطة، وحال المجتمع في تحمله، لا يتم به مقصد التجديد.

فالخطب العامة والوعظ العاطفي والتأليف السطحي ليست من التجديد في شيء، بل قد تساهم في تكريس العلل والتخلف.

وعلى مدار العصور الإسلامية المتعاقبة كان التجديد هو الحل لما اعترى الأمة من آفات، ولما وقر في خلدها من مفاهيم تحتاج إلى تحديث أو إزالة ما علق بها من آثار السنين.

فكان جوهر حركة التجديد هو الإحياء، أي نفض الغبار وإزالة الران، وتخليص الأصل مما علق به من شوائب، وما تراكم عليه من غبار السنين.

ومن المهم التأكيد على أنه ليس من مجالات التجديد الثوابت القطعية التي قررها الإسلام، والمتعلقة بالعقائد والعبادات والأخلاق وأصول المعاملات وغيرها من الثوابت القطعية، سواء في الثبوت أو في الدلالة.

أما الحوادث والنوازل والمستجدات، الناجمة عن تغير أنماط الحياة عبر الزمان والمكان، فهي محل التجديد، ودائرة عمله، ومناط إعماله.

وكما يقول الإمام محمد عبده: «إن التجديد يشمل حفظ نصوص الدين الأصلية صحيحة نقية، ونقل المعاني الصحيحة للنصوص، وإحياء الفهم السليم لها، والسعي للتقريب بين واقع المجتمع المسلم في كل عصر، وبين المجتمع النموذجي الأول الذي أنشأه الرسول ﷺ، وإحياء مناهج ذلك المجتمع في فهم النصوص والاجتهاد. كما يشمل التجديد تصحيح الانحرافات النظرية والفكرية والعملية والسلوكية وتنقية المجتمع من شوائبها».

وعلى مدار عصور الأمة الممتدة لم تخل الأرض من قائم لله بحجة، فتتارت أعلام التجديد الفردي والجماعي والفكري والحضاري، وانتشرت حركات التجديد على مدى الرقعة الشاسعة التي ظللت محور العالم الإسلامي من طنجة إلى جاكرتا.

وكان محور عمل حركات التجديد هو إحياء الوعي الديني، وتحريره من الانحرافات الاعتقادية والسلوكية، والتصحيح العقدي والعبادي للمسلمين.

وكما يقول أستاذنا الدكتور سيف الدين عبدالفتاح: إن تجديد الدين هو في حقيقته تجديد وإحياء وإصلاح لعلاقة المسلمين بالدين والتفاعل مع أصوله والاهتداء بهديه، لتحقيق العمارة الحضارية وتجديد حال المسلمين، ولا يعني إطلاقا تبديلا في الدين أو الشرع ذاته».

والتجديد هو أهم خصائص الأمة الإسلامية، إذ إن حضارتها لا تعرف الانقطاع، ولا الجمود، بل قدرة غامرة على التجدد والتجديد والتواصل والاتصال، والعودة إلى الأصول المنشئة لتنهل من معين لا ينضب لإمدادها بمزيد من الاستمرار والبقاء.

وتظل المحاور الثلاثة لعملية التجديد هي:

- إحياء ما انطمس واندرس من معالم السنن ونشرها بين الناس، وحمل الناس على العمل بها. فكما يقول المودودي: «المجدد: كل من أحيا معالم الدين بعد طموسها، وجدد حبله بعد انتقاضه».
- قمع البدع والمحدثات، وتعرية أهلها وإعلان الحرب عليهم، وتنقية الإسلام مما علق عليه من أوضار الجاهلية، والعودة به إلى ما كان عليه زمن الرسول ﷺ وصحابته الكرام.

أو كما قال السيوطي في جامعه الصغير إن: «المراد بتجديد الدين، تجديد هدايته، وبيان حقيقته وأحقيته، ونفي ما يعرض لأهله من البدع، أو الفتور في إقامته، ومراعاة مصالح الخلق، وسنن الاجتماع والعمران في شريعته».

- تنزيل الأحكام الشرعية على ما جد من وقائع وأحداث، ومعالجتها معالجة نابعة من هدي الوحي.

يقول عبدالفتاح إبراهيم: «التجديد: يعني العودة إلى المتروك من الدين، وتذكير الناس بما نسوه، وربط ما يجد في حياة الناس من أمور، بمنظور الدين لها، لا بمنظارها للدين».

(راجع دراسة: اسعيد مديون، إشكالية التجديد بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي).

خلاصات منهجية

١- المجدد فرد أم جماعة ومدرسة؟

أحسب أن تعقيدات الواقع المعاصر وتداخلها قد تجاوزت إمكانات المجدد الفرد، فلابد للتجديد المعاصر من عمل جماعي ضمن إطار مؤسسي، تحكمه نظم متطورة قابلة للإجابة على ما يتجدد من أسئلة وما يطرح من قضايا.

يؤكد هذا المعنى قول الحافظ الذهبي رحمه الله: «الذي أعتقده من الحديث أن لفظ «من يجدد» للجمع لا للمفرد».

وقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: «لا يلزم أن يكون في رأس كل مئة سنة واحد فقط، بل يكون الأمر فيه كما ذكر في الطائفة (يعني قد تكون جماعة)».

ويقول ابن الأثير «لا يلزم أن يكون المبعوث على رأس المئة رجلا واحدا، وإنما قد يكون واحدا وقد يكون أكثر منه، فإن لفظة «من» تقع على الواحد والجمع».

٢- بعض أدبيات التجديد في العصر الحديث.

توالت أفكار التجديد في التبلور والتشكل في مختلف جوانب الحياة الفكرية:

فكتب الشيخ أمين الخولي مقاله «التجديد في الدين» عام ١٩٣٣م، ونشره في مجلة الرسالة، وتحدث فيه عن التجديد في الدين وعلومه.

وفي عام ١٩٤٨م كتب المودودي «موجز تجديد الدين وإحيائه».

وفي عام ١٩٥٥م أصدر عبدالمتعال الصعيدي كتابه: «المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر».

ثم كتب محمد إقبال: «تجديد التفكير الديني في الإسلام».

٣- بين التجديد والتبديد.

على الرغم من وضوح مفهوم التجديد من على الأرضية الإسلامية ووضوحه الشرعي واستناده إلى مفاهيم شرعية أصيلة، فإن المفهوم لم يخل من محاولات استنبات على أرضية علمانية، ففي عشرينيات القرن التاسع عشر دعت ثلة من المفكرين والأدباء المصريين إلى تغريب العقل المصري وتبني العلمانية، وأطلقت على نفسها تيار التجديد، إلا أن مجمل أفكارهم كانت إلى التبديد أقرب.

في المفاهيم والمصطلحات

مفهوم الحضارة

مفهوم الحضارة عند ابن خلدون:

«إن الحضارة هي نمط من الحياة المستقرة ينشئ القرى والأمصار، يضفي على حياة أصحابه فنونا منتظمة من العيش والعمل والاجتماع والعلم والصناعة، وإدارة شؤون الحياة والحكم، وترتيب وسائل الراحة وأسباب الرفاهية».

«وإن الملك والدولة غاية للعصبية، وإن الحضارة غاية للبداوة، وإن العمران كله من بداوة وحضارة وملك وسوقة (جمهور أو عامة) له عمر محسوس، كما أن للشخص الواحد من أشخاص المكونات عمرا محسوسا».

مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي:

«الحضارة هي مجموعة الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع أن يقدم لكل فرد من أفراده في كل طور من أطوار وجوده المساعدة الضرورية».

مقولات

«إن أي كلام يفيد منه الاستبداد السياسي، أو التظالم الاجتماعي، أو الطعن الثقافي، أو التخلف الحضاري، لا يمكن أن يكون دينا، إنه مرض نفسي أو فكري، والإسلام صحة نفسية وعقلية» (الشيخ محمد الغزالي).

«بطبيعة الحال، فالإنسان الذي لا هوية له لا يمكنه أن يبدع، فالإنسان لا يبدع إلا إذا نظر للعالم بمنظاره هو وليس بمنظار الآخرين، لو نظر بمنظار الآخرين، أي لو فقد هويته، فإنه سيكرر ما يقولونه ويصبح تابعا لهم، كل همه أن يقلدهم أو أن يلحق بهم ويبدع داخل إطارهم، بحيث يصير إبداعه في تشكيلهم الحضاري» (**د. عبدالوهاب المسيري**).

«في حالات التقهقر والجمود الحضاري يكون الجميع في حاجة إلى التعلم، لكن يكون المعلم غير موجود أو يكون نصف جاهل، أو يكون الناس غير مدركين لما يمكن أن يفعله العلم في حياتهم، وهذا ما تعاني منه اليوم شعوب إسلامية كثيرة» (**د. عبدالكريم بكار**).

عرض كتاب

«الشهود الحضاري للأمة الوسط في عصر العولمة»

د. عبدالعزيز برغوث

الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مشروع روافد، ٢٠٠٧م، ٢٣٤ صفحة.

على مدار خمسة فصول يطوف بنا الكاتب في مدارات الموضوع الذي عكف عليه سنين طويلة.

ويهدف الكتاب في الأساس إلى ترسيخ قيم التعددية والتنوع والاختلاف البناء في دائرة الفكر الإسلامي، واعتماد مقاصد القرآن والسنة في فهم الخطاب الإسلامي وتنزيله، وانتهاج منهج الوسطية، مع التأكيد على الوعي بالآخر وعدم تجاهله أو تهوين قدره، والدعوة إلى التعايش والتعاون على البر والتقوى.

الفصل الأول: الإطار المنهجي لدراسة طبائع الأمة الوسط والشهود الحضاري

وفيه يؤكد الكاتب أن الوسطية في الإسلام منزع استخلافي، حيث إن الإسلام لم يكن في مبدأ منطلقاته إلا دينا وسطيا تتجلى فيه أدق معاني الشمول والتكامل والقصدية والنظام. ومفهوم الأمة الوسط لا يتحقق إلا بمعرفة بعض الأبعاد المهمة (تاريخية – عمرانية – استخلافية)، وبذلك تكشف العلاقة الجدلية بين الإسلام والأمة في الفعل الحضاري والاستخلافي، وهو ما يعني ضرورة التوجيه الثقافي للأمة الوسط.

الفصل الثاني: طبائع العولمة وتأثيرها على الشهود الحضاري للأمة وضرورة المقاربة الحضارية

وينظر الكاتب إلى العولمة باعتبارها وصفا آخر لمفهوم العلاقات الدولية بين الدول، وتعني الزيادة الملحوظة في تبادل العلاقات الدولية، وتعاضدها، وتسارعها بصورة متشابكة ومتداخلة يتعذر فيها الفصل أو العزل.

الفصل الثالث: الأمة الوسط والعولمة الحضارية وضرورة التفاعل المبدع والسلام الحضاري

وفيه عرض الكاتب المعاني الدلالية لبناء ثقافة التعايش العالمي، والمعاني الدلالية لكلمة السلام والتعاون بين البشر والدعوة إلى التحاب بين العالم، وهذا المعنى داخل في كل كيان وكينونة الأمة.

وقد أورد الكاتب بعض الآيات القرآنية في هذا السياق من إعطاء المعنى الاجتماعي للسلام أو السلم مع مقارنة ذلك بالعولمة ومفاهيمها التي تعطي للإنسان أبسط معاني السلام والأمان.

الفصل الرابع: أهمية التجديد الثقافي والتربوي في بناء إنسان الشهود الحضاري

وأهم الموضوعات في بناء الشهود الحضاري، هو بناء الإنسان الشاهد حضاريا، وبناء القيادات البشرية القادرة على الشهود.

وأكد الكاتب على أنه لا يمكن أن تسترجع الأمة عافيتها وقوتها في الشهود الحضاري بغير الإعداد الجيد للإنسان القيادي، الذي يعكس بدوره هذه النهضة ويتمثل أبعادها ومعطياتها وتشكيله ليكون ذا رسالة قد حملها وعليه أداؤها؛ لتفسير حقيقة استخلافه على الأرض.

الفصل الخامس: الأمة الوسط وضرورة تجديد فلسفة التعليم وأدوار المعلم الشاهد حضاريا

وفيه يعرض الكاتب لأهمية الدور المحوري للمعلم والتعليم، في ظل الثورة الهائلة في عالم المعلوماتية المعاصرة، مع عرض الأبعاد الاجتماعية والثقافية والفكرية وغيرها المرتبطة بهذا التوجيه.

كنوز الذاكرة .. ركن نرجع فيه بالقارئ الكريم إلى بدايات القرن الماضي وما تلاه، نقرأ لعباقرة ذاك الزمان، بحروف وطباعة تلك الأيام، حتى نعيش معا الذكرى بشكلها ومضمونها.

دولة الكويت
مكتبة مجلة الوعي الإسلامي
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

العدد ٩ — السنة الأولى من السلسلة الثانية — ثمن النسخة ١٠ فرنكات

البصائر

مجلة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

شعارها العروبة والإسلام

المدير المسؤول وصاحب الامتياز ورئيس التحرير: محمد البشير الإبراهيمي

عنوان الجريدة ١٢ نهج بومبي
رقم الهاتف ٢٧٨-١٧
الحساب الجاري ٥٣٩-٧٣
السجل التجاري ٧١٢٤

« EL-BASSAÏR »
Journal hebdomadaire
Directeur-Gérant: TALEB BACHIR
12, Rue Pompée - ALGER
C.C.P. 539-73 R.C. Alger 7124

يوم الجمعة ١٨ ذو القعدة عام ١٣٦٦ هـ | تصدر يوم الجمعة من كل اسبوع | الموافق ليوم ٣ اكتوبر سنة ١٩٤٧ م

من وحي القرآن

« يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا »

إلى أبنائي الطلبة
المهاجرين في سبيل العلم

وأوجه النداء الى جميع ابنائنا المهاجرين الى الشرق العربي ، أو الى اطراف المغرب العربي ، أو الى أوروبا – ثم أخصص المهاجرين الى تونس لأنهم كثرة . ولأن في احوالهم لغيرهم عبرة .

انكم يا أبناءنا مناط آمالنا ومستودع أمانينا. تعدكم لحمل الأمانة وهي ثقيلة ، ولاستحقاق الارث ، وهو ذو تبعات وذو تكاليف ، وتنظر منكم ما ينتظره المدلج في الظلام من تباشير الصبح .

وانكم يا أبناءنا فارقتم الأهل ، وفيهم الآباء والأمهات ، وفارقتم الديار التي خلفتم فيها التمائم ، وفارقتم الوطن الذي له على كل حر كريم دين ! وفاؤه الحب ، وكفاؤه النفع والجميل ، وما هون فراقكم على آبائكم وهون فراقهم عليكم الا الآمال اللائحة لكم ولهم في مستقبلكم ، وما تعودون به من علم يصحبه فخر وحسن ذكر وطيب أحدوثة .

ان آباءكم يتخيلون من وراء هجرتكم ما يعود به المجاهد المقدام من أجر وغنيمة ، وما يرجع به التاجر المخاطر من أرباح وطرائف .

وانكم لتتخيلون من وراء هجرتكم – وانتم في ربيع الحياة – وما يفوق أفواف الربيع حسنا وجمالا ، ويفوق أزهاره أريجا وعطرا.

وان الوطن – وهو أبو الجميع – يتطلع من وراء هذه الهجرة الى احياء وتعمير واعادة مجد وبناء تاريخ ، نحن نعلم أن الأب العاطفي الفقير حين يرضى بفراق ولده ، ويزوده ببعض ما يملك من قوت العيال الصغار طالما اختارا مطمئنا – انما يفعل ذلك اعتقادا بان فعله تكفير عن جريمة الجهل ، ومحو لوصمة الأمية ، وتتصل من ضعة الخمول – وان الأب العالم الذي يرضى بذلك ويهون عليه – انما يفعله معتقدا أن ولده سيكون أعلم منه ، واوسع اطلاعا ، وانفذ بصيرة على نسبة من زمنه ، وتطورات زمنه ، ولا يعتقد غير ذلك منهم الا مغرور يقيسه – الجاهل أحسن ادراكا للزمن منه ، وان الوطن حين يرضى بخلوه من ابنائه يتخيل أنهم ما أخلوه الا ليعمروه ، وما قطعوه الا ليصلوه ، وما فارقوه شباتا عزلا الا ليعودوا اليه كهولا مسلحين بقوة التفكير ، تظاهرها قوة العلم تظاهرها قوة العمل .

يا أبنائي اذا عرفتم هذا وعرفتم واجب انفسكم التي تحملت الأتعاب ، وتجرعت مرارة الاغتراب ، وذاقت طعم الحاجة والشدة ، وواجب آبائكم الذين غذوا وربوا ، وأجابوا داعي العلم فيكم وليوا ، وواجب الوطن المجدب الذي جعلكم رواده الى القطر ، وأرسلكم وانتظر ، ورجا من ايابكم الحيا والحياة ، اذا عرفتم ذلك كله ، فماذا اعددتم لهذه الواجبات ؟

انكم لا تضطلعون بهذه الواجبات الا اذا انقطعتم لطلب العلم ، وتبتلتم اليه تبتيلا ، وانفقتم الدقائق والساعات في تحصيله . وعكفتم على اخذه من افواه الرجال وبطون الكتب ، وأستترتم كنوزه بالبحث والمطالعة وكثرة المناظرة والمراجعة ، ووصلتم في طلبه سواد الليل ببياض النهار .

ان اسلافكم كانوا يعدون الرحلة في سبيل العلم من شروط الكمال فيه ، بل كانوا – في دولة الرواية – يعدون الرحلة للقاء الرجال من شروط الوجوب ، فكانوا يقطعون البراري والصحاري والقفار ، ويلقون في سبيله المعاطب والأخطار وكانوا يجوعون في سبيله ويعرون ، ويظمأون ويضحون ، فلا يشكون الفاقة والنصب ، ولا يعدون الراحة الا التعب ، ولكنهم لا يضيعون اوقاتهم – اذا وصلوا الى امصار العلم ولقوا رجاله – في مثل ما تضيعون فيه أوقاتكم من اسفاف ولغو ، بل كانوا يحاسبون أنفسهم على الدقيقة أن تضيع الا في استفادة وتحصيل .

فتعالوا نقارن سيرتكم بسيرتهم وتحصيلكم بتحصيلهم ثم تتحاسب على النتيجة !

كانوا يقيدون وانتم لا تقيدون ، وكانوا ينسخون الأصول بأيديهم ويضبطونها بالعرض والمقابلة حرفا حرفا وكلمة كلمة ، وانتم أراحتكم المطابع ، ويسرت لكم الكتب – ورب تيسير جلب التعسير – فان هذا التيسير رمى العقول بالكسل ، والأيدي بالشلل حتى لا تجرى في اصلاح الأغلاط التفشية في تلك الكتب .

وكانوا يرجعون بالرواية الواسعة والمحفوظ الغزير ، وينقلون الجديد من العلم ، والطريف من الآراء ، والمفيد من الكتب – من الشرق الى الغرب ، ومن الغرب الى الشرق ، فانظروا ماذا ترجعون انتم اليوم ؟ !

وكانوا ينقطعون عن أهليهم وديارهم انقطاعا متصلا يدوم سنوات ، وانتم تزورون أهلكم وديارهم في كل موسم ، وفي كل عطلة ويزورونكم ، وتخاطبونهم في اليوم الواحد ويخاطبونكم .

الحقيقة أننا لا نسمي رحلتنا اليوم رحلة الا بضرب من التوسع ، كما نسمي السفر بالطائرة سفرا ، ونضعه بجنب السفر على الابل .

* * *

يا أبناءنا ان الحياة قسمان حياة علمية ، وحياة عملية ، وان الثانية منهما تبنى على الأولى قوة وضعفا ، واتاجا وعقما ، وانتم لا تكونون اقوياء في العمل الا اذا كنتم اقوياء في العلم ، ولا تكونون اقوياء في العلم الا اذا انقطعتم له ، ووقفتم عليه الوقت كله ، ان العلم لا يعطي القياد الا لمن مهره السهاد ، وصرف اليه أعنة الاجتهاد .

لا تعتمدوا على حلق الدروس وحدها ، واعتمدوا معها على حلق المذاكرة ، ان المذاكرات لقاح العلم ، فاشغلوا أوقاتكم حين تخرجون من الدرس بالمذاكرة في ذلك الدرس ، انكم ان تفعلوا تتفتح لكم ابواب من العلم ، وتلح لكم آفاق واسعة من الفهم .

ولا تقنعوا بالكتاب المقرر ، واقرأوا غيره من الكتب السهلة المبسوطة في ذلك العلم تستحكم الملكة ويتسع الادراك ، وستنهى الاصلاح الذي تقوم به ادارات كلياتنا الى اختيار كتب سهلة ممتعة في كل علم تعرض عليكم قراءتها ومطالعتها ، ثم كتب أخرى في المعارف العامة كالتاريخ والأدب والحكمة والأخلاق والتربية ، فوطنوا انفسكم على ذلك من الآن ، وروضوها على اختيار النافع المفيد من الكتب ، ومن العار الفاضح أن لا نرى في الكثير من ابنائنا الذين تخرجوا من الزيتونة ، واتجهوا بفطرتهم الى الأدب – من استوعب كتاب الأغاني قراءة ، ولا فيمن اتجهوا الى علوم الدين من استوعب قراءة الصحيحين والسنن ، ولعمري ما سلاح الأديب الا الأغاني وامثاله – ولا سلاح الفقيه الا تلك الكتب واشباهها .

لا تقطعوا الفاضل من أوقاتكم في ذرع الأزقة الا بمقدار ما تستعيدون به النشاط البدني ، ولا في الجلوس في المقاهي الا بقدر ما تدفعون به الملل والركود ، ولا في قراءة الجرائد ، الا بقدر ما تطلعون به على الحوادث

(البقية على الصفحة ٢)

إلى القراء

لأسباب بريدية ومطبعية قاهرة تغير موعد صدور الجريدة من الجمعة الى الاثنين ابتداء من العدد العاشر .

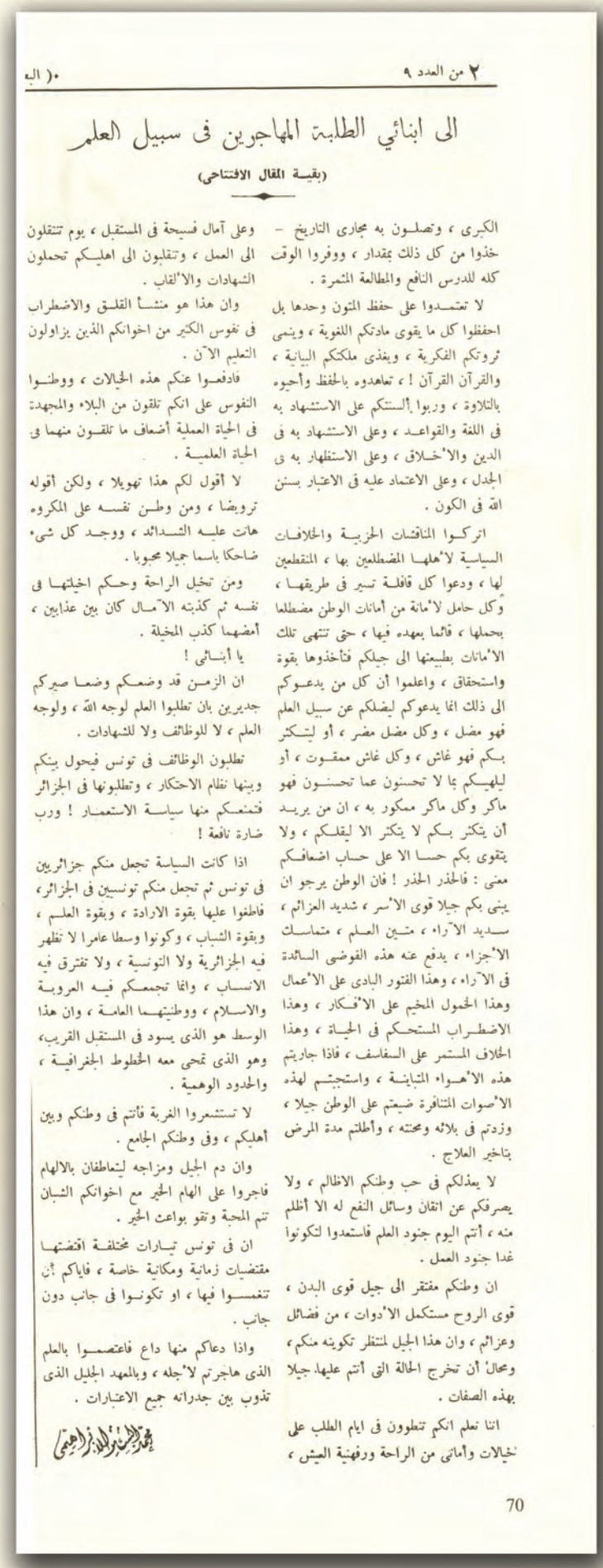

٢ من العدد ٩ ٠(الب

الى ابنائي الطلبة المهاجرين فى سبيل العلم

(بقيـة المقال الافتتاحي)

الكبرى ، وتصلـون به مجارى التاريخ - خذوا من كل ذلك بمقدار ، ووفروا الوقت كله للدرس النافع والمطالعة المثمرة .

لا تعتمـدوا على حفظ المتون وحدها بل احفظوا كل ما يقوى مادتكم اللغوية ، وينمى ثروتكم الفكرية ، ويغذى ملكتكم البيانية ، والقرآن القرآن ! ، تعاهدوه بالحفظ وأحيوه بالتلاوة ، وربوا ألسنتكم على الاستشهاد به فى اللغة والقواعـد ، وعلى الاستشهاد به فى الدين والأخـلاق ، وعلى الاستظهار به فى الجدل ، وعلى الاعتماد عليه فى الاعتبار بسنن الله فى الكون .

اتركـوا المنافسات الحزبيـة والخلافـات السياسية لأهلهـا المضطلعين بها ، المنقطعين لها ، ودعوا كل قافلـة تسير فى طريقهـا ، وكل حامل لأمانة من أمانات الوطن مضطلعا بحملها ، قائما بعهده فيها ، حتى تنتهى تلك الأمانات بطبيعتها الى جيلكم فتأخذوها بقوة واستحقاق ، واعلموا أن كل من يدعـوكم الى ذلك انما يدعوكم ليضلكم عن سبيل العلم فهو مضل ، وكل مضل مضر ، أو ليتـكثر بـكم فهو غاش ، وكل غاش ممقـوت ، أو ليهيـكم بما لا تحسنون عما تحسنـون فهو ماكر وكل ماكر ممكور به ، ان من يريـد أن يتكثر بـكم لا يتكثر الا ليقلـكم ، ولا يتقوى بكم حسـا الا على حساب اضعافـكم معنى : فالحذر الحذر ! فان الوطن يرجو ان ينبى بكم جيلا قوى الأسر ، شديد العزائم ، سـديد الآراء ، متـين العـلم ، متماسـك الأجزاء ، يدفع عنه هذه الفوضى السائدة فى الآراء ، وهذا الفتور البادى على الأعمال وهذا الخمول المخيم على الأفـكار ، وهذا الاضطـراب المستحـكم فى الحيـاة ، وهذا الخلاف المستمر على السفاسف ، فاذا جاريتم هذه الأهـواء المتباينـة ، واستجبتـم لهذه الأصوات المتنافرة ضيعتم على الوطن جيلا ، وزدتم فى بلائه ومحنته ، وأطلتم مدة المرض بتاخير العلاج .

لا يعذلكم فى حب وطنكم الاظالم ، ولا يصرفكم عن اتقان وسائل النفع له الا أظلم منه ، أنتم اليوم جنود العلم فاستعدوا لتكونوا غدا جنود العمل .

ان وطنكم مفتقر الى جيل قوى البدن ، قوى الروح مستكمل الأدوات ، من فضائل وعزائم ، وان هذا الجيل لمنتظر تكوينه منكم ، ومحال أن تخرج الحالة التى أنتم عليها جيلا بهذه الصفات .

انا نعلم انكم تنطوون فى ايام الطلب على خيالات وأمانى من الراحة ورفهنية العيش ، وعلى آمال فسيحة فى المستقبل ، يوم تنتقلون الى العمل ، وتنقلبون الى اهليـكم تحملون الشهادات والألقاب .

وان هذا هو منشـأ القلـق والاضطراب فى نفوس الكثير من اخوانكم الذين يزاولون التعليم الآن .

فادفعـوا عنكم هذه الخيالات ، ووطنـوا النفوس على انكم تلقون من البلاء والمجهدة فى الحياة العملية أضعاف ما تلقـون منهما فى الحياة العلميـة .

لا أقول لكم هذا تهويلا ، ولكن أقوله ترويضا ، ومن وطـن نفسـه على المكروه هانت عليـه الشـدائد ، ووجـد كل شىء ضاحكا باسما جميلا محبوبا .

ومن تخيل الراحة وحـكم اخيلتهـا فى نفسه ثم كذبته الآمـال كان بين عذابين ، أمضهما كذب المخيلة .

يا أبنـائى !

ان الزمـن قد وضعـكم وضعـا صيركم جديرين بان تطلبوا العلم لوجه الله ، ولوجه العلم ، لا للوظائف ولا للشهادات .

تطلبون الوظائف فى تونس فيحول بينكم وبينها نظام الاحتكار ، وتطلبونها فى الجزائر فتمنعكم منها سياسـة الاستعمـار ! ورب ضارة نافعة !

اذا كانت السياسة تجعل منكم جزائريين فى تونس ثم تجعل منكم تونسيين فى الجزائر ، فاطفوا عليها بقوة الارادة ، وبقوة العلـم ، وبقوة الشباب ، وكونوا وسطا عامرا لا تظهر فيه الجزائرية ولا التونسية ، ولا تفترق فيه الانسـاب ، وانما تجمعـكم فيـه العروبـة والاسـلام ، ووطنيتهـما العامـة ، وان هذا الوسط هو الذى يسود فى المستقبل القريب ، وهو الذى تمحى معه الخطوط الجغرافيـة ، والحدود الوهمية .

لا تستشعروا الغربة فأنتم فى وطنكم وبين أهليكم ، وفى وطنكم الجامع .

وان دم الجيل ومزاجه ليتعاطفان بالالهام فاجروا على الهام الخير مع اخوانكم الشبان تتم المحبة وتقو بواعث الخير .

ان فى تونس تيـارات مختلفـة اقتضتهـا مقتضيات زمانية ومكانية خاصة ، فاياكم أن تنغمسـوا فيها ، او تكونـوا فى جانب دون جانب .

واذا دعاكم منها داع فاعتصمـوا بالعلم الذى هاجرتم لأجله ، وبالمعهد الجليل الذى تذوب بين جدرانه جميع الاعتبارات .

محمد البشير الإبراهيمي

70

جريدة البصائر

هي أسبوعية جزائرية، تصدر باللغة العربية عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تعنى بشؤون الإسلام والعربية في الجزائر، أنشأها العلامة عبدالحميد ابن باديس، وقام على رئاسة تحريرها الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، وهي رابع صحف جمعيّة العلماء؛ أنشئت بعد تعطيل فرنسا لثلاث جرائد للجمعية في سنة واحدة؛ هي: السنة المحمدية، والشريعة المطهرة، والصراط السوي. وقد بدأ صدورها يوم ٢٥ جويلية ١٩٤٧م.

محمد البشير الإبراهيمي

(١٨٨٩-١٩٦٥م) الموافق (١٣٠٦-١٣٨٥هـ) من أعلام الفكر والأدب في العالم العربي والإسلامي، ومن العلماء العاملين في الجزائر، وهو رفيق النضال لعبدالحميد بن باديس في قيادة الحركة الإصلاحية الجزائرية، ونائبه ثم خليفته في رئاسة جمعية العلماء المسلمين، وكاتب تبنى أفكار تحرير الشعوب العربية من الاستعمار، وتحرير العقول من الجهل والخرافات، وردها إلى الشريعة الإسلامية الصافية.

إعداد : د. محمود محمد الكبش
عضو هيئة تدريس
جامعة أم القرى - مكة

لعظيم شأن الفتوى في النوازل المعاصرة، وتقريبا للعلم والاستفادة منه؛ استحدثت هذه الصفحة المباركة - في كل عدد - من أجل عرض نازلة معينة، بالوقوف على مصادرها، ومظانها المختلفة، وتجلية صورها، وبيان أحكامها، وأدلتها.

نوازل المسائل الطبية: تحديد النسل وتغييره وتحصيله

- عنوان النازلة: منع الحمل وتحديد النسل.

- الخلاصة الحكمية:

١ - إنما أراد المخترعون لفكرة تحديد النسل أن يكيدوا بها للأمة الإسلامية، فالمحبذون لها من المسلمين وقعوا في أحبولتهم، وستكون لهذا التحديد إن نجح - لا قدر الله - عواقب وخيمة.

٢ - لا يصح شرعا وضع قوانين تجبر الناس على تحديد النسل بأي وجه من الوجوه.

٣ - الإجهاض بقصد تحديد النسل، أو استعمال الوسائل التي تؤدي إلى العقم لهذا الغرض؛ أمر لا تجوز ممارسته شرعا للزوجين، أو غيرهما.

٤ - لا يجوز تحديد النسل مطلقا، ولا يجوز منع الحمل إذا كان القصد من ذلك خشية الإملاق؛ إلا إذا كان منع الحمل لضرورة محققة يقرها طبيب مسلم ثقة، أو كان تأخيره لفترة ما لمصلحة يراها الزوجان؛ فإنه لا مانع حينئذ من منع الحمل، أو تأخيره.

● القرارات، والتوصيات، والبحوث الصادرة من المجامع والفتاوى الخاصة، والهيئات الشرعية بخصوص هذا الموضوع:

● أولا - من توصيات وقرارات مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة محرم ١٣٨٥هـ؛ حول موضوع تحديد النسل:

١ - أن الإسلام رغب في زيادة النسل وتكثيره؛ لأن كثرة النسل تقوي الأمة الإسلامية، اجتماعيا واقتصاديا وحربيا، وتزيدها عزة ومنعة.

٢ - إذا كانت هناك ضرورة شخصية تحتم تنظيم النسل؛ فللزوجين أن يتصرفا طبقا لما تقضيه الضرورة، وتقدير الضرورة متروك لضمير الفرد ودينه.

٣ - لا يصح شرعا وضع قوانين تجبر الناس على تحديد النسل بأي وجه من الوجوه.

٤ - إن الإجهاض بقصد تحديد النسل، أو استعمال الوسائل التي تؤدي إلى العقم لهذا الغرض؛ أمر لا تجوز ممارسته شرعا للزوجين أو غيرهما.

ويوصي المؤتمر بتوعية المواطنين، وتقديم المعونة لهم في كل ما سبق تقريره بصدد تنظيم النسل.

انتهى القرار.

● ثانيا - ثم صدر قرار هيئة كبار العلماء رقم ٤٢؛ بخصوص منع الحمل، وتحديد النسل؛ وهذا نصه:

ففي الدورة الثامنة لمجلس هيئة كبار العلماء المنعقدة في النصف الأول من شهر ربيع الآخر عام ١٣٩٦هـ، بحث المجلس موضوع «منع الحمل وتحديد النسل وتنظيمه»؛ بناء على ما تقرر في الدورة السابعة للمجلس المنعقدة في النصف الأول من شهر شعبان عام ١٣٩٥ هـ من إدراج موضوعها في جدول أعمال الدورة الثامنة.

وقد اطلع المجلس على البحث المعد في ذلك من قبل اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

وبعد تداول الرأي والمناقشة بين الأعضاء، والاستماع إلى وجهات النظر، قرر المجلس ما يلي:

نظرا إلى أن الشريعة الإسلامية ترغب في انتشار النسل وتكثيره، وتعتبر النسل نعمة كبرى ومنة عظيمة من الله بها على عباده، فقد تضافرت بذلك النصوص الشرعية من كتاب الله وسنة رسوله، مما أوردته اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في بحثها المعد للهيئة والمقدم لها.

ونظرا إلى أن القول بتحديد النسل أو منع الحمل مصادم للفطرة الإنسانية التي فطر الله الخلق عليها، وللشريعة الإسلامية التي ارتضاها الرب تعالى لعباده.

ونظرا إلى أن دعاة القول بتحديد النسل، أو منع الحمل فئة تهدف بدعوتها إلى الكيد للمسلمين بصفة عامة، وللأمة العربية المسلمة بصفة خاصة، حتى تكون لهم القدرة على استعمار البلاد وأهلها.

وحيث إن في الأخذ بذلك ضربا من أعمال الجاهلية، وسوء ظن بالله تعالى، وإضعافا للكيان الإسلامي المتكون من كثرة اللبنات البشرية وترابطها.

لذلك كله؛ فإن المجلس يقرر: بأنه لا يجوز تحديد النسل مطلقا، ولا يجوز منع الحمل إذا كان القصد من ذلك خشية الإملاق؛ لأن الله تعالى هو الرزاق ذو القوة المتين، وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها.

أما إذا كان منع الحمل لضرورة محققة؛ ككون المرأة لا تلد ولادة عادية، وتضطر معها إلى إجراء عملية جراحية لإخراج الولد، أو كان تأخيره لفترة ما لمصلحة يراها الزوجان؛ فإنه لا مانع حينئذ من منع الحمل، أو تأخيره؛ عملا بما جاء في الأحاديث الصحيحة، وما روي عن جمع من الصحابة - رضوان الله عليهم - من جواز العزل، وتماشيا مع ما صرح به بعض الفقهاء من جواز شرب الدواء لإلقاء النطفة قبل الأربعين، بل قد يتعين

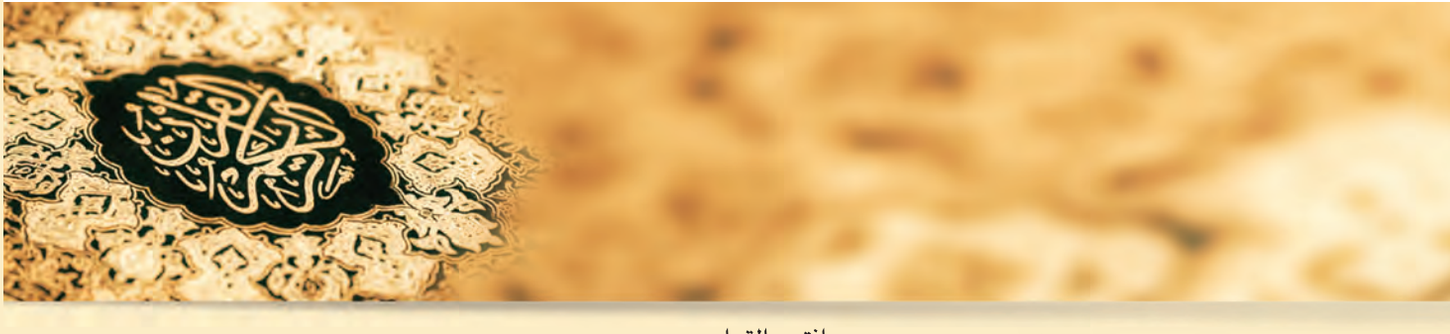

منع الحمل في حالة ثبوت الضرورة المحققة.

وقد توقف فضيلة الشيخ عبدالله بن غديان في حكم الاستثناء.

انتهى القرار.

● ثالثا - ثم صدر قرار مجلس المجمع الفقهي الإسلامي؛ التابع لرابطة العالم الإسلامي؛ في الحكم الشرعي في تحديد النسل، ونصه:

فقد نظر مجلس المجمع الفقهي الإسلامي في دورته الثالثة المنعقدة في مكة المكرمة في الفترة من ٢٣ إلى ٣٠ ربيع الآخر سنة ١٤٠٠ هـ؛ في موضوع تحديد النسل، أو ما يسمى تضليلا «تنظيم النسل»؛ وذكر ما علل به القرار السابق الصادر عن هيئة كبار العلماء.

وبعد المناقشة وتبادل الآراء في ذلك، قرر المجلس بالإجماع ما يلي:

١ - أنه لا يجوز تحديد النسل مطلقا.

٢ - ولا يجوز منع الحمل إذا كان القصد من ذلك خشية الإملاق؛ لأن الله تعالى هو الرزاق ذو القوة المتين، وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها، أو كان ذلك لأسباب أخرى غير معتبرة شرعا.

أما تعاطي أسباب منع الحمل أو تأخيره في حالات فردية لضرر محقق، ككون المرأة لا تلد ولادة عادية، وتضطر معها إلى إجراء عملية جراحية لإخراج الجنين؛ فإنه لا مانع من ذلك شرعا، وهكذا إذا كان تأخيره لأسباب أخرى شرعية أو صحية يقرها طبيب مسلم ثقة، بل قد يتعين منع الحمل في حالة ثبوت الضرر المحقق على أمه إذا كان يخشى على حياتها منه بتقرير من يوثق به من الأطباء المسلمين.

٣ - أما الدعوة إلى تحديد النسل، أو منع الحمل بصفة عامة؛ فلا تجوز شرعا للأسباب المتقدم ذكرها.

٤ - وأشد من ذلك في الإثم والمنع: إلزام الشعوب بذلك، وفرضه عليها، في الوقت الذي تنفق فيه الأموال الضخمة على سباق التسلح العالمي للسيطرة والتدمير، بدلا من إنفاقها في التنمية الاقتصادية، والتعمير، وحاجات الشعوب.

انتهى القرار.

وقد رقمته تسهيلا للفائدة، ولم يكن مرقما.

● رابعا - ثم صدر قرار مجلس مجمع الفقه الإسلامي في دورة مؤتمره الخامسة، والمنعقد في الكويت: ١-٦ جمادى الأولى ١٤٠٩هـ/١٠-١٥ ديسمبر ١٩٨٨م؛ بشأن تنظيم النسل؛ ونصه:

بعد اطلاعه على البحوث المقدمة من الأعضاء والخبراء في موضوع «تنظيم النسل» واستماعه إلى المناقشات التي دارت حوله.

وبناء على أن من مقاصد الزواج في الشريعة الإسلامية الإنجاب، والحفاظ على النوع الإنساني، وأنه لا يجوز إهدار هذا المقصد، لأن إهداره يتنافى مع نصوص الشريعة وتوجيهاتها الداعية إلى تكثير النسل، والحفاظ عليه، والعناية به، باعتبار حفظ النسل من الكليات الخمس التي جاءت الشرائع برعايتها.

قرر ما يلي:

أولا - لا يجوز إصدار قانون عام يحد من حرية الزوجين في الإنجاب.

ثانيا - يحرم استئصال القدرة على الإنجاب في الرجل أو المرأة، وهو ما يعرف بـ«الإعقام» أو «التعقيم»، ما لم تدع إلى ذلك ضرورة بمعاييرها الشرعية.

ثالثا - يجوز التحكم المؤقت في الإنجاب بقصد المباعدة بين فترات الحمل، أو إيقافه لمدة معينة من الزمان، إذا دعت إليه حاجة معتبرة شرعا بحسب تقدير الزوجين عن تشاور بينهما وتراض، بشرط ألا يترتب على ذلك ضرر، وأن تكون الوسيلة مشروعة، وألا يكون فيها عدوان على حمل قائم.

انتهى القرار.

وبمثل ما سبق:

١ - صدر قرار مجمع الفقه الإسلامي بالهند في ١٩٨٩/٤م؛ تحت عنوان: «ضبط التوليد».

٢ - وكذلك فتوى مختصرة بهذا الخصوص من لجنة الفتوى الكويتية برقم ٦٥٩.

● التعليق:

أولا - يجب الاعتقاد ابتداء، أن الحفاظ على النسل وتكثيره يعد من مقاصد الشرع في الزواج، ومنعه، أو تحديده وتنظيمه غير المشروع يعود على مقصده الشرعي بالإبطال، ومن ذلك يقول الدكتور محمد علي البار (عضو الكليات الملكية للأطباء بلندن وجلاسكو وأدنبرة)، بعد ما بين بالآيات والأحاديث الدالة على تشجيع الإسلام على التناسل والنكاح: «فإن سياسة منع الحمل، أو ما يسمى بتنظيم الحمل، والذي تقوم به كثير من الدول الإسلامية، هي سياسة خاطئة تضاد مقاصد الشريعة من كثرة التناسل، والزواج، والحث عليهما».

ثانيا - إن قضية بهذه الخطورة ما كان لها لتخلو طاولات الهيئات العلمية، والمجامع الفقهية المعاصرة؛ من بحثها، وبيان الحكم الشرعي لها.

ولذا رأى القارئ الكريم في هذا: اتفاق كل من هيئة كبار العلماء، والمجمع الفقهي التابع للرابطة، ومجمع الفقه التابع للمنظمة، ومجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة، ومجمع الفقه الإسلامي بالهند على الأحكام التالية في هذه القضية:

١ - عدم جواز تحديد النسل مطلقا بصفة عامة.

٢ - عدم جواز منع الحمل بصفة عامة؛ خشية الإملاق، والفقر، وللأسباب الأخرى غير المعتبرة شرعا.

٣ - عدم جواز إصدار قانون يحد من الإنجاب.

ثالثا - استثنى العلماء مما سبق:

١ - جواز تعاطي أسباب منع الحمل أو تأخيره في حالات فردية؛ لضرر محقق؛ ككون المرأة لا تلد ولادة عادية، وتضطر معها إلى إجراء عملية جراحية لإخراج الجنين.

٢ - جواز التحكم المؤقت في الإنجاب بقصد المباعدة بين فترات الحمل إذا دعت إليه حاجة شرعية، يقدرها الزوجان؛ بشرط عدم الضرر على حمل قائم، وأن تكون الوسيلة مشروعة.

إعداد: تركي محمد النصر

صيانة الدين والحسب

قال العلامة ابن مفلح الحنبلي رحمه الله: «... وترك سعيد بن المسيب دنانير فقال: اللهم إنك تعلم أني لم أجمعها إلا لأصون بها ديني وحسبي، ولا خير فيمن لا يجمع المال فيقضي دينه، ويصل رحمه، ويكف به وجهه. وقال سفيان رحمه الله: ليس من حبك الدنيا أن تطلب فيها ما يصلحك»

(الآداب الشرعية ٣/ ٤٣٠).

النكتة

النكتة: هي مسألة دقيقة أخرجت بدقة نظر وإمعان فكر، وسميت المسألة الدقيقة نكتة، لتأثير الخواطر في استنباطها، وهي إما موافقة في الرأي أو مخالفة لمؤلف الكتاب الأصلي.

كان التنكيت لونا من التأليف العربي القديم، وكان أحيانا يمثل تأليفا مستقلا في موضوع معين، وأحيانا يتشابه في وظيفته مع التحشية، ويكتب تعليقا على نص معين، ولكنه في كتاب أو رسالة مستقلة، ومن ذلك:

١- «النكت» على كتاب ابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ) لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، ويشتمل على تعليقات وفوائد، ودفاع عن المؤلف ومناقشته، واعتراض عليه، وشرح لبعض الأمور اللغوية والاصطلاحية.

٢- «النكت الظراف على الأطراف»، لابن حجر العسقلاني، ويشمل تعليقات ابن حجر على «تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف» للمزي (ت ٧٤٢هـ)

(عبقرية التأليف العربي ص٣٣٨).

درجة الأبرار

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «من أحب أن يلحق بدرجة الأبرار، ويتشبه بالأخيار؛ فلْينوِ في كل يوم تطلع فيه الشمس نفع الخلق فيما يسر الله من مصالحهم على يديه، ولْيُطِع الله في أخذ ما حل وترك ما حرم، وليتورع عن الشبهات ما استطاع؛ فإن طلب الحلال والنفقة على العيال باب عظيم لا يعدله شيء من أعمال البر»

(الإيمان الأوسط ص ٦٠٩).

علم السير والتواريخ

قال العلامة ابن الجوزي (ت: ٥٧٩ هـ) رحمه الله: «واعلم أن في ذكر السير والتواريخ فوائد كثيرة؛ أهمها ...: أنه إذا ذكرت سيرة حازم، ووصفت عاقبة حاله؛ أفادت حسن التدبير واستعمال الحزم، أو إن ذكرت سيرة مفرط، ووصفت عاقبته؛ أفادت الخوف من التفريط، فيتأدب المتسلط، ويعتبر المتذكر، ويتضمن ذلك شحذ صوارم المعقول، ويكون روضة للمتنزه في المنقول»

(المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ١/ ١١٧).

الكلام بالخير غنيمة

ذكر عند الأحنف بن قيس: الصمت والكلام، فقال قوم: الصمت أفضل. فقال الأحنف: «الكلام أفضل لأن الصمت لا يعدو صاحبه، والكلام ينتفع به من سمعه، ومذاكرة الرجال تلقيح لعقولهم». وقالوا: السكوت سلامة، والكلام بالخير غنيمة، ومن غنم أفضل ممن سلم.

(بهجة المجالس وأنس المجالس ١/ ٥٥).

مكارم الأخلاق عشر

قالت عائشة رضي الله عنها: «مكارم الأخلاق عشر: صدق الحديث، وصدق البأس في طاعة الله، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، والمكافأة بالصنيع، وبذل المعروف، والتذمم للجار، والتذمم للصاحب، وقرى الضيف، ورأسهن الحياء»

(مواعظ الصحابة ووصاياهم ص ٣٢٩).

سوء الظن

قال العلامة القرافي رحمه الله تعالى: «أما الاكتفاء بالظاهر فهو شأن الجهال الأغبياء الضعفاء، ومثل هؤلاء لا ينبغي للحاكم الاعتماد على قولهم في التزكية، وكل من كان يغلب عليه حسن الظن بالناس لا ينبغي أن يكون مزكيا، ولا حاكما، لبعده عن الحزم، وقد قال ﷺ: «الحزم سوء الظن» فمن ضيع سوء الظن ضيع الحزم، نعم لا ينبغي أن يبني على سوء ظنه شيئا إلا لمستند شرعي، وهو معنى قوله تعالى: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ (الحجرات:١٢)»

(شرح تنقيح الفصول ص ٣٦٦).

الرزق والتوكل

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى: «إذا جلس الرجل ولم يحترف؛ دعته نفسه إلى أن يأخذ ما في أيدي الناس، فإذا شغل نفسه بالعمل والاكتساب؛ ترك الطمع، وقال المروذي: قيل لأبي عبدالله: أي شيء صدق التوكل على الله عزوجل؟ قال: أن يتوكل على الله، ولا يكون في قلبه أحد من الآدميين يطمع أن يجيئه بشيء، فإذا كان كذلك؛ كان الله يرزقه وكان متوكلا»

(الآداب الشرعية ٣/٤٣١).

الدمعة الصادقة

قال فرقد السبخي رحمه الله: بلغنا أن الأعمال كلها توزن إلا الدمعة تخرج من عين العبد من خشية الله؛ فإنه ليس لها وزن ولا قدر، وإنه ليطفأ بالدمعة البحور من النار.

وقال رحمه الله: قرأت في بعض الكتب أن العبد إذا بكى من خشية الله تحاتت ذنوبه كيوم ولدته أمه، ولو أن عبدا جاء بجبال الأرض ذنوبا وآثاما لوسعته الرحمة إذا بكى، وإن الباكي على الجنة لتشفع له الجنة إلى ربها فتقول: يا رب أدخله الجنة كما بكى علي، وإن النار لتستجير له من ربها فتقول: يا رب أجره من النار كما استجارك مني وبكى خوفا من دخولي.

(موسوعة ابن أبي الدنيا ٣/١٧٢).

الأعمش

قال وكيع رحمه الله: «كان الأعمش قريبا من سبعين سنة، لم تفته التكبيرة الأولى، واختلفت إليه قريبا من سنتين ما رأيته يقضي ركعة».

وكان الأعمش كثير الحديث، وكان عالما بالقرآن رأسا فيه، وكان قرأ على يحيى بن وثاب، وكان فصيحا لا يلحن حرفا، وكان عالما بالفرائض.

ولم يكن في زمانه من طبقته أكثر حديثا منه.

(تهذيب الكمال ١٢/٨٨ – معرفة الثقات للعجلي ١/٤٣٤).

مواعظ عمرية

قال الفاروق رضي الله عنه:

- «تفقهوا قبل أن تسودوا»
- «التؤدة في كل شيء خير إلا ما كان من أمر الآخرة»
- «ما أبالي على أي حال أصبحت! على ما أحب، أم على ما أكره؛ ذلك بأني لا أدري الخيرة فيما أحب أم فيما أكره»

(مواعظ الصحابة ص ٣٠، ٣١).

حكمة

قال الصدفي رحمه الله تعالى: قال لي الشافعي: «ليس إلى السلامة من الناس سبيل، فانظر الذي فيه صلاحك فالزمه»

(سير أعلام النبلاء ١٠/٤٣).

إعداد: علاء الدين عبدالفتاح

العادات والتقاليد الاجتماعية

يرد العلماء النشأة الأولى للعادات الاجتماعية إلى الحاجات الضرورية التي تتطلب الإشباع، وتتسم السلوكيات التي يستخدمها الإنسان في إشباع رغباته بالتكرارية، ويقبل الإنسان على السلوكيات الصحيحة لإشباع الرغبات ويتجنب السلوكيات الخاطئة، وتسمى السلوكيات الصحيحة بالعادات لتعارف الناس عليها وقبولهم لها نتيجة المحاكاة، وتدور العادات الصحيحة حول الزي (اللبس) والأكل والشرب والاحتفال بالمواسم والأعياد الدينية والاجتماعية، فضلا عن الأفكار والآراء، وتشير الباحثة المتميزة إيمان صالح في كتابها القيم «عادات الزواج وتقاليده في الواحات البحرية» إلى حقيقة مهمة مؤداها أن عدم التطابق يمثل الاستثناء من القاعدة، لأن من يعارض المحاكاة ولا يخضع لها يشعر بالعذاب كثيرا بسبب استياء الجماعة وسخطها وجزائها، وللعادات والتقاليد الشعبية خصائص تميزها عن العادات والتقاليد الفردية، من بينها أنها فعل اجتماعي، وبأنها متوارثة لارتكازها على تراث يدعمها ويقويها، ويعمل على رسوخها واستمرارها في المجتمع، كما تتميز بأنها قوة معيارية وأداة من أدوات الضبط الاجتماعي التي تحفظ للمجتمع كيانه واستمراره، وذلك بما تقره من جزاءات توقعها على الفرد نتيجة مخالفته أو عدم تبنيه لها، وتتميز أيضا بارتباطها بالزمن مثل العادات المرتبطة بتعاقب وتتابع فصول السنة كالعادات المرتبطة بشهر رمضان والعيدين، وكذلك العادات المرتبطة بمناسبات معينة في حياة الفرد.

● **محمد فؤاد علي**

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:

info@alwaei.com

لماذا كان محمد ﷺ «أميا»

كان محمد ﷺ أميا، وفاقد الشيء لا يعطيه، وهذه إحدى معجزات الإسلام الخالدة، فعلى الرغم من كون محمد أميا غير متعلم بواقع الحال في شبه الجزيرة العربية فإنه استطاع أن يقود أعظم أمة وأعظم حضارة عرفها التاريخ، واستطاع أن يربي ويعلم من وراءه أجيالا وأجيالا استطاعت أن تحمل مشاعل النور لكي تجلو بها غياهب الظلمات التي كان يتخبط فيها كوكب الأرض بمن عليه.

ولنتوقف قليلا عند موضوع الأمية كواحدة من صفات الرسول ﷺ، فالأمية إذا تواجدت في أي إنسان هي صفة تحط من قدر ذلك الإنسان، ولكنها كانت في محمد ﷺ شرفا وكرامة وتأكيدا لنبوته ﷺ.

إذ إن المولى عزوجل جعله أميا على فطرته ونقائه كما ولدته أمه ﷺ، ولم يتح له المولى أن يتعلم القراءة أو الكتابة حتى لا يغير معتقده أو فكره كما تروجه اليهود والنصارى وغيرهم.

كما أن الأمية تواجدت عند محمد ﷺ في ذات الوقت مع ملكات وقدرات عقلية وذهنية وروحية وذاتية غير عادية، بل وقدرات جسمية أيضا، فقد كان ﷺ يتعبد ويتبتل وينقطع لذلك بالأسابيع في غار حراء قبل نزول الوحي، ولا يفت ذلك في عضده.

● نبيه فرج الحصري

إنها المدينة وكفى

يكفي أن تقول أمام أي مسلم «المدينة» ليتبادر لذهنه على الفور أنها المدينة المنورة.. ولا غيرها، إذ إن المدن الأخرى تضاف إلى مسمياتها وصفاتها، أما المدينة فهي الوحيدة التي تعرف بالمدينة.. وكيف لا، وهي مهبط الوحي، حيث تحوي بين جنباتها وعلى حصبائها وبين رمالها أشرف الخلق محمد ﷺ والجمع الفضيل من صحابة المصطفى ﷺ، وعلى رأسهم من لو وزن إيمان الأمة بإيمانه لرجحت كفة إيمانه.. إنه الصديق رضي الله عنه والآخر من أعز الله به الإيمان والإسلام عمر بن الخطاب: الذي فرق الله به بين الحق والباطل.

والبقيع به ما يزيد عن عشرة آلاف من الصحابة، والمسجد النبوي ثاني الحرمين الشريفين، وما بين منبر المصطفى ﷺ وقبره روضة من رياض الجنة، والمدينة هي مدينة التشريع والتأصيل والتفريع، واللوم للمنافقين واليهود والتقريع، إنها قبل أن تتشرف بهجرة المصطفى ﷺ كانت تسمى يثرب، ثم سميت المدينة فطيبة الطيبة، فلقد روى الطبراني عن جابر بن سمرة أن النبي ﷺ قال: «إن الله عزوجل أمرني أن أسمي المدينة طيبة».

● الحسين محمد حميد

قدرة الأمة على العطاء

تمتلك أمتنا رصيدا ثريا من التجارب والخبرات الذاتية والتنموية في جميع الجوانب، كما لها القدرة على توسيع الآفاق والمدارك للاستفادة من مختلف الأمم والحضارات قديمها وحديثها، والتحدي الأعظم أمامنا هو قضية التنزيل الواقعي لمنظومة القيم التي نمتلكها، والعمل بها في حياتنا أفرادا وجماعات.

فلقد حرص الإسلام على توسيع دائرة البذل والعطاء في كل جانب من الجوانب إن كان بها نهضة للأمة وتقدمها وعدم قصر ذلك على فئة من الفئات، فالأمر يستوي فيه الجميع، وكل ذلك يكون بالتربية على الثقة بالله، والمشاركة في الخير، والتعلق بالآخرة، والزهد بالدنيا وعدم الركون إلى متعها، وبث المودة، وتعميق التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع المسلم.

ولابد من تدريب النفس على البذل والعطاء وتعويدها على السخاء في كل شيء، حتى بالكلمة الطيبة؛ إذ الكرم في مثل هذه الأمور إنما ينال بالتكرم والجود بالعطاء؛ فمن لم يرب نفسه على البذل ويستسهل السخاء لن يهون الجود عليه، ولن يستطيع التصدق بيسر وسهولة.

والموفق من أدرك أن حوائج الأمة وحاجات الناس إليه هي نعم من الله عزوجل يسوقها إليه، وجب عليه استغلالها، وعدم التفريط فيها.

فحري بنا كأفراد أيا كان موقعنا، مادمنا نجد فائضا قليلا من جهودنا وفائضا عن كفايتنا في أي شيء أن نسخر هذا الفائض من الوقت والمال والسعة في قضاء حوائج الناس.

● مروان المخلافي

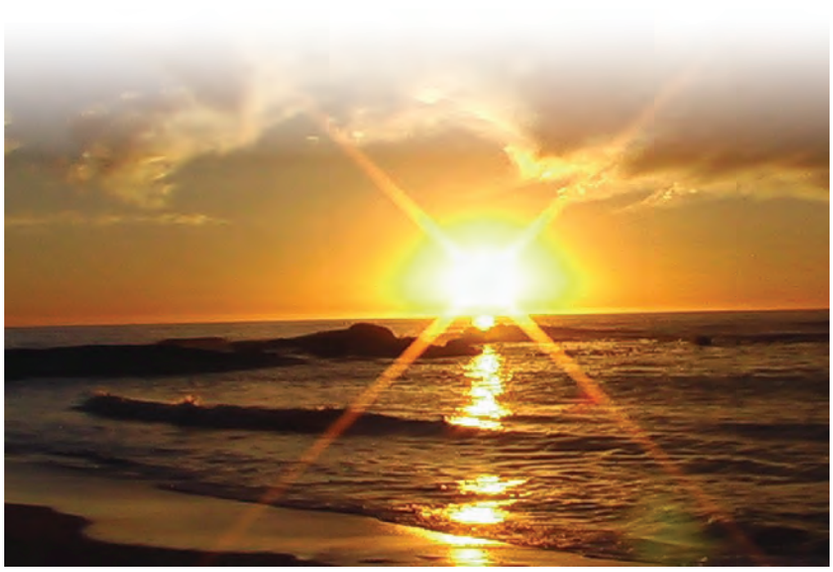

مع الذكر

ســـاد الـنـمـاء بـذاكـر
كم كان في التقوى جواد
رق الـنـديم كبلسم
قد كان في الدنيا دواء
شـع الـزمـان بساجد
كم بث في الدنيا رخاء
حـب أصـيـل شـع من
نـور وده أزهـى الـوفـاء
روح، نـسـيـم راق من
طـيـب ذكـره كـل الآفـاق
رمـز نـبـيـل نـال في
قـرب ربـه أسـمى الجنان
حـس رقـيـق عـاش في
ظـل حـبـه روح الـوئـام
روض نـضـيـر فـاض من
غصن بانه أسخى الخيار
ظـل ظـلـيـل عـاش في
ستـر ظلـه أهـل الأمـان
شـأن عـظـيـم عـز في
بـر ديـنـه كـل الأنـام

محمد طلعت محمد دنيا

الإسلام والتسامح

إن دعوة الإسلام دعوة تسامح لا دعوة انتقام وتشف، وفي التاريخ الإسلامي - وخاصة في عهد النبوة والخلافة الراشدة - صور مضيئة للتسامح والعفو والتوبة، وإصلاح النفس، فربما تحول المسيء إلى محسن، والخبيث إلى طيب، وربما صار من كان عدوا بالأمس رجلا من عظماء الإسلام.

فهذا أبوسفيان صخر بن حرب، كانت إليه راية الرؤساء التي تسمى العقاب، وهو الذي قاد قريشا كلها يوم أحد.. جاء أبوسفيان بعد معركة أحد فقال: يوم بيوم بدر، يوم لنا ويوم علينا، ويوم نساء ويوم نسر، حنظلة بحنظلة، وفلان بفلان، فقال رسول الله ﷺ: «لا سواء، أما قتلانا فأحياء يرزقون وقتلاكم في النار يعذبون». قال أبوسفيان: قد كانت في القوم مثلة.. ما أمرت ولا نهيت ولا أحببت ولا كرهت، ولا ساءني ولا سرني، فنظروا فإذا حمزة قد بقر بطنه وأخذت هند كبده فلاكتها فلم تستطع أن تأكلها.

وكان أبوسفيان من الذين يهجون رسول الله ﷺ وقتل سلمة بن ثابت يوم أحد.

هذا الذي فعل ذلك مع النبي ﷺ ومع المسلمين كيف تصرف معه رسول الله ﷺ حين قدر عليه؟ هل انتقم وتشفى؟

لقد كانت راية رسول الله ﷺ بيد سعد بن عبادة يوم الفتح، فمر بها على أبي سفيان، وكان أبوسفيان قد أسلم، فقال له سعد: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، اليوم أذل الله قريشا! فلما مر رسول الله ﷺ في كتيبة من الأنصار، ناداه أبوسفيان: يا رسول الله، أمرت بقتل قومك؟ زعم سعد أنه قاتلنا! فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا سفيان، اليوم يوم المرحمة، اليوم أعز الله قريشا» وقال: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن». وأعطاه رسول الله ﷺ من غنائم حنين مائة بعير وأربعين أوقية، وأعطى ابنيه يزيد ومعاوية، فقال له أبوسفيان: والله إنك لكريم، فداك أبي وأمي، والله لقد حاربتك فلنعم المحارب كنت، ولقد سالمتك فنعم المسالم أنت، جزاك الله خيرا.

وفقئت عين أبي سفيان يوم الطائف، واستعمله رسول الله ﷺ على نجران، فمات النبي ﷺ، وهو وال عليها، ورجع إلى مكة فسكنها برهة، ثم عاد إلى المدينة فمات بها. وقيل: إن عين أبي سفيان الأخرى فقئت يوم اليرموك، وكان هو القاص في جيش المسلمين. يحرضهم ويحثهم على القتال.

إن العفو والتسامح جعلا من أبي سفيان جنديا مخلصا ورجلا عظيما من عظماء الإسلام.

● **نجاح عبدالقادر محمد سرور**

المنهج الإسلامي ومسألة الواقعية

تأملت بعض أدبيات وخطابات المذاهب والمنازع والفلسفات الوضعية فألفيتها تتباهى بالواقعية، وتزعم الاتصاف بها في شتى مناهجها وأفكارها ومسالكها التطبيقية في الحياة، فأدركت مدى حدود ودلالات هذه الخاصية، وما يمكن أن تعود به من مردود إيجابي على من يتصف بها ويحرص على مراعاتها في واقعه العملي، والترويج لها على مستوى الخطابات والأدبيات الفكرية والتنظيرية والإعلامية ونحوها.

أما في الرؤية الإسلامية فإن مصطلح الواقعية يعني الانطلاق والتماهي مع أشواق الفطرة الصحيحة والاهتداء بشرع الله تعالى وأحكامه الثابتة المحكمة الواردة في القرآن المجيد والسنة المطهرة؛ ومن ثمة فليس المقصود بالواقعية في فكرية المنهج الإسلامي مسايرة الواقع أو الخضوع له كما هو في حقيقة حاله المعيش أو القائم، حتى لو كان واقعا زائغا منحرفا، أو بعيدا عن حدود الانضباط بمنهج الله تعالى ومقاصد الشرع الحنيف.

ولاشك أن من أهم ثوابت رسالة الفكر الإسلامي المعاصر الإسهام البصير في تقريب الواقع بكل تفصيلاته من رحاب الفطرة الصحيحة، وإخضاعه لمعايير الإسلام وهداياته وثوابته ومقاصده العامة، وذلك من منطلق قاعدة «سددوا وقاربوا».. أما مقدار تحقيق النجاح على هذا الصعيد فهو مرهون بمدى تمكن القائمين على شؤون الفكر الإسلامي من مهارات المعاملة مع مكونات الواقع.

لاسيما إذا وضعنا في الحساب أن الإسلام منح الكلمة ومنح السلوك تأثيرا عجيبا في النفوس، من خلال تميّز طرق الموعظة الحسنة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهذه الأدوات هي الأصل في معالجة الواقع وتقريبه من الفطرة الصحيحة.

أما من الناحية العملية للواقعية في المنهج الإسلامي فإننا نجد أن شريعتنا السمحة قد وضعت مجموعة مبادئ خاصة برفع الضرر وأخرى خاصة برفع الحرج. وقد تفرعت عن كل مبدأ جملة من الفروع؛ ومن أشهر مبادئ أو قواعد رفع الضرر «أن الضرر يزال شرعا» ومما تفرع عن هذا المبدأ: وجوب الوقاية والتداوي من الأسقام المختلفة، وقتل الضار من الهوام والحيوانات. وكذلك نجد من قواعد هذا المبدأ «يرتكب أخف الضررين لاتقاء أشدهما» ومما تفرع عن هذا المبدأ: أن يصلي المكلف في حال العجز عن التطهر أو ستر العورة أو استقبال القبلة، وفق ما تيسر له من قدرة، لأن ترك هذه الشروط أخف من ترك الصلاة.

ومن أشهر مبادئ رفع الحرج قاعدة «المشقة تجلب التيسير» ومما تفرع عن هذا المبدأ: الرخص المقررة في العبادات، كالفطر في رمضان للمريض والمسافر والحامل والنفساء والعاجز، وكقصر الصلاة بالنسبة للمسافر...إلخ.

أيضا يمثل التفكير الحر مظهرا من أجل مظاهر الواقعية في الإسلام، وذلك لأنه أساس المعتقد، ولا يصح في الاعتقاد القهر والتغلب والإكراه، لذلك جاء الخطاب في هذه المسألة واضحا حاسما لا يقبل التأويل، كما في قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾ (البقرة:٢٥٦).

أجل إن هذا الخطاب الواضح البين قد أوصد الأبواب أمام أي مسلك قد يسوق إلى استخدام الإرهاب والقهر من أجل حمل امرئ ما على الاعتقاد بما لا يستقيم عنده من خلال موازينه العقلية وتركيبته الوجدانية والتربوية.

وما هذه الأمثلة التي أوردناها إلا نماذج يسيرة عن المنجز الإسلامي في مسألة الواقعية التي تتغنى بها معظم الفلسفات والمنازع الأرضية؛ وهي أمثلة كافية في التدليل على أصالة تجذر قيمة «الواقعية» في المنهج الإسلامي وفق ثوابت وكليات ومقاصد الشرع الحنيف.

والله ولي التوفيق.

د. إبراهيم نويري
أكاديمي جزائري